

قَبْرِ سَيِّدِ الْمَوْءُودِ

لِلْهَيْدَرِ مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ

السَّيِّدِ حَسَنِ السَّمَرِيِّ الْحَاضِرِيِّ



وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



قَبْلَ تَحْقِيقِ مَسْئَلَةِ
لِيُحْيِيَ لَنَا لِيُحْيِيَ لَنَا



قَبْلُ مِنْهُ سَمِعْتُ مِنْهُ
لِلْإِسْلَامِ الْخَبْرُ

بحث في الإمامة وإمامة الجواد

الشيخ حسن عبد الأمير الشمري الحائري

دار المحجة البيضاء

© جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثالثة
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

ISBN: 978-9953-567-04-4

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٢٨٧١٧٩/٠٣ - ٥٤١٢١١/٠١

تلفاكس: ٥٥٢٨٤٧/٠١ - E-mail: almahajja@terranelb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ ﴿٦﴾

الإهداء

أهدي كتابي المتواضع إلى سيدي ومولاي..

الحجة بن الحسن (صلوات الله عليه).

وأرجو منه قبول هذه البضاعة المزجاة

علّها تنفعني في يوم فقري وفاقتي.

وأسأله الدعاء للمضيّ قدماً في طريق الحق الذي بانّت معالمه بفضل

أهل البيت عليهم السلام.

المقدمة

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ ^(١).

عن عبد العزيز بن مسلم، قال:

كنا مع مولانا الرضا عليه السلام بمرور، فاجتمعنا وأصحابنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة، وذكروا كثرة الاختلاف فيها، فدخلت على سيدي الرضا عليه السلام فأعلمته خوض الناس في ذلك.

فتبسم عليه السلام، ثم قال:

«يا عبد العزيز، جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إن الله تبارك اسمه لم يقبض رسوله ﷺ حتى أكمل الدين، فأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء، بين فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج الناس إليه كاملاً.

فقال عز وجل: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ^(٢).

^(١) يونس: ٣٥.

^(٢) الأنعام: ٣٨.

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي حُجَّةِ الْوُدَاعِ، وَهِيَ آخِرُ عُمْرَةٍ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ^(١).

وَأَمْرُ الْإِمَامَةِ مِنْ تَمَامِ الدِّينِ، لَمْ يَمُضْ عليه السلام حَتَّى بَيَّنَّ لِأُمَّتِهِ مَعَالِمَ دِينِهِمْ، وَأَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ، وَأَقَامَ لَهُمْ عَلِيًّا عليه السلام إِمَامًا، وَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَّا بَيْنَهُ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْمَلْ دِينَهُ فَقَدْ رَدَّ كِتَابَ اللَّهِ وَهُوَ كَافِرٌ، هَلْ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الْإِمَامَةِ وَمَحَلَّهَا مِنَ الْأُمَّةِ فَيَجُوزُ اخْتِيَارُهُمْ؟ إِنَّ الْإِمَامَةَ أَجَلٌ قَدْرًا، وَأَعْظَمُ شَأْنًا، وَأَعْلَى مَكَانًا، وَأَمْنَعُ جَانِبًا، وَأَبْعَدُ غَوْرًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ، أَوْ يَنَالُوهَا بِأَرَائِهِمْ، أَوْ يَقِيمُوا إِمَامًا بِاخْتِيَارِهِمْ.

إِنَّ الْإِمَامَةَ مَنْزِلَةٌ خَصَّ اللَّهُ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عليه السلام بَعْدَ النَّبُوَّةِ، وَالْخَلَّةِ مَرْتَبَةً ثَالِثَةً، وَفَضِيلَةً شَرَفَهُ بِهَا، وَأَشَادَ بِهَا ذِكْرَهُ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ^(٢).

فَقَالَ الْخَلِيلُ سُرُورًا بِهَا: ﴿وَمِنْ دُرِّيَّتِي﴾ ^(٣).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ^(٤).

^(١) المائدة: ٣.

^(٢) البقرة: ١٢٤.

^(٣) البقرة: ١٢٤.

^(٤) البقرة: ١٢٤.

فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة.
ثم أكرمه الله عز وجل بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة،
فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾^(١)،
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾^(٢).

فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض، قرناً فقرناً، حتى ورثها الرسول
الأعظم ﷺ، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا
النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

فكانت له خاصة، فقلدها ﷺ علماً عليه السلام بأمر الله عز اسمه على رسم ما
فرضه الله تعالى، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم
والإيمان، بقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ
اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾^(٤).

فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة، إذ لا نبي بعد الرسول
محمد ﷺ، فمن أين يختار هؤلاء الجهال الإمام؟.

(١) الأنبياء: ٧٢.

(٢) الأنبياء: ٧٢-٧٣.

(٣) آل عمران: ٦٨.

(٤) الروم: ٥٦.

إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِرْثُ الْأَوْصِيَاءِ.

إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللَّهِ وَخِلَافَةُ الرَّسُولِ (ﷺ) وَمَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)،
وَمِيرَاثُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ).

إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ، وَنِظَامُ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَصَلَاحُ الدُّنْيَا، وَعِزُّ
الْمُؤْمِنِينَ.

إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ رَأْسُ الْإِسْلَامِ النَّامِي، وَفَرْعُهُ السَّامِيُّ، بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ، وَتَوْفِيرُ الْفَقِيءِ وَالصَّدَقَاتِ، وَإِمْضَاءُ
الْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ، وَمَنْعُ الثُّغُورِ وَالْأَطْرَافِ»^(١).

هَذَا قِسْمٌ مِنْ كَلَامِ الْإِمَامِ الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي الْإِمَامَةِ جَعَلَهَا مَقْدَمَةً لِكِتَابِي،
وَلِي كَامِلُ الشَّرَفِ فِي ذَلِكَ، وَمَعَ شَدِيدِ الْإِعْتِذَارِ لِسَيِّدِي الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ
مُوسَى الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

الشيخ حسن عبد الأمير الشمري الحائري

دمشق - السيدة زينب (عَلَيْهَا السَّلَامُ)

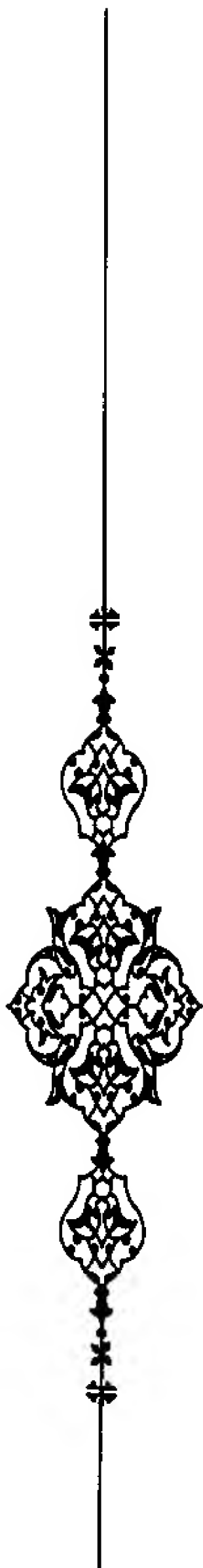
١١/ ذو القعدة/ ١٤٣١ هـ

يوم ميلاد الإمام علي الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

^(١) الغيبة: الشيخ النعماني، ص ٢٢٥-٢٢٦.

الفصل الأول

الإمامة والقيادة



الإمامة والقيادة

الإمامة أو القيادة السياسية والدينية هي الموضوع الأهم والأخطر قديماً وحديثاً، حيث تلعب دوراً أساسياً في تقرير مصير الأمم، سواءً كانت تتسم بالدين أو تتلفع بثوب الدنيا.

وهي إحدى أهم الركائز الحيوية للمجتمع، والعمود الذي يتكئ عليه الناس عندما تعصف بهم الأزمات.

والشعوب التي تعتمد - غالباً - على القائد الصالح في تقرير مصيرها، سواءً كان ذلك الاعتماد كلياً أم جزئياً تمتلك الشخصية والفهم والدراية، فضلاً عن الوعي السياسي.

وتظهر الحاجة إلى القيادة عندما يتعرض المجتمع إلى الشدائد، فتراه يستمدُّ العون من القائد ويستلهم منه قراراته، فيكون هو المسؤول الأول عن توحيد صفوف المجتمع، وتجميع شتاته لحسم الموقف.

فقد كان أهل المدينة بأمرس الحاجة إلى رسول الله ﷺ عندما اجتاحتهم الأزمات، وأحاطت بهم الفتن، ونشبت بينهم الصراعات، فأنقذهم

النبي ﷺ من تلك الأزمات بعد أن كانوا على شفا حفرة من نار الجاهلية. كما واتصفت قيادة الرسول الأعظم ﷺ بالحكمة، وبُعد النظر، وحُسن السيرة، ومداواة الناس، الأمر الذي جعل الإسلام وبفترة قياسية يقطع أشواطاً مهمة، ويأخذ مساحة شاسعة.

فقد ركّز الرسول ﷺ في سيرته على خطوات، منها اجتثاث الحساسيات التي كانت تجيش في قلوب من كانت نفوسهم تمنىهم المراكز العليا، وتعدّهم ببسط السيادة على المدينة المنورة.

فـ «عبد الله بن أبي» الذي رشّحه اليهود والعرب ليكون قائداً على المدينة المنورة، بعد أن أدخلت في روعه فكرة السيادة العامة، وظلت تعمل في كيانه تراجع بعض الشيء عندما وطئت قدم الرسول ﷺ المدينة المنورة، حيث لمس عبد الله عن قرب سمو الأفكار الرسالية، فدخلت في عمق كيانه، لكنه لم يظهرها، وظلّ على نفاقه.

وهكذا أطفأت الحكمة النبوية نيران الحساسية، وبتعبير أدق طوّقتها وجعلتها في أضيق حدودها.

وحكمة الرسول ﷺ ساهمت في إطفاء الكثير من الحساسيات القبلية التي كانت تعمل في نفوس أهل المدينة، وبالذات بين الأوس والخزرج الذين تشبّعوا بأفكاره الفدّة، وأصبحت قلوبهم نظيفة، فتاقت من أعماقها إلى الإسلام، وأصبح جزءاً من كيانه، ومحوراً هاماً في حياتهم اليومية.

إنّ الحكمة، وبُعد النظر، وحسن الإدارة، صفات لا غنى عنها للقيادة،

وهي مطلوبة في كل حين، ولا سيما في المراحل الأولى من توليها ذلك المنصب الخطير، فالحكمة، وحسن الإدارة، تجذب النفوس، وتعمق الإحساس بالمسؤولية الملقاة على عاتق أبناء الأمة.

والإحساس بالمسؤولية ينشأ إذا تحمّل الفرد مسؤولية في هيكل النظام، ولمس اهتماماً من قبل المجتمع، وبالذات من القائد.

من هنا ينبغي للقائد توزيع المسؤوليات، وتقسيم الأدوار، حتى يضمّ إلى صفه أكبر عدد ممكن من الناس، ويوفر فرصاً استثنائية تخفّف عنه ثقل المسؤولية، كما وأن توزيع المسؤوليات يفجّر في الأمة ينبوع الإبداع، وينمي الشخصية العملاقة التي تمتاز بالاستقلالية، والاعتماد على الذات.

لكن ما يؤسف له أنّ الكثير من القادة الميدانيين يحصر المسؤوليات بنفسه، فيلغي عامل الإبداع، وينسف الخلافة، ولذا تجد الكثير من الأمم عندما تحصر المسؤوليات ضمن دائرة محدودة، أو قلّ شريحة معينة تتلاشى عندها فرص التقدم الحضاري، وتصبح عالية على الغير، وتصير تستجدي المعونة.

القيادة الربانية والقيادة الجماهيرية:

وحتى لا نقع في الالتباس نقول: ثمة فارق كبير بين القيادة المنتخبة من قبل السماء، والقيادة المنتخبة من قبل الناس.

فالقائد الرباني المتمثل بالأنبياء والأئمة يختلف عن القائد الذي ينتخبه

الشعب لتقرير مصيره.

وعلى المجتمع أن يميز بين هذين النوعين من القيادة، فالفارق كبير وبالذات على صعيد اختيار القادة الربانيين وأقصد بهم الأوصياء عليه السلام، وعندما يكشف المجتمع الفارق لابد أن يكون ولاؤه للقيادة الربانية أشد، والتزامه بقراراته أقوى.

وهذا بالطبع لا ينفي وجود قادة صالحين في ظل غياب الأوصياء يقودون سفينة الأمة بكلّ أمان، نتيجة لفهمهم الصحيح للأدوار، واستيعابهم المعقول لحدود القيادة، وعندما تختار السماء الأوصياء عليه السلام فإنهم لن يتركوا الناس دون أن يستشيروهم فيما يخصّ القيادة ومصير الأمة، لا لأنهم بحاجة إلى مشورة الناس في قراراتهم، بل لتفهم المجتمع أهمية المشورة في اتخاذ القرارات الصائبة، وحتى لا يخطئ البعض ويتصور أن قيادة الأنبياء للمجتمع تجسّد التزمّت في القرارات وتلغي الأدوار.

فالنبي الأكرم ﷺ وفي مواطن كثيرة شاور الأمة وجعلها على بينة من أمرها سواء في الجانب العسكري أم السياسي، مثلما حصل في معركة أحد على سبيل المثال، فقد شاورهم في موقع المعركة، أهى داخل المدينة أم خارجها.

كما وشاور أصحابه قبيل معركة بدر، فقال كما هو مذكور في كل كتب التاريخ: «أشيروا عليّ»^(١).

^(١) بحار الأنوار: ج ١٩/ص ٢٤٧.

ثم إن الآيات صريحة في ذلك ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ﴾^(٣).

وقد أخذ النبي ﷺ برأي سلمان المحمدي ؓ في معركة الخندق، عندما اقترح بحفر الخندق وكانت الخطة ناجحة.

لكن الشورى - وبرغم أهميتها - يجب أن تكون في ما لا نص فيه، فلا يمكن للإنسان - مهما بلغ من العلم والمعرفة - أن يضع رأياً في مقابل ما نصه الله عز وجل، ومن ثم يقول: هذا رأيي.

لأن لكل شيء حداً، ولعقل الإنسان حدود تنتهي عند إرادة الله عز وجل.

الطواغيت ليسوا قادة:

حاجتنا إلى القائد أمر فطري، كحاجتنا إلى الماء والهواء حيث إن المجتمعات معرضة إلى التناحر، وشتى أشكال الأمراض، لكن الأهم من ذلك هو معرفة القائد الحقيقي الذي تتوفر فيه شروط القيادة.

^(١) آل عمران: ١٥٩.

^(٢) الشورى: ٣٨.

^(٣) آل عمران: ١٥٩.

وعلى مرّ التاريخ فإن الأمم كانت تغفل عن معرفة شروط القائد، لذلك فإن الأنبياء والأئمة والحكماء والصالحين، كانوا يعانون من مجتمعاتهم. ومن جانب فإن الطواغيت والفراعنة والمستبدين كانوا يحاولون التسلط على رقاب المجتمع، وهدم القواسم التي تشد المجتمع بعضه إلى بعض.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بِذِيحِ ابْنَاءِ هُمْ وَيَسْتَخِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

وهذه صفة ملازمة للطواغيت، فهم يسعون إلى تمزيق الأمة ليحكموا السيطرة عليها، ومن ثم يفرضون الأحكام الجائرة لإشباع غرائزهم.

والقوى الشيطانية لا تقف عند حدها إلا بظهور القيادة الحقيقية التي تتوفر فيها خصال الصلابة والشهامة والإقدام، بحيث لا يتردد القائد لحظة عن مواجهة الطاغوت حتى لو كان في عقر داره.

من هنا، فإن الله تعالى قال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾^(٢)، وقد دخلا عليه وواجهاه بكل قوة واقتدار، فأسقط في يديه، فراح يتوسل بالأسلوب العاطفي، فقال فرعون لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾^(٣).

^(١) القصص: ٤.

^(٢) طه: ٤٣.

^(٣) الشعراء: ١٨.

وهنا تلاشت الهالة الكاذبة، وذابت الرتوش المزيفة، وظهر ضعف فرعون، لقد كانت المواجهة مع فرعون مطلوبة وملحة لعدة أسباب:

١- لتجبره وعتوه.

٢- توفر القيادة.

٣- وجود القاعدة الواعية.

وقد كانت المواجهة مع فرعون حاسمة، إذ قرّر النبي موسى ﷺ مع أخيه هارون ﷺ خوض المعركة، وحسم الموقف مع فرعون، وبذلك جمعت المواجهة عناصر الحسم.

للقائد شروط يجب أن تكون كاملة:

إن القيادة الناجحة هي التي تتوفر فيها صفات النضج، وبعد النظر، والحسم، فضلاً عن سعة الصدر، فهذه صفات ينبغي توفرها في القائد حتى يمكن للقائد أن يرتقي سلم القيادة، ويقيم العدل، ويدير الصراع مع الطاغوت.

فليس منطقياً أن تتوفر فيه صفات دون أخرى، كأن يمتلك الصلابة، ويفتقد سعة الصدر، أو يمتلك الشجاعة ولا يمتلك الحلم، وهكذا..

فالصراع يدور أولاً بالمنطق والأخلاق ومن مصاديقه اللين، قال الله

تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١)، وهكذا فإن أسلوب اللين يأتي في المقدمة.

فإذا لم يرعوا، وأخذته العزة بالإثم، يأتي الأسلوب الآخر المتمثل في مصارحة الحاكم عبر المؤسسات، أو عن طريق كشف مساوئه، ونشر أكاذيبه، وعدم صلاحيته في تولي منصب القيادة، فإذا أصرّ وتجبّر تكون المواجهة كحل أخير، قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾^(٢).

هذه المراحل هي الحل الأمثل في معالجة الظواهر المشينة، وبالذات ظاهرة السلطة الظالمة التي هي في معظم الأحيان - كما يقول علماء النفس الاجتماعي - تتدرج في الظلم، فما إن تأخذ بزمام الأمور، حتى تستبد، ثم تصل إلى قمة الاستبداد.

وقد أثبت علماء النفس أنّ هذا التطور الخطير الذي يلحّ على الحكام، ويحكم حياتهم، إنّ هو إلا إفرازات المجتمع، فالحاكم عندما يستلم السلطة ينظر في بداية الأمر إلى المجتمع، فإذا وجدته قوياً ونداً له، ويحاسبه على الصغيرة والكبيرة، فإنه يظل في دائرة الحكم المعقول.

أما إذا وجدته ضعيفاً، ويخضع باستمرار لقرارات الحاكم الباطلة أو الجائرة، فإنه يستضعفه، وينقلب إلى سبع ضارٍ، على حد تعبير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

^(١) طه: ٤٤.

^(٢) المائدة: ٢٣.

فثمة علاقة جدلية بين ضعف واستكانة المجتمع، واستبداد الحكام.

من هنا تظهر أهمية المجتمع في معرفته للصفات الكاملة التي يجب أن تتوفر في القائد، فإذا لم تكن الصفات الحميدة مجتمعة فيه فسوف تقع الفاجعة الكبرى، ويخيم الظلم والاستبداد.

وإذا تجاهلت الأمة فهمها للقائد ولخصائصه، فإنها تعطي للمتجبر فرصة ذهبية كي يتجبر ويتفرعن، وبالتالي فهي التي تكون سبباً في صناعة الطاغوت. إن أيّ تهاون في انتخاب القائد يؤدي إلى تفكك الأمة، وإلى ارتكاسها في الحضيض، ثم سرعان ما تتلاشى وتنتهي في زمن قصير.

وعلى هذا فإن وجود الإمام المعصوم في كل زمان يعصم المجتمع من الزلل ويبعده عن الموت الحضاري.

وكما هو معلوم فإن موت الأمة حضارياً يشكل خطراً قاتلاً لأن النهوض الحضاري يستغرق وقتاً طويلاً، ويتطلب قائداً كفوءاً يمتلك قيماً فذة.

والقائد الكفوء يعد العامل الأول في نهوض الأمة إذا توفرت فيه الشروط، وعلى مرّ التاريخ فإن القيادة الإلهية كانت العامل الأول في النهوض الحضاري، كما هو واضح في مصر، عندما تولى النبي يوسف عليه السلام زمام الخلافة، والنبي سليمان عليه السلام في الشام، وآخرهم النبي محمد ﷺ في الجزيرة العربية، حيث حقق إنجازاً حضارياً يعدّ الأول والأخير في خصائصه.

المجتمع في غياب القائد:

لا يشك أن المجتمعات قبل البعثة النبوية كانت على شفا حفرة من النار، وكانت تغوص في وحل الجاهلية، حتى باتت القيم الإنسانية غائبة تماماً عن أذهان معظم المجتمعات.

فجاء الرسول محمد ﷺ لينتشل المجتمع الإنساني وينقذه من ضلاله المبين، على حد تعبير القرآن الكريم، إذ قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١).

فأنقذهم عبر التزكية (بناء الشخصية)، والعلم والحكمة، والقيم المثالية. وإذا كنا نعلم أن المجتمع آنذاك كان يمرّ بأتعس مراحل، وتلفه أزمات أخلاقية تعدّ الأقسى في حياته، فإن الإنجاز الذي حققه الرسول الأعظم محمد ﷺ يعدّ فريداً من نوعه، ومهماً في نتائجه.

وقد فتح الرسول ﷺ عهداً جديداً في القيادة حيث وضع منهجاً متماسكاً وسامياً أخضعه للقرآن، وفي الوقت نفسه لاحظ ظروف المجتمع النفسية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية، وغيرها.

وقد اعتمد القرآن الكريم أساساً في كافة مراحل، كما وأخذ بنظر

^(١) الجمعة: ٢.

وقد نقل المؤرخون الكثير عن عطف الرسول مع أصحابه ﷺ، منها أنه في أحد الأيام كان يصلي ﷺ فخفف من صلاته.

وبعد انتهائه سأله الأصحاب: يا رسول الله أنزل عليك الوحي؟

قال: لا، أما سمعتم صراخ الصبي، إنما خففت صلاتي لصراخ الصبي^(١).

هكذا كان يداري حتى عمق هذه الصفة في نفوس أصحابه، وجعلها جذابة تهوي إليها القلوب في كل حين.

والصفات الأخلاقية إنما تتجذر في النفوس إذا كانت عملية، وليست على طرف اللسان، وفي قوالب لفظية منمقة ومزركشة.

لذلك فإن رسول الله ﷺ ما كان لينمق ويزركش وابتدع القوالب، إنما كان يبدع في التطبيق والعمل، مما جعل الصفات السامية، تجد طريقها إلى القلوب، وبفترة زمنية قصيرة.

سلوك القائد وأثره في تربية المجتمع:

إن التطبيق العملي للصدق يعطي ثماره بفترة قياسية، ويترك أثره في النفوس، وكل صفة عالية، تمتاز بهذه السمات، وبالذات عند الصغار،

^(١) الذكرى: الشهيد الأول، ص ٢٨٠، ومستند الشيعة: المحقق النراقي، ج ٨/ص ١١٧، والكافي: الشيخ الكليني، ج ٦/ص ٤٨، وتهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي، ج ٣/ص ٢٧٤، ووسائل الشيعة (آل البيت): الحر العاملي، ج ٨/ص ٤١٩، ومستدرك الوسائل: الميرزا النوري، ج ٦/ص ٥٠٣، وحلية الأبرار: السيد هاشم البحراني، ج ١/ص ٣٢٦، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٨٥/ص ٩٣.

والطفل إنما يتلقف الصفات الطيبة إذا لمسها عند الكبار، فيحتفظ بها في ذاكرته، ثم يحاول قدر الإمكان تجسيدها في حياته العملية، لأن الطفل يعشق الطيب، ويميل إلى تقليد الكبار.

ثم إن الطفل يحسّ بذبذبات الكلمات إن صحّ التعبير، ويحسّ بوقعها بسبب طهارة قلبه وصفاء كيانه، وبعدها يهفو تبعاً.

من هنا فإذا أردنا أن نزرع الإيثار فعلينا أن نؤثر، وقد تصل به الحالة إلى حدّ العشق، وينسحب هذا المعنى على بقية الصفات، وكلما كان التطبيق فذاً ازدادت الصفات رونقاً وإشراقاً، وأما إذا كان سيئاً وشاذاً ازدادت الصفات ظلمة وقبحاً، علماً أن الصفات الطيبة بذاتها جميلة وجذابة، ولكن التطبيق السيء أو قل السلوك السيء ألبسها طابع القبح.

وهذا ينطبق على واقع المسلمين في أكثر من موقع، حيث إن الكثير بما فيهم المسلم أخذ ينظر إلى الصدق والعدالة والصراحة باشمئزاز واحتقار.

لذلك فإذا تكلمت مع الناس حول الصدق والعدالة، واستعرضت لهم النتائج الطيبة في تطبيقها تجد أكثرهم ينفرون ويشمئزون، بل في بعض الأحيان لا يطبقون السماع، وصار الأكثر لا يصدق بأن هناك (صدقاً وعدالة)، وصار في خلده أن لا أحد يعتقد بالصدق والعدالة، وغيرها من الصفات الحميدة.

كلّ هذه الصور السيئة التي ازدحمت في ذهن الإنسان إنما جاءت بسبب الواقع السيء للمسلمين الذي أخذ ينضب من الصفات العملاقة التي

جاء بها الإسلام، وضخى من أجلها الكثير من العمالقة.

ونحن نسأل: وهل هذا جزاء رسول الله ﷺ والأئمة والعظماء الذين قدموا أنفسهم بسخاء؟ وهل هذا السلوك الأجوف والخواوي من الأخلاق، ومن كل معاني الفضيلة هو الرد الجميل لما قدمه رسول الله ﷺ؟

نعود ونقول: إن الرسول الأعظم ﷺ اعتمد المداراة والتشجيع في بناء شخصية الإنسان المسلم.

والإنسان - كما يقول علماء النفس - يعتد بشخصيته كثيراً، وبالذات في سن المراهقة، لأن شخصيته تظهر بقوة وتصل إلى أعلى مراحلها، ويظل الاعتداد بالشخصية الهاجس الكبير الذي يلزم الإنسان حتى نهاية عمره. ومن هذا المنطلق اهتم الإسلام كثيراً بهذا الجانب، وقدم فرصاً كبيرة لتقويتها ونموها.

قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(١).

فالصدقة تطهر الإنسان من الشح والشره، وتغسل النفس البشرية من أدران البخل، والصدقة خطوة في طريق نمو الشخصية ﴿ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾^(٢)، ويعد عامل التشجيع والمداراة من الروافد التي تصب في بناء الشخصية.

(١) التوبة: ١٠٣.

(٢) التوبة: ١٠٣.

لذا فإن رسول الإنسانية ﷺ كان يؤكد باستمرار على عامل التشجيع حتى عدّه من العوامل الأساسية في بناء المجتمع.

ينقل التاريخ أنّ الرسول الأعظم ﷺ عندما باشر في بناء أول مسجد أخذ الأصحاب يبنون بحماس، وفيهم عمار بن ياسر الذي كان يحمل حجرين، فعابه أحد الأصحاب، فتأذى عمار، ومن حقه أن يتأذى لأن التناول كان في غير محله، وهو بعيد عن خلق الإسلام، فجاء شاكياً إلى رسول الله محمد ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «ما تريدون من عمار إنّ عماراً ملئ إيماناً من قمة رأسه إلى أخمص قدميه»^(١).

«وإنّ عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي»^(٢).

«ويح عمار تقتله الفئة الباغية»^(٣).

^(١) مناقب أهل البيت: المولى حيدر الشيرازي، ص ٣٧٩.

^(٢) وسائل الشيعة (الإسلامية): الحر العاملي، ج ٢٠/ص ٢٧٦، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٣١/ص ١٩٦، وخلاصة عبقات الأنوار: السيد حامد النقوي، ج ٣/ص ٤٠، وشرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ٣/ص ٥٢، واختيار معرفة الرجال: الشيخ الطوسي، ج ١/ص ١٢٩، وجواهر المطالب في مناقب علي: ابن الدمشقي، ج ٢/ص ٤٤.

^(٣) الأربعين: محمد طاهر القمي الشيرازي، ص ٦٢٨، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٣٣/ص ٢٢، والنص والاجتهاد: السيد شرف الدين، ص ٥٠٦، والغدير: الشيخ الأمين، ج ٣/ص ٢٥٠، ومسنّد أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣/ص ٩١، وصحيح البخاري: ج ٣/ص ٢٩٧، والمستدرک: الحاكم النيسابوري، ج ٢/ص ١٤٩، وفتح الباري: ابن حجر، ج ١/ص ٤٥١، وتحفة الأحوزي: المباركفوري، ج ١٠/ص ٢٠٤، وصحيح ابن حبان: ج ١٥/ص ٥٥٥، وكنز العمال: المتقي الهندي، ج ١١/ص ٧٢٢، وكشف الخفاء: العجلوني، ج ٢/ص ٣٤٦، وتاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ج ١١/ص ٤٢٨، وتاريخ

رواه البخاري، في (كتاب الصلاة)، باب التعاون، ورواه في كتاب الجهاد والسير «ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعوهم إلى النار»^(١).

وذكر الحديث ابن حبان، عن أبي سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعوهم إلى النار»^(٢). وينقل الطرفي: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الحق»^(٣).

وهكذا كان رسول الله ﷺ يعتمد التشجيع، ثم المداراة، بأروع صورها حتى أكد هذه المعاني العظيمة في كيان أصحابه الذين اتبعوه بإحسان، ولم يتخلفوا عنه.

وقد فجر عامل التشجيع ينبوع الشجاعة والإقدام في نفوس الخُلص من أصحابه، وجعلهم يتألقون في تجسيدها، الأمر الذي سهل طريق الكمال للآخرين، وجعل أفئدتهم تهوي إليها باستمرار.

وهكذا جاءت الصفحات مشرقة في السلوك والأخلاق، وواقعاً يحتضن القيم العليا، والمثل السامية، فصارت حياة المسلمين لها معنى كبير، وتحمل

مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٤٣/ص ٤٦، والبداية والنهاية: ابن كثير، ج ٣/ص ٢٦٤، وتاريخ ابن خلدون: ج ٢/ص ١٦٢، ونحو إنقاذ التاريخ الإسلامي: حسن بن فرحان المالكي، ص ٢٤٢، ونبايع المودة لذوي القربى: القندوزي، ج ١/ص ٣٨٥.

^(١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة.

^(٢) نبايع المودة لذوي القربى: القندوزي، ج ١/ص ٣٨٥.

^(٣) إتحاف السادة المتقين: ج ٧/ص ١٧٨.

عنواناً يشرق كل حين.

إنَّ تعميق الصفات الطيبة يعود بالدرجة الأولى إلى القائد سواء كان قائداً لبيت أو الأمة، ويتألق صفات القائد تشق الصفات طريقها، إلى قلوب الناس.

إنَّ كل شيء في حياة المجتمع يرتبط بالقيادة، فهي القلب النابض، والمحك والميزان.

فالقيادة موقعها من المجتمع موقع القلب من الإنسان، كما شَبَّهها تلميذ الإمام الصادق (عليه السلام).

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد، وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك عليّ، فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة، فإذا أنا بحلقة كبيرة، فيها عمرو بن عبيد، وعليه شملة سوداء، متزراً بها من الصوف، وشملة مرتدياً بها، والناس يسألونه، فاستفرجت الناس، فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي، ثم قلت: أيها العالم إنني رجل غريب، تأذن لي في مسألة؟

فقال لي: نعم.

فقلت له: ألك عين؟

قال: يا بني، أي شيء هذا من السؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت: هكذا سألتني.

فقال: يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء.

قلت: أجبني فيها.

قال لي: سل؟

قلت: ألك عين؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بها؟

قال: أرى بها الألوان والأشخاص.

قلت: فلك أنف؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أشمّ به الرائحة.

قلت: ألك فم؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أذوق به الطعام.

قلت: فلك أذن؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بها؟

قال: أسمع بها الصوت.

قلت: ألك قلب؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أُمَيِّزُ بِهِ كُلَّ مَا وَرَدَ عَلَى هَذِهِ الْجَوَارِحِ وَالْحَوَاسِ.

قلت: أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟

فقال: لا.

قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟

قال: يا بني، إِنَّ الْجَوَارِحَ إِذَا شَكَّتْ فِي شَيْءٍ شَمَّتْهُ أَوْ رَأَتْهُ أَوْ ذَاقَتْهُ أَوْ

سَمِعَتْهُ رَدَّتْهُ إِلَى الْقَلْبِ، فَيَسْتَيْقِنُ الْيَقِينُ وَيَبْطُلُ الشَّكُّ.

قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟

قال: نعم.

فقلت له: أبا مروان! فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل

لها إماماً يَصْحَحُ لَهَا الصَّحِيحَ، وَيُثَبِّتُ بِهَا مَا شَكَّ فِيهِ، وَيَتْرَكُ هَذَا الْخَلْقَ

كُلَّهُمْ وَشَكَّهُمْ وَاخْتَلَفَهُمْ فِي حَبِيرَتِهِمْ، لَا يَقِيمُ لَكَ إِمَاماً لَجَوَارِحِكَ تَرُدُّ إِلَيْهِ

حَبِيرَتَكَ وَشَكَّكَ؟!

قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً.

ثم التفت إليّ، فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟

فقلت: لا.

قال: أمن جلسائه؟

قلت: لا.

قال: فمن أين أنت؟

قلت: من أهل الكوفة.

قال: فأنت إذاً هو.

ثم ضمني إليه، وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه، وما نطق حتى قمت.

قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام، وقال: هشام من علمك هذا؟

قلت: شيء أخذته منك وألفته.

فقال: هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى^(١).

دور الإمامة في تشخيص الأمراض الاجتماعية وعلاجها:

الإمامة: هي المرجع الذي يلجأ إليه الناس في التمييز بين الحق والباطل، والمنهج الذي يعتمدونه في حل مشكلاتهم بكافة ألوانها وصورها.

والإمامة: هي الوسيلة المثلى لتقويم الاعوجاج، وإقامة الأود في كل زمان، وتشذيب السلوك عندما يتعرض المجتمع إلى أمراض اجتماعية وأخلاقية واقتصادية وسياسية.. الخ.

إن المجتمعات قلما تلتفت إلى خطورة الأمراض الأخلاقية والاجتماعية، ومعرفة نتائجها المستقبلية بالذات إذا أوغلت في الدنيا وغاصت في ملذاتها، لذلك فإن القائد مطلوب.

فيعقله الذي يتصف بالحكمة، وبعد النظر يمكنه معالجة الأمراض

(١) الكافي: ج ١/ص ١٦٩-١٧١.

واجتماعها، والقضاء على الآثار الجانبية التي تتوالد منها، فالثابت في علم النفس الاجتماعي أن الأمراض الاجتماعية والأخلاقية يتطلب في اكتشافها مهارة عالية، ومن ثم وضع الحلول الناجعة لاستئصالها.

والمهارة العالية تكون عندما يملك القائد البصيرة النافذة، والعقل الخلاق، وهذه الصفات لا تنشأ في الشخصية المستبدة بل هي جنين يتكوّن في رَحِم الإيمان، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(١).

فالتقوى التي هي مرحلة متقدمة في سلّم الإيمان توفر ملكة التمييز ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾^(٢)، وطبيعي كلما ارتقى الإنسان سلّم الإيمان ازداد بصيرة، وتعمّقت فيه ملكة التمييز.

ونحن نلمس هذه الصفة عند الأولياء الصالحين الذين يملكون التقوى.

كما وأن وجود الإمام المعصوم، يفجّر في الأمة ينبوع الهمة والحماس نحو الكمال، فملكة التكامل مودعة في الإنسان، بدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنَ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُنْقِبِينَ إِمَامًا﴾^(٣).

(١) الأنفال: ٢٩.

(٢) الأنفال: ٢٩.

(٣) الفرقان: ٧٤.

فالإنسان - وبالذات المؤمن - لا يطلب الزوجة والأولاد الذين تقرّ بهم العين فحسب، فهذه خطوة نحو الاكتمال والرشد، ولكنه يطلب درجة أعلى ﴿وَأَجْعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١)، وهي أعلى درجة في سلم الإيمان، فتزعة التكامل موجودة ومتأصلة، وهي تنمو إذا التقت بشخصيات مثالية وعالية في سلوكها.

وكلما سمت الشخصيات فإنها تنمي نزعة التكامل، لذا نرى البعض عندما ينشد إلى هذه الشخصيات يحاول قدر الإمكان تقليدها، وتقمّص شخصيتها حتى في الكلام والإشارة، مثلما هي سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، فكانت في خطبها تفرغ عن لسان أبيها ﷺ، كما وأن الإنسان يتأثر بالشخصيات السيئة، وقد يتأثر المجتمع كثيراً بالأبطال والشجعان بالرغم من أفكارهم السيئة، وانتماءاتهم المنحرفة.

لذا تجد الصهيونية استغلت هذه النزعة، فسَلّطت الأضواء على رجال صنعتهم لهذا الغرض كمغنين ومهرّجين وراقصين وراقصات، للسيطرة تماماً على عقول الناس، وخاصة الشباب.

فأخذ الشاب المسلم يقلدها ويتقمّصها بكل ما تحويه من سلبيات، وينشد إليها، ويدور حولها بشكل لاشعوري، الأمر الذي أدى إلى ذوبانه في الشخصيات المزيفة، متناسياً الشخصيات الإسلامية العملاقة.

وبات واضحاً (تأثير أبطال الأفلام) في كيان الشباب والشابات، وكيف

(١) الفرقان: ٧٤.

أنه يدخل في عمق حياتهم، حتى أصبح الكثير لا يتحرك إلا بوحى من حركاتهم.

من هنا، فقد أصبحت الهوة كبيرة بين الجيل الحاضر، والشخصيات الإسلامية، فصار الشاب لا يقيم اعتباراً لتلك الشخصيات، ولا يذكرها بشيء في حديثه، ولو ذكرها فإنه يأتي بها كشاهد على بطولة هؤلاء المزيّفين.

إننا مسؤولون عن هذه الهوة الكبيرة، فينبغي تسليط الضوء على الشخصيات الإسلامية، وبالأسلوب الذي يقنع الشاب، ولعل الأفلام هي إحدى الوسائل المؤثرة في الإقناع، وكذلك المسرح والكتاب والرواية المصورة.

ويبدو أن بعض الدول الإسلامية تنبّهت إلى هذا الأمر، فأخذت تبرز الشخصيات الإسلامية عبر الأفلام، والمسلسلات التلفزيونية، فقد أقدمت على صنع أفلام تعكس الوقائع التاريخية، والأحداث التي مرت بها الأمة الإسلامية، واستطاعت أن تقدّم الكثير في هذا المجال، وتفتح آفاقاً واسعة أمام الدول الإسلامية.

الإمامة ودورها في صناعة الرجال:

هناك دور أساسي للمعصوم في صنع الرجال التاريخيين، فهو يدفع بهم إلى الكمال، ويشدّهم إلى المثل العليا، وهذا ما ظهر جلياً في حياة الرسول الأكرم محمد ﷺ الذي صنع في بداية الإسلام رجالاً أكفأ بلغوا قمة

الكمال الإنساني، وأنموذجاً فريداً في الأخلاق والتضحية، فكانوا دليلاً وحجةً على إمكانيات الإنسان وقدراته الهائلة في بناء الشخصية الفذة.

والإنسان - كما هو ثابت - مفتورٌ على حب القيم الأخلاقية.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾^(٣).

فالإنسان بطبيعته طيب السريرة، ويحمل بذرة الإيمان ﴿وَزَيَّنَهُ فِي

قُلُوبِكُمْ﴾^(٤)، ويكتنز مقومات السلوك الأمثل ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ

تَقْوِيمٍ﴾^(٥)، وبهذا التقويم صار أكرم المخلوقات ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي

آدَمَ﴾^(٦)، والإيمان والتقوى والتكريم أساس الأخلاق، ومنها يستمد

الإنسان قوة الامتثال للدين.

(١) التين: ٤.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) الحجرات: ٧.

(٤) الحجرات: ٧.

(٥) التين: ٤.

(٦) الإسراء: ٧٠.

وقد استدلل العلماء بهذه الآيات على طبيعة الإنسان الخيرة، وعلى الوجود الهائل من المعنويات في ذاته، فالآية تقول: ﴿وَزَيَّنَّا فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(١)، «الإيمان»، والإيمان يكتنز المعاني الأخلاقية العظيمة، وهو يختلف عن الإسلام فهو أعلى درجة منه في سلم المعنويات.

فطاقات الإنسان الخلقة، وما ينطوي عليه من مخزون هائل من المعنويات متساوية، ولكن يبقى تفجير تلك الطاقات مرهوناً (بالمثل)، وبالإنسان الذي يجسد تلك المثل بأعلى صورها.

لذا فإن وجود الرسول ﷺ له أبلغ الأثر في اكتشاف وبناء تلك الشخصيات الإيمانية، ولولا القيادة النبوية لضاعت تلك الشخصيات في مستنقع الجاهلية، وانسلخت عن إنسانيتها إذ لا يكفي وجود الصفات الطيبة في الإنسان ما لم يتم تحويلها إلى واقع، وبجعلها تظهر في السلوك، تماماً كالبذرة، فهي تحمل قابلية الثمر، ولكن تحتاج إلى من يزرعها ويتعاهدها باستمرار حتى تثمر.

لقد زرع رسول الله ﷺ، بذور الإيمان في الإنسان، وعمل على رعاية الصفات الطيبة عند الأصحاب، وقام بترسيخها في نفوسهم التواقة إلى الخير، الأمر الذي جعل الكثير منهم يذوب فيها، ويوليها اهتماماً بالغاً ويتفقدوها في كل حين.

وقد انتهج الرسول ﷺ منهجاً فذاً في تعليم أصحابه، وتهذيب

^(١) الحجرات: ٧.

سلوكهم، فكان يعمل، وبعدها يتكلم، أي قليل الكلام، كثير العمل، فجعل للعمل لساناً، إن صحَّ التعبير، وهذه الصفة نفقدها اليوم، فنحن نتكلم كثيراً ونعمل قليلاً، مما يفقد العمل بريقه، وهكذا عندما نساعد أو نعطي نستعرض عطاءنا في كل جلسة، ونلهج به كل يوم، وكأننا أعطينا كل ما في الدنيا.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَعَثَلَهُ كَمِثْلٍ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

إن الحديث في المجالس وأمام الناس عن العطاء والصدقة من أظهر مصاديق الأذى والمن، وهو يبطل الصدقات كما في الآية المباركة. والمنان يتكبد خسارتين: خسارة أمواله وخسارة حسناته، ناهيك عن السيئات التي تلحق به من جراء إراقة ماء وجه المؤمن الذي لا يُقِيمُ بملك الدنيا.

والمؤمن لا يمنّ حينما يتصدق، فهو ينتظر الأجر من الله سبحانه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، من الآفات الدنيوية والأمراض الشهوانية.

وإذا كنّا نتأسى بالنبي الأكرم ﷺ، وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فلا ن

^(١) البقرة: ٢٦٤.

عطاءهم كان سموّاً للإنسان وعلوّاً لشأنه. لذلك رفع الباري عطاءهم، وثبته في أعظم كتاب نزل على النبي ﷺ، وهو القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حُبٍّ مِمَّنْ كُنَّا وَتَيْمًا وَأَمِيرًا ۖ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾^(١).

وكما ورد في التفاسير فإن أهل البيت ﷺ لم يعطوا ذهباً ولا فضة ولا قناطير مقنطرة، إنما أعطوا خمس عشرة قرصة من الشعير.

ولم يقل الإمام علي عليه السلام للفقيه: أعطيك لوجه الله وقربة إليه.

وإنما أقرّها في نفسه، وأودعها في قلبه ثلاثة أيام بنية القربة إلى الله تعالى، وخوفاً من يوم كان شره مستطيراً، على حدّ تعبير القرآن الكريم.

ولهذه الأسباب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾^(٢).

إن هذا السلوك المتلألئ بصفات الإيثار والمحبة والإخلاص إنما جاء عبر التأثير بأخلاق رسول الإنسانية محمد ﷺ.

وكما هو ثابت في علم النفس، فالإنسان ميال إلى تقليد وتقمّص الشخصيات العظيمة، فكلما تألقت الشخصية تعمّقت نزعة التقليد عند الإنسان تجاهها، واشتدت الرغبة في تمثيل كل صفة من صفاتها.

وقد يبلغ الأمر إلى الذوبان كلياً في شخصها.

^(١) الإنسان: ٨-٩.

^(٢) الإنسان: ٩.

وهذا ما حدث لأصحاب رسول الله ﷺ وفي مقدمتهم أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام حيث قال: «و كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، وكان يرفع لي كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالافتداء به»^(١).

وهكذا تعمقت العلاقة بين الإمام عليه السلام والرسول الأعظم ﷺ، وكانت في كل يوم تزداد عمقاً واتساعاً، ولا نستثني بعض أصحاب رسول الله محمد ﷺ كسلمان، والمقداد، وأبي ذر، حيث تأثروا بشخصيته ﷺ فظهرت آثار العلاقة بينهم وبين الرسول ﷺ، عبرت عن نفسها بالدفاع المستميت عن الإسلام ومبادئه.

وهذا التجسيد الفذ جعل الكثير من المسلمين يهوى الإسلام ويسعى إلى تطبيقه، لأن القاعدة النفسية تقول: «كلما اتسعت دائرة التطبيق وكثرت النماذج المثالية ازدادت القناعة بالقيم».

فحدث التحول الكبير، وبدأ العهد الجديد في تاريخ الإنسانية، فجاءت الأخلاق بأروع صورها، وبرزت المثل بأكمل معانيها، والكل يعلم كيف قدم جعفر بن أبي طالب عليه السلام صوراً فذة، وسطر صفحات مشرقة في أدب الحديث، وسمو البطولة والشهامة، حينما وقف أمام النجاشي ملك الحبشة يجسد بطولة الإسلام وقيمته الفذة، حتى انبهر النجاشي وعلماء النصارى

(١) مناقب أمير المؤمنين: محمد بن سليمان الكوفي، ج ١/ص ٢٧٣، والعمدة: ابن البطريق، ص ١١، والطرائف: ابن طاووس الحسني، ص ٤١٥، والصراط المستقيم: علي بن يونس العاملي، ج ٢/ص ٦٥، وشرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ١٣/ص ١٩٧، وخصائص الوحي المبين: الحافظ ابن البطريق، ص ٢٦، والمناقب: الموفق الخوارزمي، ص ٥٢.

وظلوا صامتين، فخضعوا للحقيقة، وأقرّوا بالإسلام، وصرّح النجاشي قائلاً:
«لا فرق بين الإسلام والمسيحية سوى هذا الخط».

وخطّ على الأرض بعصاه إشارة إلى ذلك.

وظلّ رجل الإسلام جعفر عليه السلام يصدق بتعاليم الشريعة، ويحاجج علماء
النصارى طيلة فترة بقاءه في الحبشة، وقد ترك أثراً عميقاً في قلب النجاشي
فأسلم، ولكن كتم إسلامه، وبعض الروايات تقول إنّ النجاشي مضى شهيداً
بسبب إسلامه.

وهكذا جاءت الصور مشرقة، والمواقف مضيئة، بسبب سمو القائد.

من هنا، فإنّ للقائد دوراً كبيراً في تألق المجتمع، وتفجير طاقاته
الخلّاقة، وفي خلق نماذج عالية، لذلك فإنّ الباري عز وجل دعا إلى التأسّي
بالقائد، واتخاذَه قدوة حسنة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا
اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

فالتأسّي بالرسول الأعظم عليه السلام يرفع القيم إلى مستويات عالية، وبسمو
القيم ترتفع الهمة، وتشتدّ العزيمة نحو الكمال، وما لم يرتفع الإنسان ويسمو
بنفسه لا يمكنه أن يتحلّى بالصفات الطيبة، وليس ثمة شكّ في أن معظم
النفوس الفضائل، والعقول جرداء من الحكم المتعالية، ولكن وبعد بزوغ

^(١) الأحزاب: ٢١.

فجر الإسلام كبرت النفوس واتسع أفق العقول، فأخذت النفوس تحتضن الفضائل، والعقول تضيء بالأفكار السامية فرنت إلى الكمال بفترة قياسية قياساً مع الفترة التي ينبغي أن تقطعها النفوس والعقول في طريق التكامل.

وكما أسلفنا، فإنَّ للقائد الأثر الحاسم في سموّ النفوس، والنفوس البشرية إذا سمت تهوي إلى الصفات الطيبة، وتعشق كل ما هو جميل، وترتقي أكثر كلما رأت سموّاً وشموخاً.

ومن أمثل المصاديق نفس الطفل، فهو يلتقط صوراً من سلوك أبيه وأمه كي يحتضنها في كيانه ويضمّها بين جوانحه، فهو ينتظر صدق اللسان وحلاوة البيان والصراحة والوضوح، لأنَّ نفس الطفل طاهرة ونقية وقلبه صفحة بيضاء تحتضن كل صفة جميلة، فيظلّ تواقاً إلى الطهر والنقاء والصدق والصراحة والوضوح والليونة، وجميع الصفات الطيبة.

فعلينا أن ننمّي هذه القابليات في أنفسنا حتى نجسّدّها في أولادنا، في الحديث عن النبي (ص): «برّوا أولادكم صغاراً يبرّوكم كباراً».

فما لم ترتقِ النفوس لا يمكنها أن تثمر، وأفضل وسيلة لسمو النفس الإنسانية تكمن في التعاليم الإلهية، فهي المصدر الذي يبعث القوة ويفجّر الأحاسيس الخيرة، ومن ثمّ تعبّد الطريق تماماً.

أثر القيادة في بناء النفس:

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾^(١).

هناك ثلاث أنفس مودعة في كيان الإنسان:

١- النفس اللوامة.

٢- النفس المطمئنة.

٣- النفس الأمارة.

فالنفس اللوامة هي الضمير، الذي يستيقظ بعد ارتكاب الجريمة، ويمكن أن نقول إنها من النعم الفريدة التي قبضها الله عز وجل للإنسان، فلو لا هذه النفس لارتكب الإنسان أبشع الجرائم ولظل سادراً في غيّه، ولا يقف أمامه رادع.

أما النفس المطمئنة، فهي مستقر الفضائل ومستودع الخيرات، سواء كانت فطرية أم اكتسابية وقوة النفس المطمئنة مرهونة بالنفس اللوامة، وبعبارة أخرى: إن النفس اللوامة هي السور الواقي للنفس المطمئنة، فإذا كان الضمير حياً فإن النفس المطمئنة تخرج مخزونها من حين لآخر، أما إذا كان الضمير في إجازة إن صحّ التعبير، وفي غطاء عن ذكر الله تعالى، فإن النفس المطمئنة تبقى متوارية وخاملة.

^(١) الشمس: ٧-٨

وإذا غاب الضمير بسبب كثرة المعاصي، فإن النفس المطمئنة تتوارى وتنتهي، فعندها يموت الضمير، لأنه فقد المصدر الحيوي الذي يستمد منه القوة والنشاط، وموت الضمير يشكل منعطفاً سيئاً في مسيرة الإنسان، وبداية السقوط الحتمي، وهكذا سقط الكثير بفعل السيئات والإصرار على المعاصي.

نعود ونقول: إن النفس الإنسانية لها القابلية في أن تصبح كنفوس الأنبياء، بدليل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

فهذه الآية تدلّ على إمكانيات الإنسان الهائلة في السمو، وقدراته الخلاقة في الشموخ، ولو لم تكن موجودة لم يطلب الباري عز وجل من الإنسان التأسّي بأعظم كائن بشري، وهو الرسول الأعظم ﷺ، وحالة التأسّي فطرية في الإنسان وتنمو بشكل سليم إذا تأسّى الإنسان بقدوة حسنة، مثل الرسل والأئمة عليهم السلام، وتظهر حالة التأسّي في الطفل بوضوح، فهو يحاول تقليد والديه، ويميل إلى تجسيد سلوكيهما، فينظر إلى حركاتهما وسكناتهما وأخلاقهما وتصرفاتهما يامعان، وبالذات ما يصدر من الأب، ويظلّ الطفل يترقب سكنات وكلمات الوالدين، لأن قدرته ضعيفة على صياغة العبارات وإنشاء الجمل، لذا فإنه يميل إلى الآخرين وإلى من يكون بجانبه، فإذا تكلم الأب بأدب مع العائلة فإن الطفل يتأدّب، وإذا تعامل

^(١) الأحزاب: ٢١.

بلطف ومحبة فهو كذلك. وما من شيء إلا ويأخذه الطفل وينسج على ضوء ما يرتسم في ذهنه، وعلى صفحات قلبه، وكما هو مذكور في كتب علماء النفس التربوي فإن معظم قواعد السلوك تتكوّن في المراحل الأولى، والقواعد السلوكية (تُفَعَّد عند الطفولة)، فيجدر بالأب إذا أراد زرع الخصال الحميدة في ولده أن يستعرض حكايات الأبطال وبالذات بطولات الأئمة الأطهار عليهم السلام.

وأفضل نموذج يمكن أن يحكى عنه هو شخصية الإمام علي عليه السلام التي صدقت في كل جوانب الحياة، فأثمرت طيباً وطهرأً، فإذا كانت كذلك، فإنها تغوص في قلب الطفل، فالطفل يميل - لاشعورياً - إلى الإنسان السويّ المستقيم، وتتعلق روحه فيه، ويحاول قدر الإمكان تقليد سلوكه، وإن كان التقليد صعباً، وبتكرار الحديث عن الشخصيات تنمو العلاقة بين الطفل وتلك الشخصية، ومن ثم تهيمن كلياً على وجوده.

ولدى عرضنا لهذه الشخصيات التاريخية، فإننا نوقف الغزو الثقافي الذي يروج له الاستعمار عبر وسائله الإعلامية: التلفزيون، والسينما، والمجلات، والإنترنت، وغيرها، فلا تأخذ حيزاً من اهتمام الأولاد، ولا تؤثر في سلوكهم، وحتى لو أثرت فإن تأثيرها يكون محدوداً وفي جانب ضيق، الأمر الذي يمكن معالجته - كما أسلفنا - عبر طرح الشخصيات العملاقة التي جاء بها الإسلام.

وإذا أردنا أن نؤكد سلوك العظماء في الشباب، فأفضل أسلوب يكمن

في عرض الشخصيات الإسلامية ومعارفها، فلها الأولوية في بناء شخصية المسلم، والإنسان - كما يقول علماء النفس التربوي - يعتدّ بشخصيته كثيراً، وبالذات الشاب فهو حسّاس إزاء شخصيته، إذ لا يسمح لأحد بخدشها أو النيل منها. لأنّ كيان وشخصية المراهق يظهران بقوة عند سنّ الخامسة عشرة، وقد عبّر عنه علماء النفس التربوي بغريزة حب السيطرة والظهور.

وتظلّ الشخصية الهاجس الكبير الذي يلزم الإنسان حتى نهاية عمره، ولكن ومما يؤسف له أنّ معظم الآباء لا يلتفتون إلى أهمية هذا العمر أو قل لا يفقهون التعامل معه.

«ففي سن المراهقة يعتدّ الإنسان كثيراً بشخصيته، ومن هنا يجب أن تتغيّر نظرة الأب والأم إلى ولدهما الشاب، فلا ينبغي أن يكون التعامل معه وكأنه طفل صغير، ويجب أن يكون التعامل معه في جوّ خال من السيطرة والتحكّم، لأنّ الشاب قد غادر مرحلة الطفولة، وانتقل إلى مرحلة الرجولة، وحب الشخصية»^(١).

فينبغي للأبوين مراعاة هذه المرحلة الحسّاسة، والتعامل معها برفق وليونة، ووفق الضوابط التربوية السليمة، فيجب على أولياء الأمور أن يغيّروا من لهجة كلامهم مع الأبناء.

فعباراتهم التي كانت قبل ذلك تتسم بنبرة أمرية ينبغي أن تتغير وتتسم بالليونة.

^(١) دنيا المراهقات: محمد رضا شرفي (بالفارسية ومترجم إلى العربية)، بتصرف، ص ٣٠٨.

فإذا كان الأب يقول للطفل سابقاً: افعل كذا، أو لا تفعل كذا، وإلى آخره من العبارات المشابهة، فعليه الآن أن يقول له: «إن شئت فافعل كذا» «وأرجو أن تقوم بالعمل الكذائي إذا أمكن» وهكذا.

ومن أهم فوائد هذا الأسلوب في التعامل هو أنه يحول بين المراهق وبين الشعور بالتنافر مع الأسرة، ويشعر بدلاً من ذلك بالانسجام والتكيف مع الأبوين وبقية أعضاء الأسرة^(١). ونحن على وشك النهاية من فصل أهمية القيادة في الإسلام، نقول: إن القيادة الربانية صمام أمان لمستقبل الأجيال.

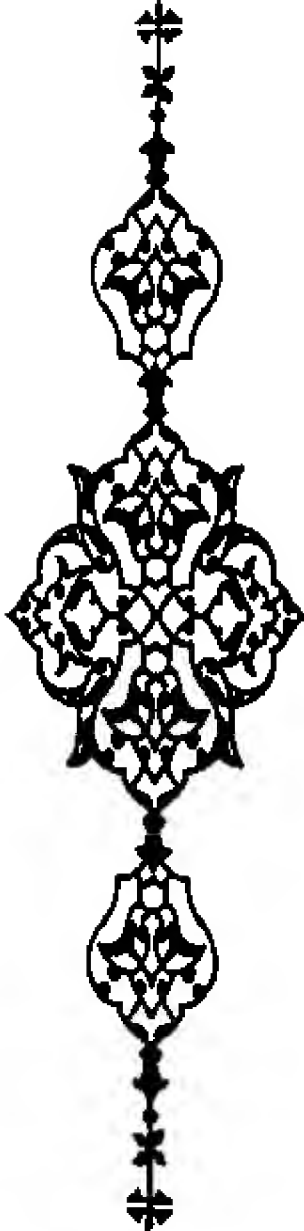
(١) المصدر السابق: ص ٣١٠.

الفصل الثاني

نسب

الإمام محمد الجواد عليه السلام

سيرته وسماته



سمات الإمام الجواد عليه السلام وسيرته

لمعرفة الإمامة ودورها في زمن الإمام الجواد عليه السلام لابد من جولة نستعرض فيها شخصية الإمام عليه السلام ونسبه الطاهر، وسيرته قبل وبعد استلام مهام الإمامة.

الولادة:

ولد في المدينة المنورة التي ولد فيها معظم الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) عدا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الحجة عليه السلام، فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولد في مكة المكرمة في الثالث عشر من رجب في جوف الكعبة، وهو أول وآخر من ولد في الكعبة المشرفة، والإمام الحجة عليه السلام ولد في سامراء في الخامس عشر من شعبان. وهناك علاقة بين مكة وسامراء، فمن مكة أشرقت شمس الإسلام، ومن العراق سوف يطل الإسلام المحمدي على العالم أجمع بقيادة الإمام المهدي عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١).

^(١) التوبة: ٣٣.

ولد الإمام الجواد عليه السلام، على رواية العاشر أو الخامس عشر ليلة الجمعة (السابع عشر من شهر رمضان سنة مئة وخمس وتسعين للهجرة).

وفي رواية أخرى في يوم الجمعة (العاشر أو الخامس عشر من شهر رجب المبارك سنة مئة وخمس وتسعين للهجرة)^(١).

تلقى الإمام الرضا عليه السلام وليده الطاهر المبارك، قال تعالى عن لسان عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(٢).

والآية تشمل كل المؤمنين، وبالذات أولياء الله.

احتضنه الإمام الرضا عليه السلام، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وأعاده بالمعوذتين من الشيطان اللعين الرجيم، وعظمه بالصمدية الشريفة.

وكما هو ثابت، فإن الطفل يحمل في بداية حياته ينبوع الخير، وهو أنقى ما يكون فيه، وقد أطلق علماء النفس الاجتماعي عليه (الإحساس المقدس)، كما

جاء في كتاب لـ (لكونتاييم) وهي الفطرة في المصطلح الإسلامي ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) كلمة الإمام الجواد عليه السلام: السيد حسن الشيرازي رحمه الله.

(٢) مريم: ٣١.

(٣) الروم: ٣٠.

فالفطرة التي معناها التوحيد كامنة في قلب كل إنسان، لاحظ الآية:
﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ﴾^(١)، ولم يقل الباري عز وجل المؤمنين أو
المسلمين. فهي مودعة في عمق الإنسان من لدن آدم وإلى آخر مولود في
هذه الدنيا.

والكلمات الأولى التي تحمل الطيب هي الأساس الذي يقوم عليه البناء
الأخلاقي كما تشكل العمق المعنوي للإنسان.

وكما هو ثابت، فإن البناء المحكم هو الذي يقوم على أساس متين
وقويم، وإذا كان الأساس متيناً، فإنه يكتنز جميع القوى المعنوية لاحقاً،
وبعبارة أوضح فإنه يمهد الأرضية لتوفير الأجواء المعنوية في الإنسان، ويعدّ
الأذان والإقامة في أذن الطفل الأساس، في خلق الأجواء المعنوية،
والصاعق الذي يفجر الأحاسيس الخيرة.

من هنا فإن النبي ﷺ، كان يلقي الكلمات الطيبة على مسامع الإمامين
الحسن والحسين عليهما السلام، وكان يغذيهما بالأخلاق الطيبة.

فقد جاء في الروايات أن الزهراء عليها السلام كانت ترسل الإمامين إلى
المسجد النبوي، وكانت تحثهما على الاستماع إلى أحاديث جدّهما رسول
الله ﷺ، فكان الإمامان يأتیان ويجلسان عند جدّهما ويستمعان بكل أدب
إلى أحاديث رسول الله ﷺ.

^(١) الروم: ٣٠.

وعندما كان الإمام الحسن عليه السلام يأتي إلى البيت، كانت الزهراء عليها السلام تطلب منه أن يعيد على مسامعها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان يلقي كل الأحاديث التي سمعها. ويعدّ هذا الأسلوب نوعاً من الأساليب التربوية الرائعة في مجال التعلم، فالتشجيع يُحدث في قلب الإنسان وقعاً طيباً ويدفعه إلى العمل، ويشدّه إليه.

وبهذا الأسلوب أحكمت الزهراء عليها السلام الأساس التربوي في الإمامين، وإن كانت الجذور الطيبة موجودة عندهما، لكن الغذاء الروحي مطلوب دائماً لتغذية الجذور.. وتبقى الكلمات الأولى هي المهمة، وهي التي تستقرّ في قلب الإنسان، وكما هو ثابت فإن مستقبل الإنسان مرهون باستقامة المرحلة الأولى، فإذا كانت طيبة تطيب حياته (والكل يتذكر صور الطفولة الطيبة والسيئة). من هنا فعلينا أن نغذي أبناءنا وهم صغار، ونسقيهم بماء المكرّمات حتى تستقيم عندهم شجرة الأخلاق، قال الشاعر:

هي الأخلاق تنبت كالنبات إذا سُقيت بماء المكرّمات

إنّ الغذاء المعنوي أفضل عطاء يقدم للطفل، لأنّه طاهر وسليم من الخبائث، وثبت أن الغذاء الطاهر يدخل في كل خلية من خلايا الطفل ويحدث وقعاً طيباً، وتبقى الخلية تحتفظ بوقع الغذاء المعنوي، وإشعاعاته تبقى مضيئة طيلة حياة الإنسان. قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ

لِلطَّيِّبَاتِ﴾^(١)، وقد أطلق القرآن الطيبات، فهي عامة وشاملة.

(١) النور: ٢٦.

إن كلمات: «الله أكبر، ومحمد رسول الله، وعلي ولي الله، وحى على الصلاة، وحى على الفلاح، وحى على خير العمل» طاهرة ونقية لأنها جاءت من خالق الكون وبارئ السماوات والأرض، وهو الصادق في قوله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(١).

إنها أظهر كلمات على الإطلاق، فهي إذا تغوص في عمق الإنسان، وبالذات في قلب الطفل لأنه طاهر ونقي، وكما قال الحكماء: «فشيء الشيء منجذب إليه».

وكلما طهر الإنسان فإن الحسن المعنوي أو المقدس ينمو فيه، ومن ثم يزداد شوقاً إلى القيم المثلى والفضائل المعنوية.

والعكس صحيح، فالإنسان إذا تلوّث بالمعاصي (الصغار بالذات)، وابتعد عن الله عز وجل، يضمّر عنده الحسن المعنوي، وتخبو فيه جذوة الإيمان.

قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾^(٢).

فالآية تربط بين إضاعة الصلاة، واتباع الشهوات، وجاء تعبير الشهوات جمعاً ليدلل على خطورة الابتعاد عن الله عز وجل الذي تمثل في إضاعة

(١) النساء: ١٢٢.

(٢) مريم: ٥٩.

الصلاة، وهو تعبير جميل، حيث إن الصلاة كانت بأيديهم فأضاعوها، وهم يعلمون بذلك.

ومن جانب آخر، فإن العمل الطيب يجعل حياة الإنسان طيبة وسامية. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾^(١)، وكثرة العمل الطيب يُطَيِّب قلب الإنسان ويُعوِّذه عليه، كما يقوي فيه الدافع إلى عمل الخير، ومثلما أسلفنا فإن قوة الاندفاع تعود إلى المراحل الأولى.

من هنا جاءت أهمية التربية وأهمية ما يلقي الأبوان على مسامع أبنائهم، فالمراحل الأولى هي التي تضمن مستقبل الإنسان وتضبط مساره طوال حياته.

يقول الدكتور سبوك في كتابه القيم (حديث إلى الأمهات): «وليس هناك شك في أن الطفل الذي يولد في أسرة مؤمنة، بدين واحد، وتؤدي فرائض هذا الدين، ويكون هذا الدين أيضاً هو الدين السائد في الحي، أو المجتمع نفسه مؤمناً، ويؤدي كل فرد فيه الطقوس والصلوات في مواعيدها، كل ذلك يؤثر في الطفل تأثيراً قوياً طوال العمر»^(٢).

وهكذا فإن الطفل إذا تنفّس عير الإيمان، واستنشق عطر العقيدة فإنه يكون بمأمن عن التيارات الفاسدة، وهجمات الشيطان، وبيات واضحاً أن

^(١) النحل: ٩٧.

^(٢) حديث إلى الأمهات: الدكتور سبوك، ص ٢٥٠.

التيارات الفاسدة أخذت تتكاثر وتنمو في كل مكان، وتهدد الأجيال في كل حين. فأصبح من الضروري تحصين أولادنا بوسائل المناعة الكافية إزاء النمو المتعاضم للتيارات الفاسدة، تماماً كما لو انتشر وباء الكوليرا، أليس الكل يتأهب للوقاية يأخذ الحذر، ولكن ما بالناس إزاء الأمراض الأخلاقية نتهاون ونتقاعس، وهي أشدّ وطناً وأكثر ضراوة، حيث إنها تصيب عقل الإنسان وفكره وأخلاقه.

وكما هو ثابت في علم النفس الاجتماعي، فإن المرض الأخلاقي إذا أنشأ أظفاره في سلوك الإنسان، فإن كل شيء يمرض ويصيبه الهزال، فعليه وحتى لا ندع مجالاً للأمراض الأخلاقية أن تجد طريقها إلى السلوك لا بد أن نسلح أولادنا بالتربية الصالحة.

إن أهم مرحلة في حياة الإنسان هي السنوات الأولى، فهي المرحلة الأساس لتشييد صرح الأخلاق وإقامة بنائه، وهي مرحلة سهلة الصياغة حسب قول «بيرتون وايت» مؤلف كتاب (الطفل حتى الثلاث سنوات):

«لقد بينت الدراسة أن صعوبة تربية الطفل تزداد عندما يبدأ بالحبو، فمن خلال تقصّي كثير من المواقف التربوية في دول العالم سواء مع الأسر الغنية أم الفقيرة نجد أن غالبية الأطفال في الفترة من الفترة من ثمانية أشهر الأولى إلى السنة يكونون على درجة كبيرة من التربية السليمة، وذلك لأن متطلبات النمو السليم تكون أبسط بكثير في هذه المرحلة»^(١).

^(١) الطفل حتى الثلاث سنوات: بيرتون وايت.

فنفسية الطفل في هذه المرحلة - إن صح التعبير - كالطين الاصطناعي فهي تتشكل كيفما نريد، فينبغي أن نضعه في قالب سليم، ونلاحظ القالب بين الفينة والأخرى حتى يستقيم، فمن الخطأ إهماله، وإيكال أمره إلى الشارع والأصدقاء والتلفزيون، وغيرها من الوسائل الحديثة التي يكون الإفساد فيها وارداً.

فتلك الوسائل أصبحت مفسدة غالباً، وتحولت بعضها إلى بؤرة تفوح منها رائحة المجون ومنها التلفزيون، فإن البرامج التلفزيونية أضحت فاسدة فهي تقزّم العقلية، وتضيّق الآفاق وتلوّث الأخلاق.

ورسالتنا الإسلامية لا تسمح إلا بملاحظة الأولاد ورعايتهم ببرامج حيوية ومفيدة، وبأساليب شيقة، ويدخل في هذا الإطار أسلوب القصة، فهي أفضل وسيلة يتم بها تطعيم عقل الطفل بالمثل والقيم الأخلاقية الرفيعة، كما إنها أمثل وسيلة نشدّ بها أطفالنا إلى التعاليم الدينية باستمرار.

وكما هو معلوم في علم النفس فإن الطفل لا يتحمّل الكلمات والعبارات التي تفتقر إلى الأمثال والإشارات، لأن الصورة تشدّه وتنطبع في الذهن، فعليه إذا أردنا أن نفتح عقل الإنسان وقلبه ونغذيها بسهولة، فينبغي أن نصبّ العبارات والمثل الأخلاقية في قالب قصصي وروائي.

وهكذا هو القرآن الكريم فهو يستعمل أسلوب القصة، وبصياغات

شيقة وجذابة، قال الله عز وجل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾^(١).

^(١) يوسف: ٣.

وقال الله عز وجل: ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾^(١).

وقد استعمل القرآن الكريم أسلوب القصة بأروع صورها من كلمات تصويرية، واختصار رائع حتى كأنك تشاهد الحدث.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾^(٢).

وهكذا يستعرض مشهد السقي لامرأتين، ولكن بعبارات رائعة «تذودان»، «يصدر» كلمات تنطق وتكلم، وفي الوقت نفسه ضمنها المثل الأخلاقية العالية، وهي العفة وعدم الاختلاط.

قال تعالى: ﴿ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾^(٣)، فالنساء لا تزاحم الرجال، فانتحيتا حتى يصدر الرعاء.

على كل حال، فالقصة لها أثر بالغ في النفس والقلب، وأثرها لا ينمحي والكثير وقف على ذلك، وبالذات عندما يستعرض صور الطفولة.

ومن الأساليب الشائعة للطفل (الهدية)، فلها الأثر البناء في إنشداد

(١) الكهف: ١٣.

(٢) القصص: ٢٣.

(٣) القصص: ٢٣.

الأولاد، فإذا أردتما أيها الأب، وأيتها الأم سهولة التعليم والحفظ والتلقي فعليكما بالهدية.

فإنَّ الطفل ينجذب إليها حتى لو كانت بسيطة، قال رسول الله ﷺ: «جبلت الناس على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»^(١).

إذا عانيت من ولدك ووجدته صعب المراس فقدمْ هدية ولو بسيطة، فسوف تراه سباقاً إلى كل ما تريد.

وثمة أسلوب آخر هو التشجيع، فهو من الأساليب المثمرة، فإذا لمست من ولدك بادرة جميلة مثل استقبال الضيوف، فقل: أحسنت، أنت مثل الرجال تستقبل ما أحلى استقبالك، وما أجمل العبارات التي قلتها.

وكذلك تشني عليه إذا حفظ آية كريمة أو اسماً مباركاً من أسماء الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فقل: ما شاء الله، كم أنت ذكي وفطن، وكم أنت متفوق، إنك سوف تصبح عالماً كبيراً.

إنَّ أسلوب التشجيع - كما يقول علماء التربية - من الأساليب البناءة في تنمية ونمو قدرات الإنسان، وفي تفجير عامل الإبداع، وقد أستعمله رسول الله محمد ﷺ مع الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام في قضية الخط المعروفة.

وأسلوب التشجيع ليس فقط مفيداً للصغار، وإنما هو ذو أهمية بالغة في الكبار.

^(١) حياة الإمام الرضا: الشيخ باقر شريف القرشي، ج ١/ص ١٨٤.

يقول علماء التربية في أسلوب التشجيع: إنه يصنع المعجزات في الإنسان ويحوّله إلى كتلة من النشاط والحركة.

الإمام الجواد عليه السلام في رعاية أمه سبيكة:

أمه سبيكة أو درة أو سكينه النوبية، لأنها كانت جارية من منطقة تقع في وسط وادي النيل جنوب مصر (حالياً) وشمال السودان، والمنطقة تعرف بالنوبة والنيل بالنيل.

جاء في (الكافي): أنها من أهل مارية القبطية، اشتراها الإمام الرضا عليه السلام في مكة، وبعد فترة قصيرة حملت بالإمام الجواد عليه السلام، وقد بشر الإمام الرضا عليه السلام أصحابه بولادة الإمام الجواد عليه السلام، فقال في الثناء عليها: «قد ولد لي شبيه موسى بن عمران، فالحق البحار، وشبيه عيسى بن مريم، تقدست أم ولدته، قد خلقت طاهرة مطهرة»^(١).

قول الإمام الرضا عليه السلام (تقدست أم ولدته قد خلقت طاهرة) يدل على سموّ والدته الإمام الجواد عليه السلام، وعلى كرم المحتد، وطهارة النطفة التي أُنعت منها.

وكما هو ثابت فإن الأصالة تملك قوة تأثير تمتد لقرون متطاولة، وتظل تنتقل من جيل إلى جيل.

^(١) مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني، ج ٧/ص ٤٠٠، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٥٠/ص ١٥، والأنوار البهية: الشيخ عباس القمي، ص ٢٥١.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله يحفظ ولد المؤمن في ألف سنة»^(٢).

وكلما ازدادت الأصالة تعمقت القوى المعنوية في الإنسان وتهيأت لها أسباب التوارث، أيها الآباء والأمهات إنكم آباء لأجيال متعاقبة قد لا تنتهي سلسلتها إلى يوم القيامة، فعليكم بالأخلاق والمثل العليا، وحب أهل البيت عليهم السلام، وعليكم أن تمارسوها عملياً لأن الممارسة تأصل الأخلاق، وتعمق جذورها، وهذا هو معنى الأصالة، وكلما تأصل الخلق فإنه ينتقل إلى الذرية، قال تعالى ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣)، ومن جيل إلى جيل.

وإذا كانت الأخلاق تنتقل وتتوارثها الأجيال فما علينا نحن الآباء إلا أن نقدم الأفضل والأحسن والأنقى، وهذا هو أفضل شيء يمكن أن نقدمه لأولادنا، فهو الباقي، إذ لا زوال له، وكل ما في الوجود بريقه يزول خلا الأخلاق والمثل، وهكذا فإن اللباس يبلى والثروة تنتهي، والوجاهة تذهب، وليس لها الأثر العالي، إن لم تترك الأثر المشين. ولكن الأخلاق تبقى،

^(١) الطور: ٢١.

^(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٦٨/ص ٢٣٦، وتفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي،

ج ٢/ص ٣٣٩.

^(٣) آل عمران: ٣٤.

ويمتد أثرها المحمود إلى أجيال عديدة.

من هنا فإذا سقيت ولدك المعرفة وأصول التعامل فسوف ترسي في كيانه قاعدة متينة لها آثارها الإيجابية، ومن آثارها تمكن في أولادك الصفات الحميدة.

وعليه فإن السيدة سبيكة جمعت أصول المعرفة، ومعالي الأخلاق، فتألفت في سماء التقوى والعفة والتزاهة والورع، وجاءت هذه الخصال بسبب اقترانها بأعظم شخصية عرفت في زمانها وهو الإمام الرضا عليه السلام. وكما هو معروف فإن الإنسان يكبر إذا لازم الكبير، ويصغر إذا اتبع الصغير والحقير.

ولا أدل على ذلك من هؤلاء الصعاليك الذين يسجدون على أعتاب الملوك والرؤساء، كل ذلك ابتغاء دراهم معدودة كسمرة بن جندب، وعمرو بن العاص الذي خدم معاوية حتى صار ذليلاً، وحديثاً كعبد الله بن جبرين وغيره الذين أفتوا بذبح الشيعة، وهكذا يجسّدون ضحالة المستوى، وتملقاً لا نظير له.

ولكن تختلف الحالة عندما يدور الإنسان في فلك العظماء، فترى الصراحة والشجاعة والحكمة والمعرفة بأروع صورها، وقد تجلّت هذه الصفات في أصحاب رسول الله ﷺ، والأئمة عليهم السلام.

لذلك تلاحظ أخلاق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام نسخة ثانية من أخلاق النبي ﷺ، وقد قدموا الصور المشرقة في الشجاعة

وسمو النفس والمعرفة (ما لا نظير له).

المرأة قد تكون عظيمة:

فالسيدة سبيكة إنما كبرت عندما استظلت بالشجرة المباركة التي ضرب الله بها مثلاً أصلها ثابت وفرعها في السماء، وكانت في كل يوم تكبر لأنها لازمت بقوة الإمام الرضا عليه السلام وذابت فيه، وعندها تكونت المؤهلات لتصبح أمّاً للإمام الجواد عليه السلام.

أريد أن أقول: إن قوة الأصالة في كثير من الأحيان تأتي من الأم، ولذلك فإن الأحاديث تؤكد على الزوجة الأصيلة.

قال رسول الله ﷺ: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لأخيه عقيل: «يا عقيل، انظر إلى امرأة ولدتها الفحولة من العرب، تنجب لي ولداً فارساً وشجاعاً»^(٢).

وكان أبو الفضل العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام الذي أنجبته أم البنين وهو مثال رائع في الشهامة والرجولة والإيثار، وفي طاعة أخيه الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ولنعم ما قال الشاعر:

^(١) السرائر: ابن إدريس الحلبي، ج ٢/ص ٥٥٩، وإعانة الطالبين: البكري الدمياطي، ج ٣/ص ٣١٢، وحياة

الإمام الحسين: الشيخ باقر شريف القرشي، ج ١/ص ٤٥.

^(٢) عمدة الطالب: ابن عتبة: ص ٣٥٧، ومقتل الحسين: أبو مخنف الأزدي، ص ١٧٥، والأنوار العلوية:

الشيخ جعفر النقدي، ص ٤٤١.

لله أقماراً أفلن بكربلا ولها يشرب والمحصب مطلع
 أنست بهم أرض الطفوف وأوحشت هضبات يشرب والمقام الأرفع
 فالزوجة الأصلية تنجب أولاداً نجباء وطيبين، ولكن كيف نعرف
 الزوجة الأصلية؟

تشير الأحاديث الشريفة إلى الأم، ثم الأب، فإذا كانت الأم مؤمنة
 وطيبة وتتبع آل البيت عليه السلام فقد جمعت شروط الأصالة، واكتنزت معادن
 الأخلاق، وبحسب استقرارني فإن الأم تؤثر كثيراً في أصالة البنت، فهي التي
 تنقل كل ما فيها وعبر (اللبن) إلى أبنائها.

وكما هو معلوم فإن لبن الأم ينقل إلى الطفل القيم الأخلاقية والدينية،
 لذلك فإن الله عز وجل حرم المراضع على النبي موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ
 يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ﴾^(١).

لاحظ تعبير: «وحرمنا المراضع»، فالباري عز وجل منع المراضع عن
 موسى عليه السلام ومن رحمته أن أعاد موسى عليه السلام إلى أمه كي يرتضع من ثدي
 الإيمان والصفاء والأخلاق.

فالأم لها الأثر البناء في استقامة ولدها، وفي ديمومة أصالته، لذلك فإن
 الله عز وجل اكتفى بالسيدة مريم عليها السلام أمّاً لعيسى عليه السلام التي نشأت وتقلبت

^(١) القصص: ١٢.

في أرحام طاهرة وسليمة، وترعرعت في حضن النبوة.

قال تعالى: ﴿فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْمَرِمُ أَنَّ لِيَ لَبًّا هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

ولا ننسى الزهراء (صلوات الله عليها)، فإن الله عز وجل اختار لها أمًا طاهرة وهي السيدة خديجة عليها السلام، فكانت أظهر أم للزهراء عليها السلام التي هي النموذج العالي للطهر والعفة والصفاء.

قال رسول الله ﷺ: «وأما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»^(٢).

وهناك ملاحظة أرجو ألا تفوتني وأنا في صدد الأصالة، فإن من يستقرئ ولاء المؤمنين لأئمة أهل البيت عليهم السلام فسوف يجد أمًا تعرقت فيها الأصالة، خذ على سبيل المثال الشهيدة سمية أم عمار بن ياسر، وأسماء بنت عميس أم محمد بن أبي بكر، وأم قيس بن سعد بن عبادة، وميثم التمار، ومالك الأشتر، وأصحاب الإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام، ومنهم الحر بن يزيد الرياحي الذي كانت أمه الصالحة تقني الله وتحب أهل البيت عليهم السلام.

^(١) آل عمران: ٣٧.

^(٢) مستدرک سفينة البحار: الشيخ علي النمازي، ج ٨/ص ٢٤٦، وميزان الحكمة: محمدي الريشهري، ج ١/ص ١٥٠، وبشارة المصطفى: محمد بن علي الطبري، ص ٢٧٤، واللمعة البيضاء: التبريزي الأنصاري، ص ٨٥٣، وبيت الأحرار: الشيخ عباس القمي، ص ٤٧.

وغيرهم ممن محضوا الولاء لأمر المؤمنين عليه السلام، وأولاده المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين).

يقول الشاعر:

لا عذب الله أمي إنها شربت حبّ الوصيّ وغذّ تنيسه باللبن
وكان لي والدٌ يهوى أبا حسن فصرت من ذي وذا أهوى أبا حسن^(١)

والملاحظة الأخرى قد يكون الأب صالحاً وطيباً، ولكن إذا كانت الأم لثيمة النسب والحسب، فإن الذرية ترث اللؤم والضعف، وقد تنحرف بلؤها وتهبط إلى الحضيض، وتكمن المشكلة في التوارث المستمر والمتواصل، والشيء الوحيد الذي يقطع ذلك التوارث هو الأم الأصلية.

فإذا استبدّ اللؤم في نفوس جيل، فعلينا أن نزيحه بأم طيبة، لذا ينبغي أن نهيب لأبنائنا زوجات طيبات ومحبات لأهل البيت عليه السلام كي يمنعوا الخسة والضعف لأن «حبّ علي إيمان وبغضه كفر»^(٢)، كما يذكر مسلم في (صحيحه)، نقلاً عن رسول الله ﷺ.

والإيمان يطهر وينقي الشوائب بكافة ألوانها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا

^(١) نور البراهين: السيد نعمة الله الجزائري، ج ١/ص ٣٦، والإمام علي: أحمد الرحمانى الهمداني، ص ٣٨.

^(٢) عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق، ج ١/ص ٩٢، والخصال: الشيخ الصدوق، ص ٤٩٦، والأمالى: الشيخ الصدوق، ص ١٥٠، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٣٨/ص ٩٥، ومستدرک سفينة البحار: الشيخ علي النمازي، ج ٨/ص ٥٢٥، وبشارة المصطفى: محمد بن علي الطبري، ص ٤٤، وكشف الغمة: ابن أبي الفتح الأربلي، ج ٣/ص ١٠٣، وبنایع المودي لذوي القربى: القندوزي، ج ١/ص ١٧٣.

وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١﴾

وهنا أطلق الباري عز وجل كلمة «الأمن» فإذا هو يشمل الأمن بكافة أشكاله، أمن من الخوف والانحراف والشيطان والبخل والضعف.

وهذه الرذائل تأتي بأسباب، ومن أسبابها اللبن الذي يرتضعه الوليد، وبالذات اللبن الذي يحمل البغض لآل البيت عليه السلام، وإليك هذه القصة لتكون شاهداً على ذلك.

عندما ألقى القبض على الثائر الكبير آية الله الشيخ فضل الله النوري، وحكموا عليه بالإعدام، ارتقى منصة الإعدام، وقد حضر لمشاهدة حفل الشهادة جمع غفير، ومن بينهم ولده كيان نوري، وعندما وضعوا جبل المشنقة في رقبة الشيخ فضل الله أخذ ولده كيان نوري يصفق ابتهاجاً وفرحاً.

وهكذا ظل يصفق إلى أن ارتقت روح الشهيد إلى الله عز وجل، وقد تعجب الكثير من فعل كيان نوري، وتساءلوا ما السبب في تصرف كيان نوري؟ وكيف وصل به الأمر ليصفق ويبتهج؟

وراح البعض يبحث في العلة، فوجد أن كيان نوري كان يسكن مع والدته في سامراء، وكانت آنذاك حاضرة العلم.

وفي أحد الأيام كانت أم كيان نوري خارج البيت تركت الصبي، فجاء وأخذ يصرخ، فجاءته إحدى النساء - المبغضات لآل البيت عليه السلام -

فأخذت كيان نوري وأرضعته، إلى أن جاءت أمه، فعلم الشيخ فضل الله بذلك، فقال: إنه طالما رضع ولدي من هذه المرأة فإنه لا يستقيم.

وكان يكرر هذه العبارة لأصدقائه، وقد صدق الشيخ، فشبَّ كيان نوري وقلبه مترع بالحقد والبغض لما هو طيب وطاهر، وظل معادياً لأبيه، وقد يسأل البعض: ألم تكن أم كيان نوري طيبة فتمنع الخسة عنه؟

الجواب: يبدو أن الحقد والبغض كان هائلاً ومتعرِّقاً في قلب المرأة، فمنع الطيب عن قلبه، وحجز عنه كل ما هو طاهر.

وثانياً إن كيان نوري حمل الاستعداد للانحراف، مما جعله مستعداً في كل لحظة لأن يصادق الشيطان، بالضبط مثل ولد الزنا، فهو يحمل الاستعدادات للانحراف، لذا فإن ولد الزنا لا يستقيم، أو يعشق الدين وحب آل البيت عليه السلام، وقد يحب الدين ويميل إليه، ولكن - وكما ثبت - لفترة محدودة، ثم بعدها ينحرف حيث يظهر معدنه الحقيقي، والأثر السيء للعمل المشين.

ونحن في صدد أصالة الأم، وأهمية دورها في حياة الإنسان، يتبادر إلى ذهن الكثير: لماذا تزوج سبعة من الأئمة الأطهار عليهم السلام نساء غير عربيات، وصرن أمهات لستة أئمة عليهم السلام منهم؟

١- السيدة حميدة البربرية: زوجة الإمام الصادق عليه السلام، وأم الإمام

الكاظم عليه السلام.

٢- السيدة تكتم: زوجة الإمام الكاظم عليه السلام، وأم الإمام الرضا عليه السلام.

٣- السيدة سيكة: أو وردة، زوجة الإمام الرضا عليه السلام، وأم الإمام الجواد عليه السلام.

٤- السيدة سماعة المغربية: زوجة الإمام الجواد عليه السلام، وأم الإمام الهادي عليه السلام.

٥- السيدة سوسن: زوجة الإمام الهادي عليه السلام، وأم الإمام الحسن

العسكري عليه السلام.

٦- السيدة نرجس: زوجة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأم الإمام

الحجة القائم عليه السلام.

إنَّ إحدى الميزات التي اختص بها الإسلام تكمن في نظرته العالية للإنسان، فهو بقيمه الفذة جاء ليضع الإنسان في الموقع الذي يليق به، فأفرد له مقاماً عالياً.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾^(١).

فالتكريم يجسد احترام الإنسان، وكذلك تذليل الأرض بما فيها الماء ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٢)، والرزق الطيب ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾^(٣).

ومن ثم التفضيل على جميع الكائنات: ﴿عَلَى كَثِيرٍ﴾^(٤)، ومعنى كثير في اللغة (الجميع).

^(١) الإسراء: ٧٠.

^(٢) الإسراء: ٧٠.

^(٣) الإسراء: ٧٠.

^(٤) الإسراء: ٧٠.

وهكذا أعطى الله للإنسان مكاناً عالياً في الأرض، وفي السماء، حيث أعد له مقاماً محموداً، فالجنة تمثل أعلى صور التكريم، فهي مأواه ومقامه المحمود، وهو تكريم ما بعده تكريم. قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾^(١). إن هذا التكريم والتعظيم يجسد الرؤية الإسلامية الصحيحة التي تغاير الواقع المادي، أو النظرية المادية التي استخفت بالإنسان، وذلك عندما حصرت حياته في هذه الدنيا، وجعلتها هدفاً نهائياً له، فالحياة الدنيا لا يمكن أن تكون هدفاً نهائياً للإنسان، أولاً لأنها محدودة وتزخر بالشياطين الذين ينغصون حياة الإنسان في كل لحظة، ولأن الإنسان لا يكرم في أغلب الأوقات بسبب كثرة الابتلاءات والحروب والجرائم التي تهدد حياته باستمرار. جاء في تقرير «إن الدول النووية تملك ما ينوف على مليون قنبلة أفتك من قنبلة هيروشيما، أي ما يكفي لإبادة خمسمائة مليار إنسان».

ويقول التقرير: «إن مخازن المواد المتفجرة تحوي من المواد ما لو وزعت على أهل الأرض لكان نصيب الواحد منا خمسة عشر طناً»^(٢).

هذا ما قدمته الحضارة المادية للإنسان، بينما الإسلام وفر السبل الكفيلة لتكريمه ودفعه إلى المقام المحمود الذي يليق به، والدين الإسلامي هو المكان المناسب للإنسان، وأفضل إطار يمكن أن يضع نفسه فيه.

والسؤال: لماذا الإسلام هو الأنسب لمقام الإنسان؟!!

(١) الضحى: ٤.

(٢) صور مشرقة من وحي الإسلام: ص ٧٣.

الجواب: إن الدين الإسلامي كامل، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

فإذا كان الدين الإسلامي كاملاً بنص الآية المباركة، فهو يكمل ويرمم النقص الذي يحدث في حياة الإنسان، وهكذا فإن الإسلام عالج وباستمرار الفجوات التي تحدث في المجتمعات الإنسانية، من جراء التطورات التي تحصل بفعل قانون التكامل.

فقانون التكامل، يفرض على البشرية واقعاً مغايراً لما سبق، وقد يكون الواقع في بعض الأحيان مختلفاً في جوانب عديدة، فجاءت الحلول الإسلامية - إن صح التعبير - لتلائم الواقع الجديد، وتكسبه اللباس الإسلامي.

فعلى سبيل المثال: فإن الإسلام قدّم حلولاً معقولة لقانون (اختلاف الحضارات)، قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(٢)، أي وفق ما يرتئيه، بشرط ألا يخرج العمل عن سمته الإنسانية والخلقية، ولا يضر الآخرين.

قال رسول الله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»^(٣).

^(١) المائدة: ٣.

^(٢) الإسراء: ٨٤.

^(٣) الخلاف: الشيخ الطوسي، ج ٣/ص ٤٤٠، ومختلف الشيعة: العلامة الحلي، ج ٦/ص ٣٣٨، ورسائل فقهية: الشيخ الأنصاري، ص ١١١، والأحكام: الإمام يحيى بن الحسين، ج ١/ص ١٣٤، والاقناع: موسى الحجاوي، ج ١/ص ٢٨٣، ومغني المحتاج: محمد بن الشربيني، ج ٢/ص ١٨٣، والدر المختار: الحصفكي، ج ٧/ص ١٦٥، وسبل السلام: ابن حجر العسقلاني، ج ٣/ص ٢٠٨، ومجمع الزوائد: الهيتمي، ج ٤/ص ١١٠، ونصب الراية: الزبلي، ج ٦/ص ٤٣٤.

ووضع الإسلام أيضاً حلاً في اختلاف الشعوب والقبائل، سواء في شكل التعامل مع متطلبات الحياة، أم في طريقة تناول القضايا التي تهم عيش الإنسان بما في ذلك عيشه الكريم وحياته الحرة.

فإذا أرادت الشعوب بمختلف ألوانها التعاون وتقديم الأفضل فما عليها إلا أن تتقارب وتتعارف.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝﴾^(١).

فعند اختلاف الآراء يكمن الحل بـ«التعارف»، وهي مفردة تتضمن الكثير من السمات الإنسانية، إذ تتجلى فيها معاني التقارب والتعاون والتعاقد والتوادم والتحابب، وغيرها.

وحتى يتم التعارف ينبغي استيعاب الطرف الآخر بدقة، وهذا يستدعي التقارب والتآلف، ثم بناء علاقة وثيقة معه، ففي النظرية الإسلامية، فإن الاختلاف بين الشعوب شيء طبيعي، وسنة من سنن الله تعالى، يحصل نتيجة اختلاف التركيبة العقلية والذهنية، وعوامل أخرى منها الوراثة.

وحتى لا يبقى الاختلاف والفجوات، جعل الإسلام «التعارف» حلاً ومخرجاً سليماً، وفي نفس الوقت أعطاه صفة التكامل لأن حكمة «لتعارفوا» تتضمن هذا المعنى! والإسلام يدعو إلى الاستفادة من تجارب الآخرين،

^(١) الحجرات: ١٣.

والاستعانة بعقولهم، فلكل أمة تجارب وفي بعضها يكمن الحل لمشكلة عويصة ومزمنة، وتعدّ علماً بحد ذاتها.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «في التجارب علم مستأنف»^(١).

فإذا كان لكل أمة عقل وتجارب، فإنّ الكل يحتاج إلى الكل، لا أن يتناقض معه، كما هو الآن، والكل يكمل الكل، وهذا قانون سنّه الله عز وجل.

فكل ما في الوجود له أهمية ولو كان جزئياً، فهو يكمل ويساعد على الكمال، إذ لا غنى عن كل شيء حتى لو كان صغيراً، وهو ليس بصغير طالما يكمل ويغني، فإنّ كل ما في الوجود «كبير» طالما هذا الوجود يكمل الآخر، كأجهزة الطائرة (فكل جزء منها كبير) بسبب احتياج الطائرة إليه، فمن دون ذلك الجزء يكون ناقصاً وضعيفاً.

إذاً لا مندوحة من الاستفادة من أي كائن في هذا الوجود، والكل كبير في نظر الإسلام ولا غنى عنه.

إنّ التفاوت بين إنسان وآخر في نظر الإسلام يكمن فيه الكمال، ثم هو سلّم لمن أراد الرقي، وقد أخطأ الفكر المادي عندما طرح أفكاراً استغلالية بخصوص هذا التفاوت فأعطى اعتباراً للقوة والسطوة بدل الفكرة والتجربة، فاعتبر القوة هي المعيار في التفاضل، والميزان في التعامل.

^(١) كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكي، ص ١٧٢، ودستور معالم الحكم: ابن سلامة: ص ١٨، ونزّهة الناظر وتنبية الخاطر: الحلواني، ص ١٤٤، وشرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ٢٠/ ص ٢٥٩.

فطرح نظريات منها «استغلال الشعوب الضعيفة وسحقها»، وفرض القيود التي تكبل إرادتها وتحطم شخصيتها.

وهكذا فرضت الدول الكبرى هيمنتها على الدول الضعيفة واستغلتها ببشاعة لا نظير لها، ثم حاولت بثّ الأساليب تجريد الدول الضعيفة من مقومات الحياة، عندما فرضت حُكماً ساديين ومجرمين مثل طاغية العراق صدام حسين وأمثاله الذين هم نموذج صارخ في السادية والإجرام.

من هنا وبدل أن تمدّ هذه الدول يد المساعدة لإنقاذ الشعوب الضعيفة وتقويم حياتها راحت تجرّدها من مقومات الحياة والتقدم، وأخذت تجهز على كل ما يساهم في نهوضها، ولهذه الأسباب ما زالت دولنا تعيش في عصور ما قبل التاريخ، ولكن بصورة أبشع وأوسخ.

عوداً على بدء نقول: إنّ الإسلام قدّم حلولاً ناجعة لاجتثاث جذور الاختلاف والفوارق وضيق الهوة بين الطبقات الاجتماعية والشعوب، عندما طرح نظرية التعارف والتكامل فيما بينها.

زواج الأئمة عليه السلام من غير العربيات:

ويدخل في هذا الإطار اقتران أئمة أهل البيت عليه السلام بزوجات غير عربيات وهي خطوة عملية كانت مثمرة في طريق جمع الشعوب ونسف الحواجز.

وكان الزواج ذا أبعاد متعددة فهو:

(١) - رداً على النعرة القومية التي اعتمدها الحكم الأموي:

فقد اعتمدت السياسة الأموية أسلوب التفضيل للعرب والتكيل
بغيرهم، ففضّلت العنصر العربي، وميّزته باعتبارات لا أساس لها ولا تمتُّ
إلى الدين بصلة.

وقد مارس الكثير من الولاة الأمويين هذه السياسة البغيضة، وأصلوها
في عمق المجتمع، وصارت مقياساً أعلى للتفضيل بين طبقات المجتمع
المتنوع في شكله ولونه وانتمائه القبلي.

ومن جملة الولاة عمر بن هبيرة والي العراق كان من دواعي فخره أنه
لم يعرض له أمر رأى فيه منفعة لقومه إلا فعله^(١).

والجراح الحكمي يصرخ على منبر المسجد: «والله لرجل من قومي
أحب إليّ من مئة غيرهم»^(٢).

وعبيدة بن عبد الرحمن السلمي والي أفريقيا.

ومن جانب فقد أذلّ الحكم الأموي (المواليين) ونكّلوا بهم، ومارسوا
بحقّهم أبشع أنواع الإذلال والاستحقار، ولم يسمحوا لهم بممارسة الأعمال
الحياتية بشكل مستقل.

وقد أخذت هذه الظاهرة (التمييز العنصري) تضرب بظلالها السوداء
على المجتمع، وتزرع فيه الصور المقرّزة إزاء الموالين الذين أسلموا ودخلوا

^(١) تاريخ الطبري: الطبري، ج ٥/ص ٣١٤.

^(٢) المصدر السابق: ج ٥/ص ٣١٤.

فيه عن قناعة.

وقد ظهرت آثار التمييز وطففت على سطح المجتمع لتعبّر عن نفسها بأشكال مقبّية!

فقد امتنع الكثير من العرب عن الزواج والاقتران بالموالي أو العنصر غير العربي، واعتبر الزواج من الموالي عاراً وشناراً، فعلى صعيد المسؤولين اعتبروه إهانة وتحقيراً لمقامهم السامي، وقد تجذّرت هذه الروح البغيضة وحفرت هوة واسعة بين طبقات المجتمع الإسلامي، وتحوّلت الهوة إلى حاجز نفسي، الأمر الذي أدّى إلى اشمئزاز الكثير وتنقّرهم من الإسلام.

وفي نظري فإنّ السياسة الأموية منعت الكثير من الدخول في الإسلام وزرعت العقبات تلوّ العقبات.

ولولا هذه السياسة الخرقاء التي أدّت إلى إثارة العداء بين الطبقات المتواضعة والأخرى المتكبّرة لما احتاجت الدولة لأن تجيّد الأعداد الهائلة التي استنزفت بيت المال وأرهقت ميزانية الدولة، ولما اضطرت إلى عقد معاهدة مذلة مع الروم، ناهيك عن الخسائر الإنسانية الفادحة التي هي أهم من المال.

وإزاء هذه الظاهرة البغيضة انبرى الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) في قمع الروح الجاهلية التي عشّشت في النفوس، وتجذّرت في السلوك حتى أخذت طابعاً مزريراً وكريهاً.

فقد ابتكر الأئمة الأطهار أساليب رائعة تمثّلت بكسر الحواجز النفسية

التي يقول عنها علماء النفس إنها من (أقوى الحواجز)، ومن جملتها الزواج من غير العربيات.

وأول زواج كان من شاه زنان بنت كسرى «يزدجرد».

فقد تزوج الإمام الحسين عليه السلام منها فأولدت سيد الساجدين وزين العابدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وقد عاب البعض هذا الزواج وعده خرقاً للأعراف الجاهلية، ولكن الإمام الحسين عليه السلام لم يعبأ بذلك لأن الانصياع لذلك ينافي الأخلاق الإسلامية، وكذلك ظهر الاعتراض عندما تزوج الإمام زين العابدين عليه السلام من أمته.

وأول من اعترض هشام بن عبد الملك عندما عير زيدا (رضوان الله عليه) بأمه.

لكن زيدا الشهيد ردّ عليه بأدلة متينة أظهرت قدرته العلمية وشجاعته في التصدي لأكبر مسؤول حكومي آنذاك.

(٢) - تثبت معيار ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾^(١):

لقد ثبت الأئمة عليهم السلام معيار (التقوى والفضيلة) عملياً من خلال الزواج بالنساء غير العربيات، وكما هو معلوم فإن الدولتين الأموية والعباسية كادتتا تجهزان على المعايير الإلهية، فقد كرّس السلاطين (مفهوم القومية) بأضيق أطرها، حتى أخرجوها من إطارها الطبيعي والفطري فحصرها المسؤولين

^(١) الحجرات: ١٣.

الضخمة في ثلة مشكوك في كفاءتها ومؤهلاتها، مستغلين الأحاديث النبوية بشأن الخلافة مثل: «الخلفاء اثنا عشر كلهم من قريش»^(١).

والحال أن الأحاديث النبوية الشريفة هي خاصة بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام والذين هم من ذرية النبي محمد صلى الله عليه وآله.

وجاء التعيين من قريش كتعريف، وليس تكريماً للعرقية والقومية. ولكن الحُكَّام - وهذا ديدنهم - يستغلون كل شيء لمصلحتهم، فأخذوا يحرفون الأحاديث النبوية عن مواضعها، ويستغلونها في تثبيت المفهوم القومي الضيق.

فقالوا: إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو الذي أعطى لقريش المكانة، بعد أن عين الخلفاء منهم.

وكما أسلفنا فإن التعيين إنما هو للتوضيح وكإشارة إلى سمة يمتاز بها الخلفاء، وليس لأن قريشاً هي أعلى كعباً وأرفع شأنًا، والباقيون لا شيء.

فإذا كان الحُكَّام يكرسون مفهوم القومية الضيقة، ويمارسونها باستمرار فإن سلوكهم يسري وفق قاعدة: «الناس على دين ملوكهم».

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الناس أشبه بملوكهم من آبائهم».

وقد تأثر المجتمع الإسلامي بأخلاق الحُكَّام، وأخذ ينسج على منوالهم. فراح الكثير ينظر إلى الموالي باستحقار واستصغار، وأخذ يتهكم

^(١) النص والاجتهاد: السيد شرف الدين، ص ٥٣٢.

ويطعن بكل من يقترن بالموالي، وقد تفاقمت حالة الازدراء هذه حتى أخذت مساحة واسعة، ولكي يتم تحديد هذه الظاهرة المرضية التي هي من أخطر الأمراض الأخلاقية والاجتماعية جاء الزواج من غير العربيات كحل أمثل لمعالجة تلك النفوس المريضة.

وقد يتساءل البعض: كيف كانت هذه الخطوة البسيطة ناجحة ومثمرة تجاه مسألة خطيرة كهذه؟

يقول علماء النفس التربوي: إن عمل الكبير يكبر في عيون الناس، ويحدث وقعاً في نفوسهم كما أنه يأخذ صدهاء في فترة زمنية قصيرة.

وبالفعل فعندما تزوج الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) أخذ الكثير يقترن بالموالي، ويكثر الزواج من غير العربيات، وأصبحت ظاهرة الاقتران مألوفة.

(٣) - قلع العنصرية من الجذور:

يذكر علماء النفس الاجتماعي أن الممارسة الطويلة لفعل ما سواء كان سليماً أم سقيماً يتجذر ويتحول إلى ظاهرة طبيعية، وكلما استمر العمل أو ممارسة السلوك فإنه يتجذر ويتأصل في النفوس أكثر.

ونحن نلمس هذه الظاهرة في الشعوب والأفراد فالذين يستمرثون الاستحقار يصبح عندهم حالة طبيعية، وقد يستوحش إذا لم يفعل ما يشين، وكذلك باقي الصفات والعكس هو الصحيح، فالذي يحترم وينفق باستمرار يتعود على الاحترام والإنفاق، وقد يضيق صدره إذا لم ينفق في مدة قصيرة.

فعليه فإن حال الاستحقار للشعوب غير العربية تجذرت في عمق المجتمع الإسلامي، وأخذت شكلاً قبيحاً عبّر عن نفسه في المعاملة السيئة للموالي حتى عُذّ الزواج من غير العربيات خرقاً وطعنًا للتقاليد السائدة. وفي بعض الأحيان أخذ يشكل أزمة خطيرة كما حدث بين الأمين والمأمون.

فقد قُضِلَ الأمين - بالرغم من ضحالة مستواه العلمي والعقلي على المأمون الذي كان يفوقه علماً وذكاءً، بسبب أعجمية أم المأمون فهي كانت فارسية.

وهكذا نلمس النعرة القومية بأقبح صورها، وكيف أنها أخذت طابعاً مزرياً تمثل في بشاعة التعامل، مما حدا بالسلطان هارون العباسي إلى تعيين الأمين خلفاً وولياً للعهد لأنّ أمه عربية بالرغم من معرفته واستشفافه للعواقب الوخيمة التي تترتب من جراء تعيين الأمين خلفاً له، لكنه تنازل إلى الواقع المزري الذي تشبّع بالعنصرية حتى التخمة، وهذا يدلّ على عمق الظاهرة العنصرية وتفاقمها بشكل لم يسمح حتى لأعلى سلطة في الدولة بتجاوزها.

إزاء هذه الظاهرة الخطيرة باشر الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)، في تنقية الأجواء وتنظيف البيئة من كافة أشكال العنصرية والقومية بمفهومها الضيق.

لذا فإن الأئمة عليه السلام من الإمام الصادق عليه السلام، وإلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام تزوجوا من نساء غير عربيات لتأكيد الحل وأذكر الإمام

الحسين عليه السلام أيضاً، وتثيته كأمر واقعي للقضاء على الظواهر المشينة التي لفت المجتمع.

وقد يتساءل البعض: وهل الزواج من غير العربيات هو الحل في مكافحة المرض العنصري؟ وهل يعدّ هذا الأسلوب هو الحل الأمثل في القضاء على الظاهرة العنصرية التي برزت وأخذت بعداً خطيراً؟

ثم ما الفائدة من العلاج طالما وصل الأمر إلى مرحلة خطيرة بحيث أضحي الخليفة يعاني منها ولا يمكنه تجاوزها؟

الجواب: وكما أسلفنا فإن العمل الكبير له صدى كبير وواسع وبالذات إذا كان من أهل بيت رسول الله ﷺ، الذين هم أسوة وقدوة لأتباعهم، لذلك فإن أي عمل يصدر منهم، وكل خطوة يقدمون عليها سرعان ما تتضح معالمها، وتتحول إلى ظاهرة تستأثر اهتمام الناس، وكانت سيرتهم تردع من تسوّّل له نفسه امتهان أهل الذمة وغير العرب.

وإذا كان المجتمع يتأثر بحاكمه، فإن تأثره بالأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) لا يقل عنه، بسبب المكانة العالية والأخلاق المثالية التي كان يمتاز بها أهل البيت عليه السلام فضلاً عن النسب الشريف، الذي يعود للرسول الأكرم محمد ﷺ.

وكما هو معلوم فإن النسب له اعتبار كبير، ويزداد اعتباره إذا رافقه سلوك عالٍ وأخلاق فذة، وهذه المؤهلات الواقعية للأئمة عليهم السلام تركت بصماتها في قلوب الناس وتجذرت في عمق المجتمع، وهكذا جاءت

سيرتهم مكّملة لنسبهم، مما ترك انطباعاً طيباً، الأمر الذي قلّص المسافات الفاصلة بين العرب وغير العرب بما فيهم الموالي.

وقد يكون الجواب أيضاً إذا رُفع الضعيف ومنح اعتباراً فإن البقية ممن هم أقوى منه بطريق أولى يكتسبون الاعتبار، وتصبح لهم مكانة مرموقة في المجتمع.

وبعبارة أخرى: فإن المرأة إذا اكتسبت الشخصية الرفيعة وتبوأت مقاماً محموداً فإن بقية أبناء المجتمع يرتفع شأنهم، أليست المرأة مدرسة أعدت لتربية الأجيال؟!

من هنا فإن المبادرة التي قام بها الأئمة عليه السلام كانت بمنتهى الحكمة، فعن طريق الزواج الذي يشكّل أقدس علاقة على صعيد المجتمع فتحوا عهداً في احترام الموالي وتقديرهم.

وأما جواب السؤال الثالث: فصحيح أن الظاهرة أصبحت خطيرة، ولكن إذا كان هناك علاج ناجع يستأصل المرض فلماذا لا يقدم إلى المجتمع الذي هو بأمس الحاجة إليه؟

وكما هو مذكور في كتب علم النفس الاجتماعي، فإن علاج الظواهر الخطيرة يستدعي حلاً ناجعاً يوازي خطورة المشكلة، ويكون حلاً مثالياً للمشكلة.

والزواج حلٌّ عملي، فالعلاج العملي هو الطريقة المثلى للقضاء على الظواهر الأخلاقية والعملية، فإذا أردنا أن نقضي على ظاهرة الغش والكذب

واللف والدوران فإن الحل يكمن في الصدق والصراحة، ويمكن لهذا الحل أن يؤثر تأثيراً بالغاً إذا كان يصدر من الكبار.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْعَانِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ يَمِينُهُ فَأُولَٰئِكَ يَتْلُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(١)، فأي خطوة وعمل حتى لو كان صغيراً من الكبير يعدّ مهماً وذا نتائج كبيرة، لذلك أكد الإسلام على أهميتها، وأوصى بالقائد باعتباره المسؤول المباشر في تسيير المجتمع. ومسؤولية الأب في إدارة البيت أشبه ما تكون بذلك.

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢).

لذلك فلا عذر للأب، إذا تخلف عن أداء المسؤولية وألقى تبعثها على الزوجة كاملة، وهذا ما يحدث الآن، فالكثير من الآباء ينفصل عن المسؤولية ويتهرب منها، بحجة كثرة الأعمال خارج البيت وضخامة المسؤولية.

وأنا أقول: لا عمل أهم من تربية الأولاد وإدارة شؤونهم الأخلاقية والاجتماعية والدينية.

لأنه إذا شذَّ أحد الأولاد - لا سمح الله - بسبب الإهمال وسوء التربية،

^(١) الإسراء: ٧١.

^(٢) النساء: ٣٤.

فلن تبقى قيمة للعمل والمال مهما كان حجم العمل والمال، لأن الإهمال سوف يكلف البيت مالاً وأعصاباً، فعليه فلا قيمة للمال إذا كانت الأعصاب مرهقة وجو البيت متأزماً.

فالمريض لا يرى قيمة للمال إذا لم يكن فيه دواؤه وحتى لا تبقى الظواهر المرضية، لذلك أقدم الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) على خطوة الزواج وثبتوها كأمر واقع، فكانوا يقدرّون النتائج والآثار الجليّة. وهكذا ذابت الحواجز بين العرب والموالي وتلاشت - بعض الشيء - الحساسية المفرطة التي كانت مستحكمة في النفوس، وهذا التاريخ شاهد على ما نقول.

فإن الحياة الاجتماعية في زمن الإمامين الباقر والصادق عليه السلام تغيرت معالمها واختلفت عما كانت عليه في زمن معاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، وعبد الملك، وحتى زمن الإمام الباقر عليه السلام. فاختلفت - نوعاً ما - حالة الاحترار والازدراء وتلاشت حالات التهمك والطعن.

فعندما تزوج الإمام الصادق عليه السلام بالسيدة حميدة لم يعترض عليه أحد كما لم يتهمكم به حتى أكبر مسؤول وهو أبو جعفر الدوانيقي الذي عرف بالعصية والعرقية.

(٤) - توسيع إطار الإسلام:

فإن الاقتران وسّع إطار الإسلام وجعله يستوعب الكثير، والحال كاد

يَضِيقُ بِشَكْلِ لَا يَسْعُ حَتَّى الْعَرَبِيِّ، وَذَلِكَ بِفَعْلِ الْمَمَارَسَاتِ الشُّوفِيَّةِ لِلْحُكَّامِ الْأُمَوِيِّينَ وَالْعَبَّاسِيِّينَ.

وَقَدْ مَارَسَ الْحُكَّامُ وَالْوَلَاةُ الشُّوفِيَّةُ بِأَقْبَحِ صُورِهَا، الْأَمْرَ الَّذِي أَدَّى إِلَى تَجَذُّرِهَا، فَهَذَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ كَانَ أَشَدَّ خُلُقَ اللَّهِ عَصِيَّةً عَلَى نَزَارٍ، وَقَدْ اتَّهَمَتْهُ الْمَضْرِيَّةُ بِتَعَمُّدِ إِيْذَاءِ شُعْرَاءِ مَضَرَ وَحَبْسِهِمْ، وَأَخُوهُ أُسْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالِي خِرَاسَانَ كَانَ يَنَافِسُ أَخَاهُ خَالِدًا فِي عَصِيَّتِهِ عَلَى النَّزَارِيَّةِ.

وَجَاءَ بَعْدَهُ وَالِيًا عَلَيْهَا «نَصْرُ بْنُ سِيَارٍ» فَعَمِدَ إِلَى فَعْلٍ عَكْسَ مَا فَعَلَهُ سَلْفُهُ فَأَظْهَرَ الْعَصِيَّةَ لِمَضَرَ^(١).

وَلَمْ تَقْتَصِرْ هَذِهِ الرُّوحُ الْمُقَيَّتَةُ عَلَى وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ بَلْ سَرَتْ عِنْدَ الْجَمِيعِ بِاسْتِثْنَاءِ الْقَلِيلِ، فَقَدْ حَرَقَ مَالِكُ بْنُ مَسْعَدٍ دُورَ تَمِيمٍ فِي الْبَصْرَةِ رَدًّا عَلَى مَذَابِحِ ابْنِ خَازِمٍ فِي قَبِيلَةِ رُبَيْعَةَ فِي هَرَاتٍ.

وَيَنْقُلُ الطَّبْرِيُّ عَنْ هُجُومِ الْقَائِدِ الْعَسْكَرِيِّ يُزِيدِ بْنِ الْمَهْلَبِ عَلَى جَرَجَانَ، فَيَقُولُ: «قَصْدُ جَرَجَانَ فَأَعْطَى اللَّهُ عَهْدًا لَثْنِ ظَفَرٍ بِأَهْلِهَا أَلَّا يَتْرَكَهُمْ، وَلَا يَرْفَعَ عَنْهُمْ السَّيْفَ حَتَّى يَطْحَنَ بِدُمَائِهِمْ، وَيَخْبِزَ مِنْ ذَلِكَ وَيَأْكُلَ مِنْهُ».

ثُمَّ يَضِيفُ الطَّبْرِيُّ مَا جَرَى بَعْدَ انْتِصَارِ يُزِيدِ: «وَنَزَلَ أَهْلُ جَرَجَانَ عَلَى حُكْمِ يُزِيدِ بْنِ الْمَهْلَبِ، فَسَبَى نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَصَلَبَهُمْ فَرَسَخِينَ عَنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ وَيَسَارِهِ، وَسَاقَ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ إِلَى دَارٍ فِي جَرَجَانَ وَقَتَلَهُمْ هُنَاكَ، وَأَجْرَى الْمَاءَ عَلَى الدَّمِ، وَكَانَ فِيهِ مَطَاوِنُ

^(١) إطلاقات على التاريخ: ص ٦١، نقلًا عن الطبري، وطبقات ابن سلام.

يطحن بدمائهم، فطحن وخبز وأكل».

ويقول الطبري: «قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفاً».

وينقل الطبري أن «الجراح الحكمي» غزا أرض الترك ففتح «بلنجر» وهزم الترك وغرقهم وعامة ذراريهم في الماء وسبوا ما شاؤوا^(١).

وهذا غيض من فيض، وإذا أردنا أن نستعرض الممارسات الشوفينية لاحتجنا إلى مجلدات من الكتب.

ومما سبق يتضح أن السياسة العنصرية للحكام الأمويين والعباسيين أقامت حواجز بين الإسلام والشعوب الإنسانية، مما ترك انطباعاً سيئاً على الدين الإسلامي، وأدى إلى هروب الكثير منه، ورموه بصفات هي أبعد ما تكون عنه، كما وأظهروا اشمئزازهم من رجالاته الأفذاذ، فعندما يختلط الحابل بالنابل يلف الظلم الجميع ولا يستثنى منه أحد، وهي حالة مرضية عند البعض إذ لا يميز بين الظالم والمظلوم والقاتل والمقهور، لذا فكم من مظلوم أضحى ظالماً، وكم من ظالم أضحى مظلوماً.

وهكذا أضحى الإسلام - بسبب الممارسات اللاإنسانية للحكام الجائرين - ظالماً بنظر البعض، مع العلم أن الإسلام بريء مما يافكون، فهو ثابت على نهجه القويم، وبشهادة الكثير من العلماء المعاصرين.

يقول اللورد بيدلي في كتاب (نداء الإسلام في الغرب): «لمحمد

^(١) تاريخ الطبري: الطبري، ج ٣/ص ٣٥١.

طمأنينة ووقار وخصوصيات لا تحصى، وهو يعارض جميع الخرافات والأوهام والإلحاد، والقرآن هو دستور وأساس الدين المقدس الذي جاء به محمد، ويحتوي القرآن على جميع المسائل الاجتماعية والأحكام والقوانين الإلهية من أجل سعادة البشر^(١).

ويقول جون ديفنبورك الإنجليزي في كتابه الذي أسماه (عذر التقصير إلى ساحة محمد والقرآن): «من المحيط الأطلسي وحتى سواحل نهر كنغ لا يعد القرآن قانوناً فقهياً فحسب، بل دستوراً يحتوي النهج القضائي والأنظمة المدنية والجزائية، ويحتوي أيضاً جميع القوانين التي تدبر جميع العمليات المالية للبشر، وعقيدة محمد ﷺ وإيمانه خالية من الشوائب وسوء الظن والإبهام والشكوك»^(٢).

ويقول اللورد بيدلي في كتاب (نداء الإسلام في الغرب): «والبشر دائماً بحاجة إلى مرشد سواء في الماضي أم الحاضر، لكي يصلوا إلى محل السعادة والحقيقة الأبديتين، وقد ظهر هذا المرشد الكبير في شبه الجزيرة العربية وطرح للبشر كتاباً محكماً، حيث كان يمتلك القدرة والجدارة في القيادة، ونحن نطلب أن يوجد لنا الدين الإلهي العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية التي لا بد أن تسود بين جميع الأقوام.

والأنجيل الأربعة التي توجه المسيحية لا يمكنها القيام بهذه المسؤولية،

^(١) رحلتي من الظلمات إلى النور: ص ١٣٨.

^(٢) المصدر السابق: ص ١٣٨.

لأن من جملة حقوقنا الفردية والاجتماعية حق الحياة والقصاص، وهو ما سلبته منا الأناجيل الأربعة.

لكن القرآن المقدس حارس وحافظ على أموال وأرواح وأعراض البشر، وله أحكام مؤكدة في استرداد الحقوق المغصوبة^(١).

وهناك شهادات كثيرة تنزه الإسلام وتأخذ به إلى الرفعة والكمال، وإذا وفقنا الله عز وجل سوف نذكر منها في مجالات تهم المطلب.

عوداً على بدء، نقول: إن السياسة العنصرية جعلت الكثيرين يفهمون الإسلام مختصاً بجوانب محدودة، ومقتصرأ على جماعته.

ورداً على هذه السياسة فقد فتح الأئمة عليهم السلام قناة مع الأمم الأخرى عن طريق الزواج، وعبر العلاقات الاجتماعية التي هي أفضل سبيل في إعطاء الصورة الحقيقية للإسلام.

وقد وسع الأئمة عليهم السلام علاقاتهم، وجعلوها مترامية الأطراف، فاتجهت العلاقات إلى المغرب، ومصر وإيران والروم، وغيرها من الدول.

فكانت السيدة حميدة البربرية من المغرب والسيدة شاه زنان من إيران، والسيدة سبيكة من مصر، والسيدة نرجس من الروم، وهكذا تكون العمق الاجتماعي للإسلام، داخل هذه الدول.

وقد عمل الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) ما عمله رسول الله محمد

^(١) رحلتي من الظلمات إلى النور: ص ١٣٨، نقلاً عن كتاب (نداء الإسلام في الغرب).

بن عبد الله ﷺ، فعن طريق الزواج وسَّع رسول الله ﷺ نطاق الإسلام، وجعل له عمقاً في القبائل والدول.

فقد دخل في عمق مصر، حينما اقترن بمارية القبطية، وفتح قناة مع اليهود بصفية بنت حيي بن أخطب رئيس قبيلة خيبر.

وقد يكون الزواج أفضل وسيلة للدخول في عمق المجتمع، ثم التأثير فيه.

(٥) - الأصالة ليست محصورة في بنات قريش:

إن اقتران الأئمة عليهم السلام بنساء غير عربيات إنما يدل على وجود الأصالة والشرف فيهن، وقد أثبت الأئمة عليهم السلام أن الأصالة والشرف والنسب الرفيع ليست محصورة في نساء قريش فحسب، ولا في فئة من الناس دون غيرهم، فهؤلاء زوجات الأئمة عليهم السلام قد حملن الأصالة بعمقها، عندما رفضن الواقع السيء الذي كان يلف المجتمع، وتعلّقن بالله العزيز الحكيم.

وقد شكّل واقع الأصالة عند أمهات الأئمة عليهم السلام دليلاً على أن الإنسان بإمكانه التخلص من ربة التقاليد الموروثة، والقيود الجاهلية إذا تعلّق بالله وتوكل عليه.

وقد ثبت أن هؤلاء النسوة المباركات لم يتأثرن بالأجواء، ولم تتسخ قلوبهن بالمظاهر السيئة وخاصة المادية، بل ارتقين إلى مستوى نأى عن التيارات الفاسدة التي كانت تعصف بالمجتمع، مثلما كانت السيدة خديجة رضوان الله عليها.

فقد عاشت خديجة في وسط جاهلي ضربت فيه التقاليد الجاهلية جذورها من مثل امتهان المرأة ووأدها. قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(١).

ولكن السيدة خديجة بعقلها وشخصيتها وعفتها أثبتت أنها وجود عظيم وكيان كبير أكبر من كل محاولة في سحق المرأة وامتھانها. وهذا يدل على حيوية الإنسان وقدرته الفائقة على مقاومة الظروف القاسية وكل أشكال القهر والظلم.

يقول علماء النفس الاجتماعي: «إن الإنسان كلما قاوم الظروف وصمد أمام الظروف نمت فيه روح المقاومة والتحدي وتضاعفت فيه». كما وتنمو فيه الحاسة السادسة أو (التوسم) فيظل حسه مرهفاً، وبصيرته نافذة، مستعيناً بقواه الذاتية. فالإنسان يخترن قوة عملاقة لا حصر لها، وهذه تظهر كلما توجه الإنسان إليها وحصر اهتمامه فيها، وكما قيل: فالحاجة هي أم الاختراع.

ونقول: إن أمهات الأئمة عليهم السلام من حجة على من تعلل بالانحراف من قساوة الظروف وضغوطات الجهل الحاكم، فإنهن - وكما هو مذكور في كتب التاريخ - عشن في ظروف قاسية، وفي مناخ موبوء، كما عاشت المرأة الصالحة آسية بنت مزاحم مع زوجها الطاغية فرعون، وحتى تغلب على جيروت فرعون فتحت قناة مع الله، فجاءت الرحمة من أوسع أبوابها، كما في قوله

^(١) النحل: ٥٨.

تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(١).

والظروف التي حاطت بزوجات الأئمة عليهم السلام هي الأخرى كانت ثقيلة عليهن، لكن ذلك لم يشن من عزمهن في تحدي وسحق العادات الجاهلية الخرقاء.

وأخيراً نقول: إن بعض الناس عندما ينتقل إلى بلد يكثر فيه الفساد تضعف قواه وتضمحل فيه المقاومة، ليس لأنه ضعيف، ولكن رغبته في الاستجابة قللت عنده المقاومة، فتراه يفسد أكثر مما يفسدون، ويستهتر بلا حدود، ويعلن استهتاره وفساده بقوة. فهو - إذاً - ينظر بعين شهوته لا بعقله، وتراه أيضاً ماهراً في خلق الأعذار تلو الأعذار، ويرمي بأخطائه على الظروف والناس متناسياً الشخصيات التاريخية الفذة التي قاومت الانحراف، واهتدت إلى الطريقة المثلى، رغم قساوة الظروف.

قسمات وملامح الإمام الجواد عليه السلام:

كان الإمام الجواد عليه السلام نحيل الجسم، قوي العصب، شديد السمرة، طلق المحيّا، باسم الثغر، يتجلى نور النبوة والولاية في عينيه، وسيماء الرسالة تنبى عنه أنه من أولاد الأنبياء، وكان ربعة لا بالطويل ولا بالقصير، كجده رسول الله ﷺ، فما من أحد رآه إلا وأجلّه وعظمه.

^(١) الطلاق: ٢-٣.

وكانت قسَمات الإمام عليه السلام يشع منها نور السماء، ونور السماء من نور الله جل جلاله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

وقال الشاعر:

همُ النورُ نورُ الله جلَّ جلاله همُ التينُ والزيتونُ والشفعُ والوترُ^(٢)

والإنسان إذا صفا قلبه وتخلَّى تماماً عن صفات الرذيلة يتلألاً نوراً.

وأيضاً إذا لازم صلاة الليل، وتجاغت جنوبه عن المضاجع طاعة لله عز وجل، وبوسع كل إنسان أن يقتبس من هذا النور.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٣) والنور الذي تجلَّى في الإمام عليه السلام تلاً في بقية الأئمة عليه السلام، فقد اشتركوا جميعاً في القسَمات المضِيئة، والملاحح الطيبة، وفي الهيئة والقامة.

والإمام الجواد عليه السلام كان شديد السمرة، وجاءت من أمه الطيبة وأبيه

^(١) النور: ٣٥.

^(٢) بيت من شعر الشيخ ابن العرندس الحلبي، الغدير: العلامة الأميني، ج ٧/ص ١٨.

^(٣) الحديد: ١٢.

الرضا عليه السلام.

وكما هو معلوم فإن السمرة هي ملامح الحجازيين، ولكن الروايات تقول إن السمرة التي كانت تحملها قسمت الأئمة عليهم السلام مشوبة بحمرة يتخللها نور، وهي تضيء على القسمة جلالاً، وإذا كانت الحمرة والنور تشوب السمرة فالقسمة يكون لها وقع في القلوب.

والقسمة - كما هو ثابت - صفحة تقرأ فيها الكثير، وتنبئ عما يكنه الإنسان، فقسمة الإنسان صفحة يرسم عليها كل ما يكنه الإنسان بما فيها الأفكار التي تختزن في الشعور.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أضمر امرؤ شيئاً إلا ظهر على قسمة وجهه وقلبات لسانه»^(١).

وقسمة الإنسان في كثير من الأحيان تأتي ورائة، وقد تلعب عوامل عديدة في وضائها ومنها الفاكهة.

فالسفرجل - كما هو ثابت - يجمّل الإنسان، فإذا أكثر الحامل من تناوله فإنها تلد مولوداً جميلاً، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «السفرجل يحسن الوجه ويجمّ الفؤاد»^(٢).

وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «أطعموا حبّالكم السفرجل، فإنه يحسن أخلاق

^(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٦٥/ص ٣١٦.

^(٢) المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ج ٢/ص ٥٤٩.

أولادكم»^(١).

ولكن الذي يزينها أكثر ويضفي عليها جمالاً وجلالاً الأخلاق والعبادة.

قال تعالى: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ

وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾^(٢).

لذلك فإن الأئمة عليهم السلام من كثرة العبادة كانت قسماتهم تشع نوراً، وتنبعث منها جاذبية خاصة تأسر القلوب، وتأخذ بالألباب، حتى إن الكثير من الحاضرين ما كان يفيض الطرف عنها كما ورد في كتب السيرة.

ولهذا فإن الغريب كان يعرف النبي أو الإمام في المجالس من خلال النور الذي كان يطل من محياه، لهذا أسلم الكثير عندما وقعت عيناه على تلك القسمات الملائكية، وكان يطمئن إلى إسلامه لأن القلوب شواهد، فالقلب الطيب يميل ويعشق الطيب، وكلما سما الإنسان وخلصت نيته تلاًل وجهه، وازداد إشراقاً، وأصبحت عباراته جذابة، ولحديثه وقع قوي.

وقد امتاز حديث رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام بسحر وجاذبية خاصة، ويظهر ذلك لنا جلياً عندما نقرأ أحاديثهم وحكمهم، فمهما كررنا المطالعة فإن حكمهم لا تفقد رونقها ولا ينقص منها شيء، حتى ولو تقادم عليها. وإذا كنا نعلم أن كلام الأئمة عليهم السلام يتصل بكلام الله عز وجل، ويمتزج معه

^(١) الدعوات: قطب الدين الراوندي، ص ١٥١.

^(٢) الفتح: ٢٩.

تماماً بحيث لا يفترقان، عرفنا الكامن وراء تلك الجاذبية، والجاذبية لا تختص بالأئمة عليهم السلام، وإن كانوا الأفضل في هذا المجال، فالمؤمن الصادق أيضاً يمتاز بها فتجد عباراته فيها حلاوة وعليها طلاوة.

والصفة الأخرى التي امتاز بها أهل البيت عليهم السلام قسماتهم الجميلة، وملامحهم المضيئة، فلم يشذ منهم أحد بالقبح، وقد ورثوا الملاحاة والجمال بشكل قل نظيره من أجدادهم، فجاء النبي ﷺ هاشم كان مليحاً، وقسماته وضيئة، وهكذا عبد المطلب، وبقية آباء النبي ﷺ.

ويقودني الحديث عن جمال بني هاشم الخلق والخلق، إلى الفرق بين أمة وعبد المطلب.

يروى ابن أبي الحديد في (شرح النهج: ج ٣/ص ٤٢٦)، عن (الأغاني):

إن معاوية قال لدغفل النسابة: رأيت عبد المطلب؟

قال: نعم.

قال: كيف رأيته؟

قال: رأيته رجلاً نبيلاً جميلاً وضيئاً، كان على وجهه نور النبوة.

قال معاوية: أفرأيت أمة؟

قال: نعم.

قال: كيف رأيته؟

قال: رأيته رجلاً ضئيلاً منحنيّاً أعْمى، يقوده عبده ذكوان.

فقال معاوية: ذلك ابنه أبو عمرو.

قال دغفل: أنتم تقولون ذلك، أما قريش فلم تكن تعرف إلا أنه عبده^(١).
عبده^(١).

فهناك اختلاف بين أمية، وعبد المطلب: فأمية كانت قسماته قبيحة، ومما زادها قبحاً نفسيته الوضيعة، فقد كان إباحياً (روي أنه نزل عن إحدى زوجاته لابنه أبي عمرو)^(٢). وأمية (لصيق) فهو عبد رومي لعبد شمس، بدليل هذا النص:

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لمعاوية في بعض كتبه إليه بعد الموازنة بين هاشم، وأمие، وبين حرب، وعبد المطلب، وبين نفر من آل هاشم، ونفر من آل أمية.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وليس المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق»^(٣).

وليس أدلّ من كلمة «اللصيق» في اللغة العربية على انتحال أمية نسبه إلى عبد شمس.

قال أبو طالب مؤمن قريش في أمية:
قديماً أبوهم كان عبداً لجداً بني أمة شهلاء جاش بها البحر^(٤)

^(١) هاشم وأمие في الجاهلية: ص ٢١. نقلاً عن شرح نهج البلاغة نقلاً عن الأغاني.

^(٢) النزاع والتخاصم: ص ٢٦.

^(٣) هاشم وأمие في الجاهلية: ص ٢٦.

^(٤) البيت لأبي طالب، حين تظاهرت عبد شمس ونوفل على رسول الله ﷺ وحصروهما في الشعب.

شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ١٥/ص ٢٣٤.

يقول السيد صدر الدين شرف الدين تعليقاً على هذا البيت: ونلاحظ أنه نصب «بني» بإضمار فعل يخصص من كان أبوهم عبداً لجدة الطالبين، فالمعنيون في البيت إذاً بنو أمية بقرينة نصب «بني» بفعل (أعني أو أخص)، وبهذا التقدير يتسق البيت ويتضح معناه.

ثم نلاحظ أنه أنت الموصوف «أمة» وأتبع ذلك بتأنيث الصفة «شهلاء»، وتأنيث الضمير «بها» أنت كل ذلك باعتبار اللفظ، ثم إنه كان قاصداً إلى تأنيثه استصغاراً له وتعويضاً عن تصغير لفظة الذي لا يستقيم معه الوزن لو جاء بلفظ «أمية».

ويقول السيد شرف الدين: وبعد هذه الملاحظة فالبيت صريح بأن أمية شيء قذفه البحر إلى الحجاز مع هذه التجارة التي كانت ترد إلى مكة من الروم، وغيرها.

وهل يجيش البحر بشيء من السلع الآدمية غير الرقيق والإماء؟

كلاً.. ولعل اختيار كلمة «شهلاء» في وصفه يدل على هذا الذي نفهمه من البيت، ويعني الروم بصورة خاصة (فالشهل زرقه يشاب بها سواد العين)، وهي صفة لا تعرف بها العين العربية، وربما عرفت بها العين الرومية، أو ربما كثرت هذه الصفة في عيون الروم.

ويقول السيد شرف الدين: هاتان شهادتان لعلكم تقولون إن الآخذ بهما أخذ بشهادة الخصم، ولكن علياً عليه السلام وأبا طالب - كما عرفناهما وكما عرفتهما الدنيا - رجلان برّان تقيان يتحرّجان من القول في غير علم، ويأنفان

من الاعتماد على الهجاء، فإذا قالوا لم يرجعنا بالغيب، وإذا أخبروا لم يصدرنا إلا عن الصدق والإنصاف والحق، لا تأخذهما عداوة أو صداقة، ولا ينحرف بهما رضى أو سخط، ولا يميلان إلى ممالأة أو مداجاة، أو إلى ما يميل إليه ضعف النفوس^(١).

ومما يدل على انتحالهم نسب قريش، فإن الناس لم تعرف للأمويين في الجاهلية وبعدها شجاعة ورأياً حقيقياً، كما لم يعرف لهم كرامة وعزة، ولا حفظاً لجوار، ولا نبلاً وعفة.

يقول أبو عثمان الجاحظ كما في (شرح نهج البلاغة): «ليس لهم في ذلك قدم مذكور، ولا يوم مشهور، فلا سابقة، ولا جهاد، فإذا كان شيء من هذا، فإنما يكون فيما يضر الناس»^(٢).

ويقول عبد الله بن الزبير: «ما نموت تراجع كما يموت بنو العاص، والله ما قتل منهم قتيل في جاهلية ولا إسلام»^(٣).

ولم يُعرف لهم جودٌ وكرمٌ، وهذا التاريخ يشهد على عقم الرحم الأموي، إذ لم ينجب كريماً كما لم ينجب شجاعاً.

والكرم والشجاعة صفتان متأصلتان في الجنس العربي.

يقول الطبري: إن بني أمية لم يُشهد لهم قدم في الشجاعة والشهامة

(١) هاشم وأمية في الجاهلية: ص ٢٧-٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ١٥/ص ٢٣٦، نقلاً عن الجاحظ.

(٣) هاشم وأمية في الجاهلية: ص ١٢٩، وشرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ٢٠/ص ١٣٨.

والإقدام، وكذلك العفة والعزة والكرامة، فهم مَرَدُّوا على الخسة والضعفة واللؤم، إلا القليل منهم.

فإذا ما هي العلاقة بينهم وبين قريش، فضلاً عن بني هاشم، وما هي المشتركات التي يمكن أن تقرّب بني أمية إلى العرب؟ ومن جانب فإننا إذا استعرضنا الشجاعة والشهامة والجود والنبيل بأروع صورته وأسمى معانيه، فسوف نجد في رجالات بني هاشم، لا غير.

فقد اجتمعت صفات الخير فيهم، وتأصلت في عمقهم، وكأن هذه الصفات خلقت لهم ومن أجلهم.

وهكذا تسامت في ظلهم، واكتسبت معانيها الفذة، وبحق فإن بني هاشم هم أصل كل خصلة حميدة ومنبع المزايا الطيبة.

وأريد من خلال هذا الاستقراء تثبيت بعض الملاحظات للآباء والأمهات، منها: أن الأب بإمكانه أن يثبت أرفع الصفات في كيان ولده ويؤكدها بشكل لا تمنحي من ذاكرته وقلبه، وذلك من خلال ممارسة الأب لخصال الخير في حياته اليومية، ومن ثم تأكيدها في سلوكه لكي تبقى في الذرية.

قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ۖ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ۖ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١).

^(١) الزخرف: ٢٧-٢٨.

لذا فإذا أراد الأب تأكيد الصفات في أبنائه، فينبغي ممارستها في سلوكه، لأن الممارسة تعود الإنسان وتسهل عملية التعااطي معها، وهذه الحالة تشمل جميع الأعمال.

أيها الأب لا تقل ما أصعب الصدق في هذه الأيام، وأنى لنا بذلك، وقد طغى النفاق والخداع والتضليل!

إن هذه الایحاءات إنما هي من الشيطان، وهي من نفثاته المسمومة، وكما هو معلوم فإن الشيطان يقبّح الجميل، ويجمل القبيح، ويثقل العمل الصالح حتى يجعله كالجبال، ولكن عند من لا يؤمن بالله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾^(١) أي الصلاة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَشِيعِينَ﴾^(٢).

كما أنه يزين الدنيا ويلبسها حلة قشبية، بحيث تأسر الإنسان الضعيف تماماً حتى لا تدعه يغمض عينيه ويشيح بوجهه عنها.

فإذا تسللت هذه الأفكار فعلينا أن نردّها على أعقابها، ونوصد الباب من البداية، ولكنا إذا تركنا الباب مفتوحاً بحيث تتسلل منه النفثات الشيطانية وتعشش في نفوسنا، فمن الصعب بمكان قلعها.

من هنا فإذا جابت هذه الأفكار وتجوّلت في الذهن، ينبغي أن نقبض عليها في بداية الأمر ونطردها من ساحة قدسنا، لكي يتسنى لنا غلق الباب

^(١) البقرة: ٤٥.

^(٢) البقرة: ٤٥.

بهدوء وبإمكانات يسيرة.

ومن جانب علينا أن نروض أنفسنا بممارسة الخصال الحميدة، مثل «اللين» مع الناس فإنها تجد موقعها في النفس، وتمد جذورها، علماً إن الممارسة في بداية الأمر تبدو صعبة فالنفس كما وصفها تعالى تأمر بالسوء ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

ولكن الممارسة المستمرة تروضها وتخضعها فتصبح النفس سهلة الانقياد والخضوع، بالضبط مثل العامل والصانع في صناعته، فهو في بداية الأمر يعاني صعوبة بالغة، ولكن مع استمرار العمل والمواصلة تتلاشى الصعوبة، فيصبح العمل طبيعياً وسهلاً، فتنمو علاقة حميمة بين العامل والعمل. نعلم أن الالتزام بالصفات الطيبة يخلق عند الإنسان أرضية طيبة، ويضع أجواءً مفعمة باللهفة، فتشتاق إلى كل جميل حتى لو كان شاقاً، فكم من غيور وشهم، يكّد ويتعب وقد يجازف بحياته للحصول على المال.

ولكن هذا النفر - وبكل رحابة صدر وسرور - ينفق ماله بسخاء على الفقراء والمحتاجين، وكأنّ في العطاء تكمن راحته وسعادته.

فعليه، فإذا مارس الأب السلوك الطيب - وبالذات في البيت - فإنّ هذا السلوك يسري برمته إلى الأولاد من حيث يشعرون أو لا يشعرون، فكل

^(١) يوسف: ٥٣.

شيء في تصرفاتنا ينتقل إلى الأولاد حتى الإشارات واللفتات والغمزات.

فهناك قابلية استثنائية عند الأطفال - كما يقول علماء النفس - لتلقي السلوك من الآباء، فالطفل لا يستوعب إلا من أبيه وأمه، كما لا يأخذ بسهولة إلا منهما.

فنحن - الآباء - كيفما نكن يكون الأبناء، فعقلنا عقلهم، ولساننا لسانهم، وسيرتنا سيرتهم، وشخصيتنا شخصيتهم، قال أمير الحكماء علي عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام: «وجدتك بعضي بل وجدتك كلي»^(١).

فمستقبل الأولاد مرهون بالآباء، وبسلوكهم الفذ، فالطفل عجيب أو (طين اصطناعي) إن صح التعبير، نصيره كيفما نشاء، فإذا شئنا جعلناه حيواناً أو إنساناً.

وكما يقول علماء التربية «إن الأبناء هم الصورة الحقيقية للآباء»، وهم الثمرة للشجرة، فإن طابت أصولها وتعرقت بماء المكرمات طابت الثمار، ولا أدل على ذلك من الأئمة عليهم السلام حيث طابت أصولهم فطابت الثمار.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۚ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(٢).

وكما هو معلوم فإن الأصل رسول الله ﷺ وفاطمة وعلي عليه السلام.

^(١) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص ٦٨، ومناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ٣/ص ١٩٩.

^(٢) إبراهيم: ٢٤-٢٥.

عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف، قال: حدثني مولاي عبد الرحمن بن عوف بحديث، وذكر أنه سمع من النبي محمد ﷺ سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا الشجرة، وعلي القلب، وفاطمة اللقاح، والحسن والحسين الشمر، وشيعتنا الورق، وحيث ينبت الشجر تساقط ورقها»^(١).

ثم قال: «في جنة عدن والذي بعثني بالحق»^(٢).

وعن سلام الخثعمي، قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله قول الله تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٣).

فقال عليه السلام: «يا سلام، الشجرة محمد، والفرع علي أمير المؤمنين، والشمر الحسن والحسين، والغصن فاطمة، وشعب ذلك الغصن الأئمة من ولد فاطمة، والورق شيعتنا ومحبونا أهل البيت، فإذا مات من شيعتنا رجل تناثر من الشجرة ورقة، وإذا ولد لمحبينا مولود اخضر مكان تلك الورقة ورقة»^(٤).

فقلت: يا ابن رسول الله، قول الله تعالى: ﴿تُؤْتِي أَكْثَرَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(٥)، ما يعني؟

قال: «يعني الأئمة يفتون شيعتهم في الحلال والحرام في كل حج

^(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: الحاكم الحسكاني، ج ١/ص ٤٠٨.

^(٢) المصدر السابق: ج ١/ص ٤٠٨.

^(٣) إبراهيم: ٢٤.

^(٤) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: الحاكم الحسكاني، ج ١/ص ٤٠٦.

^(٥) إبراهيم: ٢٥.

وعمره»^(١).

الإمام الجواد عليه السلام في ظل أبيه الإمام الرضا عليه السلام:

احتضن الإمام الرضا عليه السلام ولده الجواد عليه السلام وضمه بين جوانحه، وكان يغذيه ويربيه وكأنه رجل كبير، وهو كذلك.

وكان الإمام الرضا عليه السلام يقوي في ولده مقومات الشخصية الفذة ويثبت فيه عوامل الإنسان السوي.

والإمام الرضا عليه السلام كان ينظر إلى ولده بإكبار وإجلال، ويسلك معه مسلكاً غاية في التكريم والاحترام، فكان يخاطب ولده الإمام الجواد عليه السلام بعبارات عالية، مما جعل ذلك التعامل يترك انطباعاً عالياً في كيان ولده الإمام محمد الجواد عليه السلام.

فمنذ ولادته قرأ في أذنيه: «الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن علياً ولي الله، وحيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على خير العمل، الله أكبر، لا إله إلا الله».

وكان يزقه العلم، ويصطحبه في مجالسه، ومن ثم يشاوره أحياناً في بعض المسائل.

هذه البداية الحميدة شكّلت الأرضية الصالحة لبناء الشخصية العظيمة.

^(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: الحاكم الحسكاني، ج ١/ص ٤٠٦.

قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾^(١).

والبداية تؤثر تأثيراً بالغاً في مستقبل الإنسان، مصداق ذلك الأنبياء والأولياء فإن بدايتهم كانت مستقيمة، وكذلك العلماء كأئمتين ونيوتن، وغيرهم من الذين قدموا خدمات جليلة للبشرية.

يقول علماء النفس التربوي: «إن الطفل رجل مصغر»، والطفل هو رجل مقبل على الرجولة، وإذا كان هذا هو الحال في الأطفال العاديين، فكيف بالإمام وهو رجل الأمة؟ فعليه، فإن الكلمات الطبية شفاء ودواء حقيقي من كل الأسقام والردائل الشيطانية.

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وقد ذكرنا أن الكلمات الطبية تمتزج مع كل خلية في كيان الإنسان، والقرآن الكريم يشير إلى ذلك، فالموعظة من الرب تعالى تجسد الكلمة الطبية وشفاء كما في الآية، والشفاء - كما هو معروف طبياً - لا يتم إلا إذا امتزج الدواء مع الدم، وفي كل خلايا الجسم، فالكلمات الطبية رحمة، والرحمة فيها كل معاني الخير.

قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ إِنَّكَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ

^(١) الأعراف: ٥٨.

^(٢) يونس: ٥٧.

لَا تَفْضُوا مِن حَوْلِكَ ﴿١﴾ .

ومن صور الرحمة اللين، وهي أهم صفة في التبليغ والإرشاد والتوجيه، وإذا أردنا شباباً طيبين ومستقيمين، فعلينا أن نتعامل معهم بلين، لأن اللين يولد اللين، كما أن القسوة تولد القسوة، وإذا جئنا إلى الأبناء فإن اللين معهم يعودهم على الهدوء والاتزان، وعلى الرقة والتودد.

ولكن إذا كان الأسلوب جافياً وقاسياً فإنه يمتص من قلوبهم الرأفة والرحمة فيجعلها كالحجارة أو أشد قسوة، والكلمات الطيبة - كما هو ثابت - تذهب إلى منطقة اللاشعور، وهي مخزن يجمع كل ألوان السلوك، كما يقول الدكتور علي الوردي في كتابه (خوارق اللاشعور).

وهذا المخزن الذي يعد محطة مهمة في حياة الإنسان، وبتعبير بعض العلماء الاحتياطي الذي يزود الإنسان في المهمات الصعبة وله آثار واضحة. يقول الوردي:

«إنّ العقل الباطن (ويقصد منطقة اللاشعور) يستطيع - كما أسلفنا - أن يرشد الإنسان إلى كثير من المنافع التي لا يستطيع هو أن ينالها بعقله أو جهده الواعي، ونحن إذاً نحتاج في حياتنا العملية إلى نصيحة عملية»^(٢).

إنّ العقل الباطن يختزن كل شيء، فإذا كنا في البداية مع أبنائنا

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) خوارق اللاشعور: الدكتور علي الوردي، ص ١٣٠.

مستقيمين فإنّ الذرية تختزن في اللاشعور ومن ثم تزوّده بما أخذت وجمعت.

فعليه فإنّ الكلمات الطيبة إذا صاحبت الإنسان منذ الصغر فسوف تعطيه الكثير من المعارف، وتزوّده بمختلف أنواع العلوم النافعة تبعاً.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

فالجهد مع النفس يفتح آفاقاً واسعة أمام الإنسان، ويهديه إلى مختلف السبل الخيرة.

ويعدّ هذا الأسلوب هو الأمثل في تكوين شخصية الإنسان، والأسلم في تدعيم مقوّمات الشخصية السّامية.

وكما هو ثابت في علم النفس، فإنّ لكل إنسان شخصية، وتبرز منذ السنين الأولى فهو يحمل مقوّمات النجاح والقدرة على التألق في مجالات عدة، ولا أدلّ على ذلك من السيد الطباطبائي.

فقد اهتمت به أمه منذ الصغر حيث كانت تغذّيه الكلمات الطيبة عبر تلاوة القرآن، والخلق الفذّ، فنمت فيه مواهب عدة، وتفجّرت قوى كثيرة تعدّ معجزة بحد ذاتها، ولكن ما يؤسف له أن بعض الآباء لا يهتمون بشخصية أبنائهم ولا يتعاملون معها وفق الأصول التربوية التي تبتها الدين الإسلامي الحنيف.

^(١) العنكبوت: ٦٩.

فالإسلام يدعو إلى الاحترام والرعاية بمختلف أشكالها النفسية والفكرية التربوية والأخلاقية، لاحظ الآية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١).

انظر كيف يربط الباري عز وجل بين الزوجة والذرية وإمامة المتقين التي هي أعلى درجات الكمال، فالآية تكرم الزوجة والذرية الطيبة اللذين يهيئان الإنسان ليتسلق أعلى درجات الإيمان.

وهذه الآية أيضاً: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٢).

الآية تقول «كرمنا بني آدم» فهي مطلقة، وتشمل جميع بني الإنسان الصغير والكبير والذكر والأنثى، وقد ربط الباري عز وجل بين الكرامة وحمل الإنسان في البر والبحر.

فما لم يتم تكريم الإنسان فليس بمستطاع أن يُحمل في البر والبحر، بالضبط كالجندي في ساحة المعركة فما لم يعبأ معنوياً لا يمكنه خوض المعركة.

وهكذا لم يقل الباري عز وجل «البر» وحسب وإنما أتى بـ «البحر» أيضاً، وهو يتطلب قدرات إضافية.

^(١) الفرقان: ٧٤.

^(٢) الإسراء: ٧٠.

فإذاً التكريم الذي هو أرفع صور التعبئة المعنوية في الإنسان يفجر فيه طاقة خلاقة بحيث تمكنه من السيطرة على البر والبحر، فكلمة «حملناهم» تتضمن هذا المعنى.

والتكريم من الأساليب التربوية التي اعتمدها الإسلام كثيراً، وحث عليها باستمرار، وكما هو ثابت فإن التكريم يصنع عباقرة وعمالقة، وبالذات إذا شمل الإنسان من الصغر.

فالطفل - كما أسلفنا - يحمل في كيانه مقومات الشخصية، بدليل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١).

لاحظ الآية فإن الله عز وجل لم يقل خلقنا الكبار ولا الرجال في أحسن تقويم، وإنما خلقنا الإنسان، ثم أتى إلى لفظة التقويم التي تتضمن معنى القدرة والتمكين والاستعداد، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هُمْ أَقْوَمُ﴾^(٢)، أي النفس التي تكثر الاستعداد للهداية والرشد.

وهناك ملاحظة فإن المقومات تنمو في ظل الرعاية السليمة، والتكريم الجاد، والتوجيه المتواصل.

وهكذا كان الإمام الرضا عليه السلام يلاحظ ولده الإمام الجواد عليه السلام ويحوطه بأسمى آيات التكريم والتبجيل، فعندما كان يخرج الإمام إلى المسجد

^(١) التين: ٤.

^(٢) الإسراء: ٩.

النبوي الشريف ليلقي الدروس كان يصطحب ولده الإمام محمد الجواد عليه السلام ويجلسه مع كبار الشخصيات، وأيضاً في موسم الحج وعندما ودّع الإمام الرضا عليه السلام البيت كان الإمام جالساً إلى جوار الكعبة، وقد علم بفراق أبيه، فخيم عليه الحزن وبان التأثير في وجهه لشدة تعلقه بأبيه، فالرعاية العالية تركت أثراً عميقة في كيان الإمام الجواد عليه السلام، وطبعت صورة طيبة في قلبه.

إنّ هذا الأسلوب هو مثال لنا في كيفية توجيه أبنائنا وترشيدهم وصياغتهم بشكل سليم، فينبغي أن نتعلم من الإمام ونهتدي بنوره، فعندما نذهب إلى المسجد أو إلى أيّ مكان يشعّ منه النور، ينبغي أن نأخذ الأولاد أو على الأقل ولداً واحداً وبالتناوب، ونجلسه معنا ليستمع إلى حديث الكبار.

إنّ الجلوس يقوّي فيه «الجرأة» ويتكرّر الجلوس يقتبس الكثير، ومنها قدرة الحديث، وهذا ما يدفعه إلى «الكلام» والتحدّث بجرأة لأنّ حاجز «الخوف» يتلاشى، وبالذات إذا استمر الجلوس مع الكبار.

ومن هنا، فإذا تحدثت ولدك فلا ينبغي إسكاته، لأنّ السكوت المتكرّر يعدم فيه «الجرأة» على الكلام، ويقضي على ملكة الطلاقة، وترتبط الطلاقة بقوة القلب، وقوة القلب تأتي بالجلوس المتواصل.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «قوة البيان من قوة الجنان».

من هنا فإنّ القلب إذا تشبّع بالجرأة فإنه يساعد كثيراً على طلاقة اللسان،

وقوة البيان، بعكس ما إذا أقفر من الجرأة فإن اللسان يضيق.

قال تعالى عن لسان النبي موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾^(١).

فعليه فينبغي أن نزرع الشجاعة في أولادنا ونعلمهم طريقة التحدث مع الآخرين، وذلك بتوفير المناخ المفتوح، من قبيل عقد الندوات والمؤتمرات وتبادل الآراء معهم، ثم استنطاقهم في ما يخص حياتهم المستقبلية.

كنا في السابق نسمع ونرى مثل هذه الندوات التشجيعية والبرامج التي تحمّس الجيل على الشجاعة والطلاقة، ولكن - وللأسف - فإن هذه البرامج ألغيت في المدارس والمراكز، مما جعل الأجيال اللاحقة تعاني من صعوبة الحديث والحوار، الأمر الذي أدى إلى اضمحلال القابليات وضمور القدرات فيما يخص الخطابة والبلاغة والبيان.

ومن جانب فإن بعض الآباء يمارسون مع أبنائهم الصغار طريقة سيئة في التعامل، فلكي يكفّ الطفل عن العبث والمشاكسة يمارس الأب أسلوب التخويف والترهيب بشكل مزرٍ، كأن يخوفه بالكلب الأسود الذي يقبع خلف الباب! و«جاء الطنطل!» أو «الواوي وراء الباب»، فترى الطفل عندما يسمع هذه العبارات يركض ويضمّ رأسه أو يلتحف بغطاء سميك، متجاهلاً أن هذا الأسلوب يقتل في الطفل الجرأة والشجاعة، ويطمر في ذاته ينابيع

^(١) الشعراء: ١٣.

القوى المعنوية.

ومع استمرار التخويف فإن الشجاعة تنتهي تماماً وتذوب الجراءة، فيصبح الطفل جباناً إلى حدّ يخاف من النملة، وهكذا يظل شبح الخوف يطلّ عليه كلما سمع هذه العبارات، فإذا كانت هذه الحالة تعدم في الطفل روح الشجاعة، فإنها أيضاً تعقده وتجعله انطوائياً لا يرغب في الاختلاط، أو إذا خالط لا يجيد التعامل بسبب انعدام القدرة على الكلام وعلى التكيف.

يقول عالم نفسي تربوي: إن في الطفل قدرات هائلة يكتنزها ليصبح رجلاً عملاقاً في المستقبل.

ونستطيع أن نصدق هذا الخبير بما شاهدناه أخيراً؛ حيث شاهدت بنفسي بنتاً في اليمن عند الشيخ علي المحفدي عمرها ثماني سنوات، وقد راعني جرأتها وبلاغتها حيث إنها كانت تجيد الحديث بطلاقة، وتتنقن الربط، ثم التطعيم الرائع بجمل من (نهج البلاغة)، وآيات من الذكر الحكيم، والأحاديث النبوية.

وقد علمت أن الوالد كان يهتم بها كثيراً إلى جانب الأم، فكانا يحثانها - وهي بعد في مراحلها الأولى - على الحفظ والتحدث، فتفجرت فيها القابليات وانبثقت بشكل رائع، ولا شك أنهما استنارا برسول الله ﷺ فهو المعلم الأول.

ففي الروايات المشهورة أن الرسول الأعظم ﷺ كان يلقي الدروس على الإمام علي عليه السلام وهو في عمر الست سنوات، وكان يزقه العلم في كل

يوم، فصار رجلاً عند العاشرة.

وفي هذه السن زرع فيه الرسول الأعظم ﷺ الجرأة والشجاعة حيث كان يُخرجه معه عندما يواجه الجهال.

فكان الإمام سداً منيعاً، وأسداً هصوراً، حيث كان يجنب الكثير من أعداء الرسول الأعظم ﷺ ويركسهم، كما جبن عمرو بن عبد ود العامري في معركة الخندق وأركسه.

ولكنَّ عَمراً لم يظهر جبنه، فعَلَّ تراجعَه بالصدّاقة التي كانت تربطه مع أبي طالب مؤمن قريش.

فقال للإمام (وكان عمره الشريف في بعض الروايات خمس عشرة سنة، وفي بعضها تسع عشرة سنة): إني لا أحبّ منازلتك لأن أباك كان نجعي.

ولكن الإمام عليه السلام ردّ عليه، وقال: ولكنني أحبّ قتلَكَ^(١).

فغضب عمرو، ثم تنازلاً، فكانت نهاية عمرو على يد بطل الإسلام الخالد.

وعندما نأتي إلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام نرى الصور تتكرر معهما، حيث التوجيه الفذ من الرسول الأعظم ﷺ، والزهراء عليهن السلام، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

^(١) رسائل المرتضى: الشريف المرتضى، ج ٤/ص ١٢٣.

فكان الرسول الأعظم ﷺ يجلسهما إلى جنب الكبار، ويتكلم معهما كما لو كانا كبيرين، وكان يكتنهما كما في بعض الروايات، وهكذا كان يعظم شخصيتهما ويحيطهما بالإجلال والإكرام، ومن جانب، فإن النبي الأكرم محمداً ﷺ كان يبجلهما أمام الكبار ويفرد لهما مكاناً، وبالذات في المسجد النبوي الشريف.

ويعد هذا الأسلوب من الأساليب التربوية الرائعة، لأن الصبي عندما يجلس مع الكبار يحسّ بكبر شخصيته وذو شأن عظيم. ومن جانب فإنه يحاول تقليد الكبار فيما يسلكون لوجود نزعة التقليد فيه.

ونزعة التقليد - كما يقول علماء النفس - تظهر بقوة عند المراحل الأولى، ويحاول الطفل في هذه المرحلة تقمص شخصية الأب بقدر لأنه أقرب الناس إليه وأصدقهم به.

والطفل يحسّ بما يمليه والداه ويشعر بكيانه إزاءهما فهو يعلم أنه صغير أو كبير من خلال تصرفات الأب والأم، وهذه نقطة حساسة وغاية في الأهمية. يقول الدكتور حسان باشا: «إن إحساس الولد بنفسه يأتي من خلال معاملتك له، فإن أنت أشعرت أنه (ولد طيب) وأحسسته بمحبتك، فإنه سيكون عن نفسه فكرة أنه إنسان طيب مكرم، وأنه ذو شأن في هذه الحياة.

أما إذا كنت قليل الصبر معه، فتشعره بأنه (ولد غير طيب) وتنهال عليه دوماً باللوم والتوبيخ، فإنه سينشأ على ذلك، ويكون فكرة سلبية عن نفسه

وينتهي به الأمر، إمّا إلى الكآبة والإحباط، أو التمرد والعصيان»^(١).

فالأب والأم لهما الأثر البالغ في استواء أبنائهما من خلال السلوك والمعاملة، لذا فإن الإمام الرضا (صلوات الله عليه) كان يحيط ولده الإمام محمد الجواد عليه السلام بالتبجيل والاحترام ويخاطبه بلغة عالية.

لاحظ هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«أبقاك الله طويلاً.. وأعاذك من عدوك يا ولدي.. فذاك أبوك، قد فسّرت لك مالي، وأنا حيّ سويّ.. رجاء أن يمنك الله بالصلة لقرابتك ولموالي موسى وجعفر رضي الله عنهما»..

إلى أن يقول عليه السلام: «وقد أوسع الله عليك كثيراً، يا بني فذاك أبوك، لا يستر في الأمور بحسبها فتحظي حظك والسلام»^(٢).

يا لها من رسالة عظيمة وكبيرة، تنبئ عن الفهم العظيم والعميق للإنسان، وهكذا وبهذا الأسلوب يكبر الإنسان ويشعر بشخصيته.

والإنسان - كما هو ثابت - إذا أحسّ بكيانه من خلال الاحترام فإنه يربأ بنفسه عن الهبوط، ويحاول قدر الإمكان تحاشي ما يشين ويصغّر شأنه.

وكذلك يحاول إظهار هذا الإحساس المقدّس عند الكبير، لذا نرى

^(١) مجلة العربي: العدد ٥١٢/جمادى الأولى/١٤٢٢.

^(٢) كلمة الإمام الجواد عليه السلام: السيد حسن الشيرازي.

البعض ممن استوت شخصيته يعظم الناس وينظر إليهم بإكبار وإجلال. أما الإنسان الصغير فإنه ينظر إلى الناس باحتقار وإزدراء ويحاول تصغيرهم وتحقيرهم ما استطاع إليه سبيلاً، وهو - كما يسميه علماء النفس - إسقاط الإنسان ما يعانيه على الآخرين، وهكذا كان فرعون إزاء قومه، فإنه كان حقيراً وصغيراً فحاول إسقاط ما في نفسه على الآخرين.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ﴾^(١).

وهذا الأسلوب طالما استعمله الطغاة والمتجبرون، ومنهم معاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، فلأنهم كانوا صغاراً فأرادوا تصغير المسلمين ليكونوا أمثالهم.

وكذلك الدليل عبيد الله بن زياد، كان ينظر إلى الإمام الحسين عليه السلام بما يحسه في نفسه من ضعة وهوان، فالرسالة التي أرسلها إلى عمر بن سعد تنم عن ذلك «خذ حسيناً أخذاً لا رخصة فيه»^(٢).

وفي رسالة أخرى: «لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه، ولا لتطاوله، ولا لتمنيه السلامة والبقاء»^(٣).

فعبارات ابن زياد هي الدليل على الضعة والخسة، وبسببها هبط في تعامله مع سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله ﷺ، ثم انظر كيف

(١) الزخرف: ٥٤.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٤/ص ٣٩٠.

(٣) المصدر السابق: ج ٤٤/ص ٣٩٠.

يستعمل العبارات الفجّة «خذ حسيناً.. فإذا هو..».

وكأنه شخص مارق وعاصٍ، ونحن لا نستكثر ولا نستعظم هذا السلوك الجافي والجلف من هؤلاء، فهم كانوا تبعاً للأذلاء والصغار، وإذا كانوا كذلك فمن أين يكتسبون العظمة والفهم الواسع والعميق للإنسان؟!

وكما هو مذكور في التاريخ فإن ابن زياد كان ذليلاً عند يزيد، فإذا كان يزيد شارب الخمر وذو الأفق الضيق وصاحب العقل الصغير كما يصفه المسعودي في (مروج الذهب) حقيراً فمن الطبيعي أن تسري الحقارة والضعفة في الذين يتبعونه، ولكن الصورة تختلف عند العظماء أمثال أصحاب الإمام علي عليه السلام حيث تجد العظمة والجلال تجلّت في سلوكهم، خذ - على سبيل المثال - عمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت ذا الشهادتين، وابن التيهان، ومالك الأشتر.

فهؤلاء كانوا كباراً وأجلاء، أما لماذا؟

فلأنهم استظلّوا بشخصية كبيرة، وبرجل جمع العظمة، وهو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يعظم الإنسان باستمرار.

قال ضرار في وصفه للإمام عليه السلام: «وكان يعظم أهل الدين ويقرب المساكين»^(١).

^(١) شرح أصول الكافي: محمد صالح المازندراني، ج ١١/ص ٢٧٤، وذخائر العقبى: أحمد بن عبد الله الطبري، ص ١٠٠، وشرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ١٨/ص ٢٢٦، والجوهرة في نسب الإمام علي وآله: البري، ص ٧٥، وكشف الغمة: ابن أبي الفتح الإريطي، ج ١/ص ٧٦، وينابيع المودة لذوي

وهكذا ومن خلال السلوك السامي للإمام (صلوات الله عليه) تخرّجت نخبة جعلتهم يفكرون كثيراً في ذاتهم ويجسّدون الخصال السامية. وتلك هي النقطة الحيوية والمحور الأساسي الذي تقوم عليه حياة الإنسان.

لذلك فإن الإمام الرضا عليه السلام تمسك بهذا المبدأ مع ولده الإمام محمد الجواد عليه السلام وثبته في قاموسه اليومي مع أصحابه وحتى مع مواليه، فكان لا يفرق ولا يجعل حاجزاً يقوم بينهم.

تقول الروايات إنه كان يأكل معهم باستمرار حتى اعترض أحد أصحابه، فقال له الإمام: إن الأب واحد والأم واحدة والرب واحد، وكلنا لآدم وآدم من تراب، فعلام التمييز؟

وقد ضرب الإمام الرضا عليه السلام المثل تلو المثل لولده الإمام حتى افترشت الصور العالية قلبه وجابت في ذهنه الشريف. وإذا تكررت الصور المشرقة فإن إشراقها تجد صدىً قوياً في كيان الإنسان.

يقول علماء النفس التربوي: «إن السلوك الطيب يحفر أخاديداً طيبة في كيان الطيبين».

وقد حفر السلوك الطيب للإمام الرضا عليه السلام الأنهر الطيبة في كيان ولده المبارك بعد أن زرع فيه الخصال الطيبة.

جاء في (عيون أخبار الرضا عليه السلام): عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر البرزنطي، قال: قرأت كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام إلى أبي جعفر: «يا أبا جعفر بلغني أن الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير، فإنما ذلك من بخل بهم لئلا ينال منك أحد خيراً، فأسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلا من الباب الكبير، وإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة، ثم لا يسألك أحد إلا أعطيته، ومن سألك من أعمامك أن تبرّه فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً، والكثير إليك، ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسة وعشرين ديناراً والكثير إليك، إني أريد أن يرفعك الله فأنفق ولا تخش من ذي العرش إقتاراً»^(١).

وعن الحسن بن علي الوشاء، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: «السخي قريب من الله قريب من الجنة، قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس، قريب من النار»^(٢).

قال: وسمعه يقول: «السخاء شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا، من تعلق بغصن من أغصانها دخل الجنة»^(٣).

وهكذا كان الإمام الرضا عليه السلام يزرع القيم المثلى في كيان ولده الكبير

^(١) عيون أخبار الرضا: ابن شهر آشوب، ج ٢/ص ١٢/باب ٣٠.

^(٢) زبدة البيان: المحقق الأردبيلي: ص ٣٢٤، والكافي: الشيخ الكليني، ج ٤/ص ٤٠، ووسائل الشيعة

(آل البيت): الحر العاملي، ج ٢١/ص ٥٤٥، ومستدرک الوسائل: الميرزا النوري، ج ٧/ص ١٣، وعوالي

اللاكي: ابن أبي جمهور الأحاسني، ج ١/ص ٢٨٨.

^(٣) عيون أخبار الرضا: ابن شهر آشوب، ج ٢/ص ١٢/باب ٣٠.

وينمّيها بالرعاية والاهتمام. وكانت توجيهاته تسري بسرعة، وتأخذ حيزاً في كيان الإمام محمد الجواد عليه السلام بشكل لا إرادي حتى جعل الاستجابة لها عفوية.

وقد أكد علماء النفس أن الكبير يهيمن في بعض الأحيان تماماً على الفرد بحيث ينقاد إليه بكل كيانه وشعوره.

وعلى ضوء هذه القاعدة النفسية المهمة استغلّ الحُكّام هذه الهيمنة فراحوا يلبسون مسوح الإيمان، ويتلفعون بثوب القديسين، ليقتضوا مآربهم الجهنمية، ويحققوا مصالحهم الذاتية.

ولذلك صنعوا معلبات محشوة بأفكار شيطانية لتصديرها إلى سوق المغفلين، فراحت هذه البضاعة المغلفة تلعب في عقول من استهوته الشياطين، وغرّته الدنيا. فأخذت هذه الشريحة تطيع الحُكّام طاعة عمياء، وتعتقد بهم وتردّد كالبيغاء ما يلوكونه من كلمات.

من هنا، فقد سيطر الحُكّام الظلمة وسلاطين الجور على عقول هؤلاء البسطاء، فانتكست الثقافة بكافة أشكالها، كما وانكسف ضوء القيم الإلهية.

ولكن وبفضل أئمة أهل البيت عليه السلام تلاشت هذه الهالة المزيفة، وانقشعت الرتوش المصطنعة، وعادت الثقافة الإسلامية بأبهى حلتها، فطلق الأئمة عليه السلام يتصدّون للحُكّام كلما شعروا بخطورة الموقف، وقد يكون الرد ضرورياً إذا علمنا أن بعض الناس المُستخفّ بها تجر الوبال على الأمة.

ثم إنّ الرد يكون بمستوى الاستهتار، خذ على سبيل المثال هارون

الرشيد الذي حاول وبشتى الطرق السيطرة على عقول ونفوس العامة، فلم يسكت عنه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، بل تصدى له وأحبط مؤامراته وأفشلها بالمرة.

عندما زار هارون العباسي المسمى بـ (الرشيد) قبر الرسول الأعظم محمد ﷺ، وقد احتف به الأشراف والوجهاء وقادة الجيش وكبار الموظفين في الدولة، أقبل هارون بوجهه إلى الضريح المقدس، وسلّم على النبي ﷺ قائلاً: السلام عليك يا بن العم!

وبذلك بدا الاعتزاز والافتخار لهارون على غيره برحمه المقرّب من النبي ﷺ، وأنه نال الخلافة لقربه من الرسول ﷺ. وأما الإمام الكاظم عليه السلام فتقدم أمام الجمهور، وسلّم على النبي ﷺ قائلاً: السلام عليك يا أبت.

عندها استولت على الرشيد موجات من الاستياء، وكاد يفقد صوابه لأن الإمام عليه السلام قد سبقه إلى ذلك المجد، فاندفع قائلاً بصوت مشحون بالاستياء: لم قلت إنك أقرب إلى الرسول ﷺ منا؟ فأجابه الإمام عليه السلام كعادته وبجواب مفحم لم يتمكن (الرشيد) من الرد عليه: لو بعث رسول الله حياً وخطب منك كريمتك، هل كنت تجيبه إلى ذلك؟

فقال هارون: سبحان الله!! وكنت أفتخر بذلك على العرب والعجم.

فانبرى الإمام عليه السلام، وبيّن له الوجه الصحيح في قربه من النبي ﷺ دونه قائلاً: لكنه لا يخطب مني ولا أزوجه، لأنه والدنا لا والدكم، فلذلك نحن أقرب إليه منكم.

وفي رواية: لأنه ولدني ولم يلدك^(١).

ثم قال الإمام عليه السلام: هل كان يجوز له أن يدخل على حرمك وهنّ مكشّفات؟؟ فقال هارون: لا.

فقال الإمام عليه السلام: لكن له أن يدخل على حرمي^(٢).

العقل يتكامل في ظل الشخصيات الكبيرة:

إنّ العقل - وكما هو ثابت - يكبر بالقيم الأصيلة، وفي ظل رعاية الكبار وفي الأجواء المفتوحة.

فليس مثل الحرية تفتح الآفاق - كما يقول طه حسين - أمام العقل وتهديه إلى أرفع المعاني، لقد أدرك الإمام الرضا عليه السلام هذا المعنى، فكان يأخذ ولده الإمام الجواد عليه السلام ويصطحبه في مجالسه سواء في المسجد النبوي أو إلى المسجد الحرام، وكان في كل يوم يرفع له من أخلاقه علماً، ويأمره بالاعتداء به.

وكما هو ثابت فإنّ الإنسان عندما يرتقي درجة في سلم الكمال تنبع فيه قوى معنوية، ويشتد فيه الميل نحو المثل والقيم الخلقية. فالطفل عندما

^(١) ذخيرة المعاد: المحقق السبزواري، ج ٣/ص ٤٨٧، وجواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ج ١٦/ص ٩٥، والاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج ٢/ص ١٦٤، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٨/ص ١٢٨، والأربعين: الشيخ الماحوزي، ص ٣٠٨، واللمعة البيضاء: التبريزي الأنصاري، ص ٣٧.

^(٢) كشف الغمة: ابن أبي الفتح الإربلي، ج ٣/ص ٤٥، وحياة الإمام الرضا: الشيخ باقر شريف القرشي، ج ١/ص ٧٩.

نأخذه إلى المسجد أو المركز الديني باستمرار يتملكه الحب وتأخذه الأجواء الطيبة التي تلف المسجد، فقلب الطفل طاهر وطيب، وإذا كانت الأجواء ملائمة فهو ينسجم معها ويتطبع بها، قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾^(١).

وقال جل جلاله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾^(٢).

وهكذا حُبب الإيمان وطيبه في القلوب، لذلك فمن الطبيعي أن يحصل الانسجام بينه وبين الأجواء الصالحة، لأن الطفل مؤمن بصفائه ونظريته وهو يعشق كل ما يمت إلى الدين والقيم الخلقية بصلة. فإذا كان قلب الطفل طاهراً بالإيمان، فإن الأجواء الربانية تؤثر فيه كثيراً، وكلما تشبع الطفل اتسعت روحه وقلبه للأكثر، فيكبر وهو مشبع بالإيمان، ومن جانب فإن الميول الشهوانية أو قل الحيوانية تضعف طالما الإنسان يترعرع في أحضان الإيمان، وكما هو معلوم فإن الروح الشهوانية تمنع الرؤية السليمة للحياة، فلا يرى الحقائق كما هي.

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣).

^(١) النور: ٢٦.

^(٢) الحجرات: ٧.

^(٣) الروم: ٧.

والذي لا يتعمق لا يحصل على شيء، بالضبط مثل الغواص، فما لم يبحر عميقاً لا يحصل على المرجان.

قال الشاعر:

ألا ترى البحر تطفو فوقه جيفٌ وتستقرُّ بأقصى قعره الدرر
وفي السماء نجومٌ لا عداد لها وليس يكسف إلا الشمس والقمر

فعليه فالإنسان إذا لم يتغذَّ في الصغر المعاني والقيم الإلهية لا يتسع عقله، كما أنه يصعب عليه استيعاب المعاني الفذة، ويظل يعاني وقد ينتكس بالذات إذا وصل سن المراهقة، لأن حياته لم تقم على أساس متين والأساس إنما يتم في السنوات الأولى.

يقول الدكتور مصطفى فهمي: «إن خلق الطفل يتحدد في السنوات الأولى من حياته، فهو يتعلم - دون مناقشة - ما هو الخير وما هو الشر من والديه ومدرسيه وغيرهم من الكبار»^(١).

فالأساس يتكون في المراحل الأولى من العمر، ومن الصور التي تنطبع في ذهنه والتي يتلقاها من الكبار، وهكذا فإذا كانت الصور طيبة فإنها تطيب قلب الطفل وتزيده طهارةً ونقاءً.

إنَّ الطفل يحاول تجسيدها وتمثيلها بكامل معانيها لأنه يحب التقليد وبالذات تقليد الكبار، ولكن قد يحدث العكس.

^(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة: ص ٢٧٧.

فإذا ما وقعت عيناه على فلم إجرامي مثلاً فهو يحاول (اجترار) الأدوار وبالذات حركات بطل الفيلم، وهذا ما نلمسه بكل وضوح، في أوساط الشباب بالذات في لباسهم وطريقة مشيتهم.

أولاد الإمام الجواد عليه السلام:

جاء في (تحفة الأزهار في نسب الأئمة الأطهار عليه السلام):

أنه كان للإمام الجواد عليه السلام أربعة أبناء: أبو الحسن الإمام علي النقي، وأبو أحمد موسى المبرقع، وأبو أحمد الحسين، وأبو موسى عمران.

بناته:

فاطمة، وخديجة، وأم كلثوم، وحكيمة وأمهم سمانه المغربية، ولم يكن للإمام الجواد عليه السلام أبناء من أم الفضل ابنة المأمون، وينحصر عقب الإمام الجواد عليه السلام من الإمام علي الهادي عليه السلام، وأبي أحمد موسى.

ويذكر الشيخ المفيد رحمه الله ابنة للإمام الجواد عليه السلام هي «أمامة».

يقول المحقق الشيخ عباس القمي رحمه الله: إن السيد موسى المبرقع هو جد السادات الرضويين، وحبل أولادهم غير المنقطع بحال، والحمد لله، وإليه ينتهي نسب أكثرهم، وهو أول من قدم إلى قم من السادات الرضويين، وذلك سنة ست وخمسين ومئتين، وسمي بالمبرقع لجمال وجهه الفائق، فكان يضع على وجهه برقعاً باستمرار.

ولما قدم إلى قم أخرجه أهلها مع العرب، فذهب إلى «كاشان» وفيها تلقاه أحمد بن عبد العزيز بن دلف العجلي، فأكرمه وخلع عليه الخلع الكثيرة والرواحل، وجعل له كل سنة ألف مثقال ذهباً تعطى له مع جواد مسرج، فما كان من زعماء العرب من أهل قم، وبعد أن عادوه إلا أنهم قدموا إليه معتردين، وعادوا به إلى قم، معزواً مكرماً.

وحسنت أحواله في قم حتى اشترى قرى ومزارع بأمواله الخاصة، ثم قدمت عليه بعد ذلك أخواته زينب وأم محمد وميمونة بنات الإمام محمد الجواد عليه السلام، ثم قدمت بعدهنّ بريهة ابنة موسى، وجميعهن توفين في قم، ودفننّ عند السيدة فاطمة عليها السلام^(١).

السيدة حكيمة ابنة الإمام الجواد عليه السلام:

السيدة حكيمة ابنة الإمام الجواد عليه السلام، والذي كان لها شرف اللقاء بالإمام القائم عليه السلام عند ولادته المباركة.

وقد طلب منها الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالبقاء عنده ليلة ولادة الإمام المهدي عليه السلام.

ومن شدة تقواها وسموّ معرفتها أسند إليها الإمام الهادي عليه السلام تعليم السيدة «نرجس» والدة الإمام الحجة عليه السلام. وقد اهتمت بنرجس وأخذت تعلمها أحكام الشرع والعلوم الإلهية العالية.

^(١) انتهى الآمال: ج ٣/ص ٤٥٣.

وبعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام تسّمت منصب السفارة للإمام عليه السلام وكانت توصل عرائض الناس إليه عليه السلام، كما توصل التوقيعات الصادرة منه (صلوات الله عليه).

وقد صرح العلماء باستحباب زيارتها، وقبرها الشريف في سامراء في قبة العسكريين إلى الأدنى ملاصق لضريحها عليه السلام في ضريح جده^(١).

أصحاب الإمام الجواد عليه السلام:

١- إسماعيل بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

كان من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام وله مؤلفات في الطهارة والصلاة والزكاة والحج والجنائز والطلاق والنكاح والحدود والدعاء والسنن والآداب والرؤيا.

وقد أمره الإمام الجواد عليه السلام أن يصلي على جنازة صفوان بن يحيى، وكان مشهوداً له بالعلم والفضل والفقه وحسن العقيدة وكثرة التصانيف^(٢).

٢- أيوب بن نوح بن دراج النخعي (وكنيته أبو الحسن):

كان من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام ووكيلاً للإمام الهادي والإمام العسكري عليه السلام، ومن أصحابهما، وكان ثقة في رواياته، عظيم المنزلة

(١) انتهى الآمال: ج ٢/ص ٤٨٥.

(٢) الإمام الجواد عليه السلام من المهد إلى اللحد: السيد كاظم القزويني، ص ٣٦.

عندهما مأموناً، شديد الورع، كثير العبادة، وكان من عباد الله الصالحين.
وقد روى أحاديث كثيرة عن الأئمة عليه السلام الذين عاصروهم وتشرف
بصحبتهم، وله كتب قد ألفها، وله مسائل عن الإمام الهادي عليه السلام.
وفي كتاب (كامل الزيارة) بسنده عن حمدان الوسواني (الديواني)،
قال: دخلت على أبي جعفر الثاني عليه السلام، فقلت: ما لمن زار أباك بطوس؟
فقال عليه السلام: «من زار قبر أبي بطوس، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر»^(١).

قال حمدان: فلقيت - بعد ذلك - أيوب بن نوح بن دراج، فقلت له: يا
أبا الحسين، إني سمعت مولاي أبا جعفر، يقول:
«من زار قبر أبي بطوس غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»
فقال أيوب: أزيدك فيه؟

قلت: نعم

قال: سمعته يقول ذلك (يعني أبا جعفر): «وأنه إذا كان يوم القيامة
نُصب له منبر بحذاء منبر رسول الله ﷺ حتى يفرغ الناس من الحساب»^(٢).

٣- أحمد بن محمد بن خالد البرقي:

ينسب إلى «برقة» وهي من ضواحي مدينة قم في إيران، ويعتبر حديثه

^(١) الكافي: الشيخ الكليني، ج ٤/ص ٥٨٥، ووسائل الشيعة (آل البيت): الحر العاملي، ج ١٤/ص ٥٥٠،
ومستدرك الوسائل: الميرزا النوري، ج ١٠/ص ٣٥٥، والمزار: الشيخ المفيد، ص ١٩٥، وبحار الأنوار:
العلامة المجلسي، ج ٧/ص ٢٩١.

^(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٧/ص ٢٩١.

مقبولاً عند علماء الرجال، وقد عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الجواد والإمام الهادي عليه السلام.

وتروى عنه أحاديث كثيرة جداً، موجودة في الكتب الأربعة، وغيرها.

٤- أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي:

يكنى أبا جعفر كان من أصحاب الإمام الرضا والإمام الجواد عليه السلام.

وكان عظيم المنزلة عندهما، وهو ثقة جليل القدر، وله كتاب (الجامع)، و(النوادر).

ويروي أحاديث كثيرة عن الإمام الرضا والإمام الجواد عليه السلام، وأحاديثه موجود في كتاب (التهذيب).

ويروي عن الإمام الجواد عليه السلام عن ابن أبي نصر، قال: كتبت إلى أبي جعفر الجواد عليه السلام: الخمس أخرجته قبل المؤونة أم بعد المؤونة.

فكتب الإمام: بعد المؤونة.

وينقل عنه أيضاً ثقة الإسلام الكليني.

٥- حبيب بن أوس الطائي:

هو أبو تمام، الشاعر المعروف، وكان معاصراً للإمام الجواد عليه السلام، وقد فاق عصره في شعره.

وله قصيدة يذكر فيها الأئمة الاثني عشر عليه السلام:

رَبِّيَ اللهُ وَالْأَمِينُ نَبِيٌّ صِفْوَةُ اللهِ، وَالْوَصِيُّ إِمَامِي

ثم سبطاً محمداً تالياً
والتقي الزكي جعفر الطيب
ثم موسى، ثم الرضا علم الفضل
والزكي الإمام مع نجله القا
أبرزت منه رافة الله بالنا
فرع صدق نما إلى الرتبة القص
هؤلاء الألى أقام بهم حجت
وعلياً وباقر العلم حامي
ب، مأوى المعتز والمعتام
ل المعزى من كل سوء وذام
ثم، مولى الأنعام نور الظلام
س لذاك الظلام بدر التمام
وى وفرع النبي - لا شك - نامي
ه ذو الجلال والإكرام

٦- الحسن بن علي بن زياد الوشاء:

يكنى أبا محمد، كان من وجوه هذه الطائفة وشخصياتهم، وأدرك
صحبة الإمام الرضا، والإمام الجواد، والإمام الهادي عليه السلام.

وهو الذي أدرك في مسجد الكوفة تسعمائة شيخ، كل يقول: حدثني
جعفر بن محمد.

ويقول الحجة السيد كاظم القزويني: لم يذكره الرجال في أصحاب
الإمام الجواد عليه السلام.

وقال الشيخ المجلسي: روى على حديث يدل على أنه أدرك صحبة
الإمام الجواد عليه السلام^(١).

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٧/ص ٢٩١.

٧- دعبل بن علي الخزاعي:

الشاعر المعروف، عظيم الشأن، وعظيم الولاء، كان من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وأدرك الإمام الجواد عليه السلام، ويُعدّ من شعراء أهل البيت المقدسين.

كان شاعراً للإمام الرضا عليه السلام

وفي (الكافي)، بسنده عن دعبل بن علي الخزاعي، أنه دخل على أبي الرضا عليه السلام، وأمر له بشيء، فأخذه ولم يحمد الله.
قال: فقال له - الإمام - لمَ لم تحمد الله؟
قال: ثم دخلت - بعد على أبي جعفر - الجواد عليه السلام، وأمر لي بشيء.
فقلت: الحمد لله.
فقال لي: تأذبت^(١).

٨- ابن السكيت يعقوب بن إسحاق الأهوازي:

أحد أئمة اللغة، وحامل لواء علم العربية والأدب والشعر، وصاحب (إصلاح المنطق)، ومن خواص الرضا والجواد والهادي عليهم السلام.
كان ثقةً جليلاً، وشجاعاً مقداماً، وكان مؤدّباً لأولاد المتوكل العباسي، فسأله ذات يوم: هل ولداي المعتز والمؤيد أفضل عندك أم الحسن

^(١) الكافي: الشيخ الكليني، ج ١/ص ٤٩٦، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٥٠/ص ٩٣، والغدير: الشيخ الأميني، ج ٢/٣٧٣.

والحسين؟

فراح ابن السكيت يعدّد فضائل الحسين عليه السلام، وقال: إن قبراً خادماً الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام خير منك ومن ولدك^(١).

وعلى رواية: إن نعلي الحسن والحسين أفضل من ولدك.

فأمر المتوكل غلمانه أن يستلوا لسانه من قفاه، ورضوان الله عليه، وكان يقال له «ابن السكيت» لكثرة سكوته.

وهو الذي سأل الإمام الرضا عليه السلام عن علة المعجزات التي حدثت للأتبياء.

عن يعقوب البغدادي، قال: قال ابن السكيت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: لماذا بعث الله عز وجل موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر، وبعث النبي عيسى عليه السلام بالطب، وبعث محمداً عليه السلام بالكلام والخطب؟

فقال له أبو الحسن عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى لما بعث موسى عليه السلام كان الأغلب على أهل عصره السحر فأتاهم من عند الله عز وجل بما لم يكن عند القوم وفي وسعهم مثله، وبما أبطل به سحرهم وأثبت به الحجّة

^(١) شرح اللمعة: الشهيد الثاني، ج ٧/ص ٣١٤، والكافي: الشيخ الكليني، ج ١/ص ٢٤، والاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج ٢/ص ٢٢٥، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٥٠/ص ١٦٤، ونهج السعادة: الشيخ محمودي، ج ٧، ص ٣٨٧، ومواقف الشيعة: الأحمدي الميانجي، ج ٢/ص ٣٣٧، والأعلام: خير الدين الزركلي، ج ٨/ص ١٩٥، والكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي، ج ١/ص ٣١٥.

عليهم، وإن الله تبارك وتعالى بعث عيسى عليه السلام في وقت ظهرت فيه الزمانات - جمع زمانة الآفة - واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله عز وجل بما لم يكن عندهم مثله وبما أحيا لهم الموتى، وأبرأ (لهم) الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وأثبت به الحجة عليهم. وإن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام (وأظنه قال) والشعراء، فأتاهم من كتاب الله عز وجل ومواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم.

فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك اليوم قط، فما الحجة على الخلق اليوم؟

فقال عليه السلام: العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدق، والكاذب على الله فيكذبه.

فقال ابن السكيت: هو والله الجواب^(١).

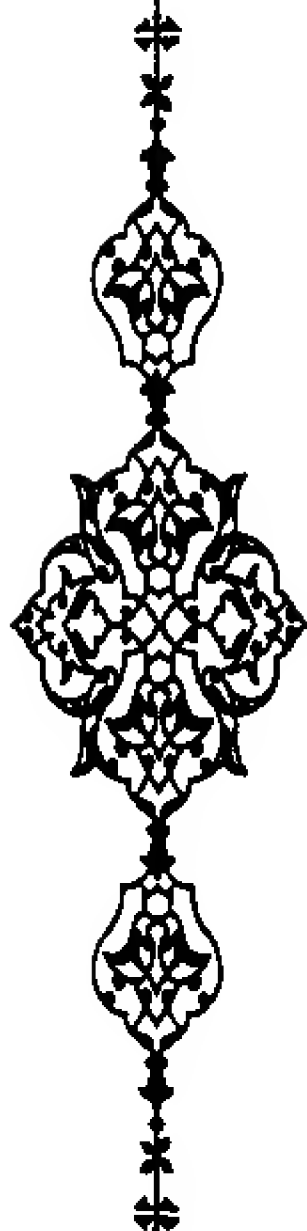
وسأل ابن السكيت الإمام الرضا عليه السلام ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدراسة إلا غضاضة؟

فقال: لأن الله لم ينزله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غضاً إلى يوم القيامة.

^(١) عيون أخبار الرضا: ابن شهر آشوب، ج ١/ص ٨٥-٨٦

الفصل الثالث

الموقف السياسي والإعلامي المضاد من القيادة الربانية



الموقف السياسي والإعلامي

المضاد من القيادة الربانية

اليهود خطر مستمر على القيادات الربانية:

ما إن حل الرسول الأعظم ﷺ بالمدينة المنورة حتى حولها إلى أرض خصبة بعد أن كانت قاحلة من الفكر والحكمة وكافة أشكال الثقافة، فأتاح للجميع فرص التقدم والتطور بدليل الاتفاقيات التي أبرمها مع اليهود وغير اليهود، حيث منح قدراً كبيراً من الحرية، ولم يستثن منها أحداً.

ولم يكتف بهذا بل أخذ يطور آليات توفير الفرص، ويدخل في هذا الإطار إقامة البنى الأساسية، فقد أحكم الرسول ﷺ البنى التحتية للاقتصاد والسياسة والفكر والثقافة، ليستشق الجميع - ومنهم اليهود - غير الحرية.

والحرية هي إحدى البنى الأساسية، لأن البلد الذي يقوم على أساس صحيح لا يخشى التيارات المعاكسة حتى لو كانت خطيرة، فالقبايل اليهودية التي كانت تسكن المدينة المنورة استوعبها الرسول الأعظم ﷺ وأبرم معها اتفاقيات ضمّنها بنوداً شكّلت كياناً مهماً لليهود.

ولكن اليهود وبالرغم من هذه البنود التي أعطت لهم اعتباراً، وحفظت

كيانهم في عاصمة الدولة الإسلامية فإنهم نقضوا العهود وخرقوا الاتفاقيات - وهو ديدنهم - بل وتحالفوا مع أعداء الإسلام لضرب الدولة الإسلامية في الصميم، وتحالف بني قريظة مع قريش في معركة الأحزاب مثال صريح لهذا العداء.

مع العلم - وكما أسلفنا - أن الرسول الأعظم ﷺ وقر لهم الأرضية وهياً الأجواء لكي يقيموا لهم كياناً اقتصادياً وسياسياً ودينياً، وهذه أهم ميزات المجتمع، فأضحت القبائل اليهودية - وكما هو واضح في كتب التاريخ - تعبر عن آرائها ومعتقداتها في أهم كيان للمسلمين (المدينة المنورة).

وهذا شيء لم يسبق له مثيل في تاريخ اليهود، حيث إن اليهود - وكما هو ثابت وعلى مر التاريخ - تعرضوا لأبشع أنواع القهر والإذلال وحملات الإبادة، ليس لأنهم ضعفاء أو فئة صغيرة، ولكن لأنهم وراء معظم المفاسد والمؤامرات وبالذات الحروب والفتن.

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾^(١).

والآية تدل على ذلك بعبارة (كلما)، والحروب المدمرة من قبل اليهود لا قدرة للإنسان على إطفائها، لذا قال الله عز وجل: «أطفأها الله»، ولم يقل: أطفأها الناس.

فاليهود - إلى جانب المسلمين - تمتعوا بنعمة القيادة الربانية، الأمر الذي

^(١) المائدة: ٦٤.

جعل تجارتهم واسعة وصناعاتهم رائجة، حتى إنهم سيطروا على سوق الصياغة، وتوسّعوا في مجال الزراعة، فصار لهم نفوذ واسع، بدأ يمتد خارج المدينة حتى أصبح التحالف من قبل القبائل العربية التي لم تدخل الإسلام واقعاً أخذ يفرض نفسه.

ولكن ومما يؤسف له أنّ هذا التحالف أخذ شكلاً عدوانياً وتآمرياً، وهذا طبع لم يفارق اليهود وقد مرّدوا عليه، فما إن يتوسع نفوذهم حتى تنمو فيهم روح الاستعلاء والكبرياء والسيطرة والجبروت، فيسعون إلى سحق الآخرين بشتى الوسائل.

إنّ سياسة اليهود تكمن في قيام دولتهم على الحروب والفتن، وكيانهم على هدم الضعفاء والمساكين، فحياتهم قائمة على الاستغلال والذبح وسحق الضعفاء.

فاليهودي المتطرّف لا يسعد في العيش إلا وسط بركة من الدماء وفي مستنقع آسن بالرديلة والموبقات، فتراه دائماً يحوك المؤامرات، ويفجر الأزمات، ومن ثم يحاول استغلال ذلك في تثبيت نفوذه وتوسيع كيانه، والمشكلة في مجتمع اليهود أنهم شعب لا ينمو طبيعياً، بحيث يكتسب مقومات وجوده من مصادر سليمة ومشروعة، بل يستمدّ مقومات حياته من الحروب والأزمات وسحق الآخرين.

واليهودي عندما يقدم على توسيع تجارته فإنه يلجأ إلى الاحتكار والاحتيال وابتلاع الشركات الصغيرة التي أبصرت نواً، والأنكى من ذلك أنه يتوسل في السيطرة بأرذل الأساليب وأحط الوسائل، فهو لا يتورّع عن

تقديم أي شيء في سبيل السيطرة على بضاعة يرى فيها مستقبلاً لتجارته، كما أنه لا يرعى إلا ولا ذمة في تحقيق الربح المطلوب حتى لو كان على حساب القيم.

لذلك فاليهود - وعلى مر التاريخ - عرفوا بعدائهم للأنبياء، لكنهم أظهروا صورتهم البشعة عندما أطل فجر الإسلام، فقد كُشِّروا عن أنيابهم وأفصحوا عما في قلوبهم من ضغائن وأحقاد بمجرد أن تولى النبي الأكرم ﷺ مهام القيادة.

واشتد العداء اليهودي للإسلام لأن الأخير وضع نهاية للأسطورة اليهودية التي تنص على بقاء الكيان اليهودي فوق الجميع «شعب الله المختار».

ولأن النبي محمداً ﷺ ظهر من غير ملتهم، وهذا الظهور شكّل نهاية لتخرصات الأخبار وحداً لتهوراتهم وعنجهيتهم، فهم كانوا يبشرون الناس بنبي منهم، ويوعدون ويتوعدون من كان يترقب بالذات الذين كانت لهم مصالح معهم.

ولذا راح اليهود بعد أن خرج النبي محمد ﷺ من قريش ينشرون السموم ويبثون الإشاعات، ويزرعون الأشواك في طريق المسلمين، كل ذلك لإجهاض رسالة الإسلام، وقهر الرسول الأعظم ﷺ.

إن خطورة اليهود تكمن في النفوذ والاختراق، وهذه في نظري من أخطر الخطط التي تمرّس بها اليهود عبر التاريخ.

من هنا فقد حذر الإسلام كثيراً من المؤامرات اليهودية، وتبه المسلمين من مغبتها.

قال تعالى: ﴿هُرُّ الْعَدُوِّ فَاحْذَرُهُمْ فَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(١).

لذلك فإن النبي ﷺ أعد الأمة إعداداً لم يسبق له مثيل في سيرة الأنبياء درءاً للأخطار المحدقة من قبل اليهود.

فعين الأوصياء من بعده، وشدد على التمسك بهم، حتى وصل به الأمر أنه قرنهم بالقرآن، كل ذلك حتى لا تفرط بهم الأمة أو ترهد فيهم.

ومع أن الرسول اتخذ خطوات للحفاظ على القيادة من عبث اليهود، لكنه في نفس الوقت لم يظلمهم بل راعى حقوقهم ومنحهم الحقوق التي تكفل كيانهم وتبني مستقبلهم، إلا أنهم تنكروا لها وأوسعوها طعناً ومؤامرة، وسحقوا كل الاتفاقيات المبرمة واختاروا لأنفسهم طريق الحرب بدلاً من السلام.

وهكذا - ومع بداية الاتفاقية - بدأت مؤتمراتهم تترى وتفرخ وتتناسل باستمرار، الأمر الذي أوقف مشروع التكامل الذي وضع أسسه الرسول الأعظم ﷺ، وأخذت المؤامرات اليهودية تجد طريقها إلى الجاهلين الذين أترعت نفوسهم حقداً وبغضاً على الإسلام، فقست قلوبهم وصغرت عقولهم.

^(١) المنافقون: ٤.

فأخذت هذه النفوس تتحين الفرص وتربص بالمسلمين الدوائر عليها تجد ضالتها وتحقق أهدافها الشيطانية، وقد اشتد الولع عند اليهود في تأسيس خطٍ منحرف داخل المجتمع الإسلامي وتعميقه بشتى الوسائل والأساليب، فأخذت القبائل اليهودية - ومنها بنو قريظة - تتحالف مع المنافقين داخل المدينة وتعقد معهم اتفاقيات سرية.

وقد تلهف ابن أبي وراح يشمر عن ساعديه لإيجاد عمق استراتيجي يضمن له الحفاظ على الاتفاقية، وهكذا امتدت الاتفاقية لتشمل قريشاً في مكة المكرمة فأخذ الحلف الثلاثي بين اليهود والمنافقين وقريش يدبر المؤامرات ويحيك فصولها في أقدر عملية التفاف شهدتها الدولة الإسلامية.

وتحالفت قريش بعددها وعُدتها مع اليهود لتخوض معركة فاصلة مع المسلمين، وهي معركة الخندق، وقد تنبه الرسول الأعظم ﷺ إلى حراجة الموقف، ودقة المرحلة التي وضعت المسلمين في منعطف خطير.

لكن الرسول الأعظم ﷺ تدارك الأمر فطفق في البداية ينسف الحلف الثلاثي، فجاء بنعيم بن مسعود الذي كانت تربطه باليهود علاقة جيدة لينسف الحلف المشؤوم بين اليهود وبين قريش والكفار.

واستطاع نعيم بحنكته أن ينسف الحلف ليريح المسلمين من شره المستطير، الذي كادت بعض القلوب أن تنخلع بسببه.

وجاءت ضربات بطل الإسلام الخالد الإمام علي عليه السلام لتكمل وتنتهي

صفحة المؤامرة الدنيئة التي استهدفت الإسلام بالصميم.

وبعد انتهاء معركة الأحزاب بفرار جيش أبي سفيان، صمّم رسول الله محمد ﷺ، على إنهاء المؤامرات وقلع جذور الفتنة، فأقدم على إجلاء بني قريظة وهي آخر قبيلة كانت تسكن المدينة والتي كانت وراء معظم المؤامرات.

عوداً على بدء: فالرسول الأعظم ﷺ في المدينة هياً الأرضية ووفر لهم الفرص الذهبية، وكان يمكن لليهود استغلال هذه الفرص والاتفاقيات وتوظيفها في مجال خدمة الأمة اليهودية من خلال التعايش السلمي مع الدولة الإسلامية.

لقد أتاح الرسول الأعظم ﷺ لليهود أعظم فرصة تاريخية، لتعاقب الأفكار وتلاقح الآراء ويستفيد كل طرف من الآخر، ولكنهم قلبوا له ظهر المِجَنّ وتَنَكَّرُوا لها تماماً.

وتعدّ أخلاق التسامح من المبادئ الأساسية للدين الإسلامي الحنيف وإحدى أهم الوسائل في تثبيت النظام الإسلامي وليس الإلغاء والسحق كما هو عادة الأمم ومنها اليهود.

إنّ الحكمة أو قل الحديث «خذ الحكمة ولو من فم كافر» ينبىء عن التعامل الفذّ والأجواء المشبعة بالحرية.

فالحكمة لا تتبع إلا في وسط مفتوح ومشبع بمفردات الحرية، لذا كان يمكن لليهود استغلال الأجواء الطيبة في المدينة للمحافظة على كياناتهم

ومصالحهم الحيوية، وضمان مستقبلهم في ظل دولة تحترم الحقوق وتضمن المصالح للجميع.

ولكن يأبى الطبع اليهودي إلا الشذوذ والالتجاء إلى الطرق الملتوية، فراحوا يلتفون حول المسلمين ويعملون ما بوسعهم للقضاء على الدولة الفتية التي كانت خيراً للجميع بما فيهم اليهود.

قال تعالى: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ^(١)

واستمر العداء اليهودي على مر التاريخ، في الفترات التي تسلم فيها أئمة أهل البيت عليه السلام مهام القيادة أو الإمامة، وفي زمن الإمام الجواد عليه السلام أيضاً.

فالأيدي اليهودية واضحة في عمليات الاغتيال، وجبك المؤامرات، وجعل الأحاديث، وسرقة حكم أهل البيت عليه السلام خلال العصور التي تولى فيها أئمة أهل البيت عليه السلام مهام القيادة.

ولا يزال - اليوم في زمن الغيبة - النهج اليهودي مستمراً بمؤامراته، ولكن بأساليب حديثة، ومخططات دقيقة، وفتن أشد.

^(١) البقرة: ٦١.

شبح الإعلام الصهيوني في زماننا:

استغل الإعلام الصهيوني في حربه ضد الإسلام - وعلى رأسه الإمامة - بساطة المراهقين لإبعادهم عن الدين.

فراح يغذي البرامج التلفزيونية بالأفلام الإجرامية والداعرة، ويشبعها باللقطات المحرّمة، حتى أخذت مساحة واسعة من فكر الشباب وحيّزاً كبيراً من اهتمامهم.

وقد أثر هذا الغزو الثقافي المضاد على العوائل والبيوت، فأخذت هذه البيوت تغوص في هذا الوحل الآسن وتقع فيه، فخسرت فلذات أكبادها بل خسرت أنفسها، بعد أن تفكّكت أواصرها.

وللإعلام الصهيوني أساليب ماهرة في اختراق البيوت، وتوظيف الأولاد لصالحه ولأغراضه، عندما دلّهم على أماكن موبوءة ليصوغ بها شخصياتهم ويعدهم كما يريد، لا كما نريد نحن المسلمين.

والصهيونية عرفت كيف تفتّح هذا الجزء الحيوي من جسد المجتمع بأساليب ماهرة وملقعة بالعلمية والموضوعية، وذلك عندما روجت النظريات الفاسدة كنظرية دارون، وفرويد، وانجلز، وسارتر، ودوركهيم، وفي هذا الإطار فإنها راحت تطرح هذه النظريات، وتؤسّس لها منهجاً علمياً، لتجد طريقها إلى الجامعات حتى يتم السيطرة عليها، ومن خلال سيطرتها على الفكر الجامعي احتلت الصهيونية أهم موقع في البلاد.

جاء في (بروتوكولات حكماء صهيون): «وسيكون رؤساء (heads) الجامعات وأساتذتها معدّين إعداداً خاصاً، وسيلته برنامج عمل سرّي متقن، سيهذبون ويشكّلون بحسبه، ولن يستطيعوا الانحراف عنه بغير عقاب، وسيرشحون بعناية بالغة، ويكونون معتمدين كل الاعتماد على الحكومة (Government)، وسنحذف من فهرسنا (Syllabus)، كل تعاليم القانون المدني مثله في ذلك مثل أي موضوع سياسي آخر، ولن يُختار لتعليم هذه العلوم إلا رجال قليل من بين المدرسين لمواهبهم الممتازة، ولن يسمح للجامعات أن تخرج للعالم فتیاناً خضر الثياب ذوي أفكار عن الإصلاحات الدستورية الجديدة، كأنما هذه الإصلاحات مهازل (Comedies)، أو مآسٍ (Tragedies)، ولن يسمح للجامعات أيضاً أن تخرج فتیاناً ذوي اهتمام من أنفسهم بالمسائل السياسية التي لا يستطيع ولو آباؤهم أن يفهموها»^(١).

وهذه المبادئ هي الواقع الذي كرّسته الصهيونية على مرّ التاريخ، وفي هذا الزمان فإن بروتوكولات حكماء صهيون تعتبر من أخطر المبادئ التي ظهرت في هذا العصر. إذ هي تعتمد الأساليب التي تستهوي الشباب والشابات، وتصوغ أفكارهم وفق النظريات المطروحة من قبلهم، لذا عبأت جهودها لكي تطرح النظريات في أهم المراكز العلمية.

من هنا كرّست جهودها في الجامعات والمدارس والمعاهد، وكما هو

^(١) بروتوكولات حكماء صهيون: ص ١٦٤.

معلوم فإن الجامعات تشكّل الحجر الأساس في تكوين البنى التحتية للبلد بما فيها الاقتصاد والسياسة والثقافة وغيرها.

وهكذا أخذت تدرّس نظريات دارون وفرويد وانجلز وديكارت ونيشه، وبين الفينة والأخرى أخذت تطرح نظريات جديدة وملقعة بديكور رائع - وهو تكتيك ذكي - مع البقاء على الاستراتيجية الثابتة، ذلك لأن الشباب يحب التطلّع إلى الجديد ويستهوئ ما يلائم عقله وأحاسيسه.

جاء في (بروتوكولات حكماء صهيون): البروتوكول الثاني: «دعوهم يتمتعوا ويفرحوا بأنفسهم حتى يلاقوا يومهم، أو دعوهم يعيشوا في أحلامهم بملذات وملأة جديدة، أو يعيشوا في ذكرياتهم للأحلام الماضية، دعوهم يعتقدوا أنّ هذه القوانين النظرية التي أوحينا إليهم بها إنما لها القدر الأسمى من أجلهم وبتقييد أنظارهم إلى هذا الموضوع، وبمساعدة صحافتنا نزيد ثقتهم العمياء بهذه القوانين زيادة مطردة، إنّ الطبقات المتعلّمة ستختال زهواً أمام أنفسها بعلمها، وستأخذ جزافاً في مزاوله المعرفة التي حصّلتها من العلم الذي قدمه إليها وكلاؤنا رغبة في تربية عقولها حسب الاتجاه الذي توخينا، لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، ولاحظوا هنا أن نجاح دارون، وماركس، ونيشه، قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي في اتجاه هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا على التأكيد»^(١).

(١) بروتوكولات حكماء صهيون: ص ١١٣، ط ٤.

وهكذا تؤكد الصهيونية على طرح النظريات في الجامعات والمدارس وتثبتها في المنهاج، وقد أحدثت لذلك أساليب غاية في الخطورة في تبني هذه النظريات، منها تشكيل حكومات تأخذ على عاتقها تطبيق نظريات ماركس وأنجلز وسارتر.

وقد دعمت الصهيونية هذه الحكومات وقدمت لها التسهيلات اللازمة ووفرت لها خبرة في تطبيقها، وإن كانت تكلف الشعوب الكثير. لذا ينبغي علينا أن نأخذ الحيطة والحذر ونهتم بشبابنا، وبالذات شباب الجامعات.

وينبغي أن يأخذ الاهتمام صوراً عدة منها:

- ١- توزيع الكتب العلمية من قبيل (الله يتجلى في عصر العلم)، وغيرها.
- ٢- عقد ندوات لبحث مشاكلهم وبالذات الأخلاقية.
- ٣- حث الآباء على احترامهم ومعاملتهم وفق الضوابط الإسلامية.
- ٤- طرح الأحاديث الشريفة ووضعها بين يدي الآباء، من قبيل حديث رسول الله ﷺ: «ولدك سيد لسبع وعبد لسبع ووزير لسبع».
- وهناك أحاديث كثيرة في هذا المجال.
- ٥- تحذيرهم من النظريات الهدامة، وإسقاطها وفق الأدلة العلمية وعلى ضوء المفاهيم الإسلامية.
- ٦- حث الخطباء والكتاب على طرح المفاهيم التي تخص الشباب، ولا يخفى أن للخطيب الدور الكبير في هذا المجال، فيمكنه - ومن خلال الخطب والمحاضرات - صياغة الكثير من الأفكار ووضعها في عقول الشباب من خلال الأرقام والأدلة والوقائع.

ولغة الأرقام والوقائع الحية أضحت المدخل لتوسيع ذهنية الشباب بالمفاهيم الإسلامية، ولا يخفى فإن القرآن فيه الكثير من الآيات التي تتضمن الأرقام والوقائع.

خذ على سبيل المثال، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(١)، وهذا هو الواقع فالإنسان أكثر الكائنات عجلة.

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾^(٢)، فالإنسان بما أنه عاقل ويحبّ الظهور ففي كثير من الأحيان يجادل وفي بعض الحالات يأتي جدله بسبب حب الظهور، وقد يكون للمنفعة والإفادة.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٣).

فالواقع اليهودي يصدق ذلك، فالبخل صفة بارزة في سلوكهم، وهم يتميزون عن الأمم بهذه الصفة اللعينة التي ما وجدت في أمة إلا وجرت عليها الوبال والماسي.

وأما لغة الأرقام فقد اعتمدها القرآن الكريم كثيراً في آياته المباركة، قال تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾^(٤).

(١) الإسراء: ١١.

(٢) الكهف: ٥٤.

(٣) المائدة: ٦٤.

(٤) العنكبوت: ١٤.

وهذه الآية تدل على الإمكانات الهائلة في الإنسان والقدرة في إطالة عمره.

وقال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾^(١)، والعرجون عذق النخل يتقوس مثل الهلال بعد ستة أشهر من أخذ التمر.

وقال تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٢)، وقد ثبت أن الحمل ممكن لستة أشهر، والفصام يتم بعد سنتين، وقد أثبت الطب الحديث أن الرضاع إذا استوفى هذه المدة فإن الطفل تصبح عنده مناعة قوية ضد الأمراض.

وهذه الآيات التي جئنا بها إنما هي على سبيل المثال، وقد تحدثت عن ظواهر لها علاقة في حياة الإنسان.

فالأولى تدل على إمكانية إطالة عمر الإنسان، وقد ثبت الآن، فقد ارتفع متوسط عمر الإنسان في اليابان إلى (ستين) سنة، وفي الولايات المتحدة وبريطانيا إلى (سبعين) سنة.

وقد يأتي زمان ليس بالبعيد ليصل إلى (ثلاثمئة) سنة بشرط، إذا اهتم الإنسان بالعلم ليصبح متوسط عمره أكثر من (مئتي) سنة كما يقول العلماء.

وأما الظاهرة الثانية فتحدث عن منازل القمر، وهي ظاهرة كونية ترتبط

^(١) يس: ٣٩.

^(٢) الأحقاف: ١٥.

بحركة الكواكب والمجرات، فكلها تسير وفق قوانين معدة ودقيقة للغاية.
وعلى كل حال، فلغة الأرقام يمكن - وبسهولة - انتزاعها من القرآن
الكريم.

والاستشهاد بها بكل ما يمت إلى الحياة بصلة ممكن.. وهي مع ذلك
تنسجم مع ذهنية الإنسان حتى لو كانت بسيطة.

من هنا، فإننا نحتاج إلى لغة يشترك في فهمها الجميع ويستوي عندها
الكل، وليس فقط كما يقول البعض مما استهوته القوالب اللفظية،
والصياغات السنسكريتية ينبغي أن يكون مستواها عالياً حتى يحلّق إليها
الإنسان لا أن ينزل ويحاكي الجميع بلغته.

والحال أن هذه النظرية هي عكس ما جاء به الإسلام، فقد قال رسول
الله محمد ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر
عقولهم»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما كلّم رسول الله ﷺ العباد بكنه عقله
قط»^(٢).

^(١) التحفة السنية (مخطوط): السيد عبد الله الجزائري، ص ١٢، وفقه الصادق: السيد محمد صادق
الروحاني، ج ١٣/ص ١٤، والمحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ج ١/ص ١٩٥، والكافي: الشيخ
الكليني، ج ٨/ص ٢٦٨، والأمال: الشيخ الصدوق: ص ٥٠٤، وتحف العقول: ابن شعبة الحراني،
ص ٣٧، ومستدرك الوسائل: الميرزا النوري، ج ١١/ص ٢٠٨.

^(٢) الكافي: الشيخ الكليني: ج ١/ص ٢٣، والأمال: الشيخ الصدوق، ص ٥٠٤، وبحار الأنوار: العلامة
المجلسي، ج ١/ص ٨٥، وسنن النبي: السيد الطباطبائي، ص ١٢٦، وميزان الحكمة: محمد الريشهري،

وأما القرآن وهو الدليل الأول، فيقول: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١).

وكما هو واضح فإن التعليم لا يتم إلا إذا خاطب الأستاذ عقول التلاميذ بما فيهم البسيط.

وهكذا كان الرسول الأعظم ﷺ الذي هو المعلم الأول يخاطب المسلمين ويعلمهم بلغة بسيطة، ولكنها تكتنز كل معاني الفضيلة والأخلاق والسمو، وكلما كانت اللغة بسيطة وسهلة استوعبتها العقول وقبلتها بسهولة، أما إذا كانت اللغة صعبة فلا يمكن استيعاب الصعب.

وقد يعترض البعض على الآيات المتشابهة في القرآن، والتي تحتل أكثر من وجه، ونقول إن المتشابه ليس عصياً على الفهم، وقد جاءت الآيات المتشابهة في القرآن لتقريب المعنى إلى الذهن.

مثال ذلك ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٢).

وهو تمثيل لطيف وجميل للقوة وفي نفس الوقت تصوير حيٍّ للقدره الإلهية، فليس للباري عز وجل يد، لأنه ليس بجسم، ولا يشبه مخلوقاته،

ج ٤/ص ٣٠٢٠، والتفسير الآصفي: الفيض الكاشاني، ج ١/ص ٣، ومجمع البحرين: الشيخ الطريحي،

ج ٤/ص ٧٨.

^(١) الجمعة: ٢.

^(٢) الفتح: ١٠.

وكيف يشبهها وهو خالقها؟ ولا يمكن أن يتشابه الخالق والمخلوق.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١).

وقال أيضاً: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٢).

وكذلك هو ثابت، فليس هناك كرسي يسع السماوات والأرض، ولو كان لبان ولشاهدناه، لأن الآية تقول «والأرض» ولكن الآية شَبَّهت القدرة والتمكين بالكرسي.

وهكذا وحتى تكون الفكرة واضحة وقريبة إلى الذهن يأتي بالمجاز، وبذلك يتمكن الإنسان من استيعاب القدرة الربانية.

ونحن عندما تعرضنا لهذه القضية الملحة لم نخرج عن الموضوع، فالرعاية التي نحن بصددتها تشمل هذه الملاحظات وتشير إليها، فائمة أهل البيت عليهم السلام لاحظوا بدقة هذا الجانب فاهتموا به وأعطوه حيزاً مهماً لا بأس به. وكذلك الإمام الرضا عليه السلام.

وتأسيساً لذلك كان الإمام الرضا عليه السلام يلاحظ باستمرار ولده الإمام الجواد عليه السلام، ويفيض عليه العبارات الطيبة والمعاني العالية حتى تشربت بها نفسه تماماً.

جاء في (كشف الغمة) للأربلي: عن أمية بن علي قال: كنت مع أبي الحسن (الرضا) بمكة في السنة التي حج فيها - ثم صار إلى خراسان - ومعه

^(١) الشورى: ١١.

^(٢) البقرة: ٢٥٥.

أبو جعفر (الجواد)، وأبو الحسن (الرضا) يودع البيت، فلما قضى طوافه عدل إلى المقام فصلى عنده، فصار أبو جعفر على عنق موفق اسم خادم الإمام يطوف به.

فصار أبو جعفر إلى الحجر، فجلس فيه فأطال، فقال له موفق: قم جعلت فداك.

فقال: ما أريد أن أبرح من مكاني هذا إلا أن يشاء الله. واستبان في وجهه الغم، فأتى موفق أبا الحسن (الرضا)، فقال له: جعلت فداك قد جلس أبو جعفر في الحجر، وهو يأبى أن يقوم. فقام أبو الحسن، فأتى أبا جعفر، فقال: قم يا حبيبي. فقال: ما أريد أن أبرح من مكاني هذا. قال: بلى يا حبيبي.

ثم قال: كيف أقوم وقد ودّعت البيت وداعاً لا ترجع إليه؟ فقال له: قم يا حبيبي. فقام معه.

عبارات عالية تجلّت بها كلمات الإمام الرضا عليه السلام.

فهو يخاطب ولده بلطف «قم يا حبيبي، بلى يا حبيبي»، وهذه لها أثر كبير في قلب الصبي، وهي التي تبقى وتحدد مسيرة الإنسان لاحقاً.

وكما هو معلوم في علم التربية، فإن الكلمات الأولى هي التي تبقى في قلب الطفل، وهي التي تغور بعمق في مشاعره، وتدخل في اللا شعور، وتعبّر عن نفسها تبعاً كلما تقدّم الإنسان في العمر.

كما وتؤكد الكلمات الطيبة في قلب الطفل وتأخذ مساحة إذا عاش
الطفل الأجواء الطيبة، واستظل بحنان وعطف الأبوين.

فالأبوان لهما الأثر البناء في التربية، وهما اللذان يحددان مستقبل
الأولاد، ونحن في إطار الأسوة والقُدوة.

القائد الأسوة:

لا يسعنا في بحثنا عن القيادة الربانية سوى التكلّم عن أهمية القيادة
ودورها الفاعل في صياغة المجتمع، وبقي علينا أن نسلط الضوء على
مختلف جوانب البحث ولا سيما ما يتعلّق بمصير الأمة، بدءاً بالأسس
الشرعية ودورها الريادي، فهناك تفاصيل دقيقة وعميقة في الإنسان لا
يمكن سبر غورها، إلا بعد تشخيص القيادة، لذا فاختيار القائد في الشرع
الإسلامي موكول إلى الله تعالى، فهو الذي يعيّن ويقرّر القائد للأمة ﴿اللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(١).

وإذا كان خالق الإنسان قد قيّض القُدوة والأسوة وأوضح معالمها،
فينبغي للإنسان التأسّي واقتفاء أثر النموذج وهم الأنبياء، أمّا لماذا؟ فلكي
تنمو فيه بذرة القيم وتورق شجرة الأخلاق.

وكما هو ثابت فإن الأخلاق لا تورق إلا إذا توفرت القابليات وتهيّأت
الأرضية لنموها، ولا توجد الأرضية من فراغ أو بدون مقدمات، وإنما لكل

(١) الأنعام: ١٢٤.

شيء سبب. قال تعالى: ﴿فَاتَّبِعْ سَبِيلَ﴾^(١).

ومن أهم الأسباب التي تخلق الأرضية الوراثة والنموذج.

فإذا كان الأب طيباً ومستقيماً إلى جانب الأم، فإنهما يورثان الطيب والاستقامة لأولادهما ومن ثم يأتي العامل الآخر وهو النموذج، لذلك فإن مهمة الأنبياء تتمثل في إقامة البناء، بعد أن قدموا نموذجاً طيباً.

وبعبارة أدق إيجاد بنى تحتية في كيان الإنسان.

إن الشيء المهم في البناء يكمن في الأخلاق ويُعد العامل الأول في نموها.

يقول الشاعر:

هي الأخلاق تبت كالنبات إذا سُقِيَتْ بماء المكرمات

فإذا لم يتم سقي الأخلاق بماء المكرمات فإنها تموت وتذبل.

وهكذا فالكلمات والعبارات لا تمنح الأخلاق فضلاً عن نموها، والكلام لا يجدي بدون العمل حتى لو استغرق آلاف السنين، ونطقت به ملايين الألسن ما لم يكن نموذجاً يحتذى به، وأسوة يقتدى بها.

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

^(١) الكهف: ٨٥

^(٢) فصلت: ٢٣.

لقد قدّم الباري عزّ وجلّ العمل الصالح على القول، فثبت عنواناً مضيئاً للمسلم وللواقع الإسلامي (العمل أولاً والقول أخيراً).

لذا فإنّ الله عز وجل أتى بعبارة ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١). وهذه صفة المؤمن، فالمؤمن قليل الكلام ولكنه كثير العمل.

إنّ الأمة الإسلامية بحاجة إلى من يطبق ويجسّد المثل الإسلامية، وليست بحاجة إلى من يتكلم ويتحدلق بالكلام.

لقد ملّ الناس الكلام وضاقوا ذرعاً بالمتكلمين الذين يفتقرون إلى الواقع الذي يصدّق أقوالهم، وهكذا ومن جرّاء افتقار المتكلمين إلى الواقع أصاب الكثير الخيبة واليأس من عدم تطبيق القيم وتجسيدها عملياً، وبات الكثير لا يصدّق بحيوية القيم وواقعيتها.

إنّ المشكلة التي تعاني منها الأمة الإسلامية ليست في المتكلمين والمتحدلقين، وهؤلاء - والحمد لله - كثير عددهم وذاع صيتهم وأصبحت الألسن البيغائية تلهج بهم كلّ حين، ولكنها تكمن في التطبيق والتجسيد وتمثيل القيم العليا التي جاء بها الإسلام، وهذه في نظري من أهم المشاكل التي يعاني منها المسلمون وهي السبب في بروز معظم المشاكل، التي منها الازدواجية والنفعية وبروز (طبقة المتلبسين بالدين) الذين أصبح همّهم جمع المال باسم الدين.

(١) فصلت: ٣٣.

وفي نظري فإن الساكت غير العامل أفضل بكثير من المتكلم غير العامل.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١).

فالأمة التي تقتصد في كلامها وتقدم حلولاً عملية لمشاريعها، وترسم منهجاً واقعياً لكيانها هي التي تقطف الثمار الطيبة وتبني مستقبلاً مضيئاً لأجيالها.

والأمم التي تعمل وفق القواعد المنطقية، والأسس المتينة إنما تثبت خطوة أساسية على طريق بناء الذات، وتثبيت الأعمدة الأساسية، التي أضحت سهلة بسبب وفرة العلوم والأفكار.

ويا حبذا لو تستغل العقول النيرة والنفوس المؤمنة هذه العلوم والأفكار لتوظيفها في مجال خدمة الإنسانية، وخدمة العقول التي تهفو إلى المبادئ السليمة، والتي طالما حرمت منها فاستغلتها عقول مشبعة بالأفكار الشيطانية، فراحت تهوي بها نحو الانحراف والزيغ.

وهكذا استغلت هذه العقول الشيطانية الفضائيات ووسائل الإعلام فأشبعنها ببرامج متهتكة ومخلّة بالشرف، فسلبت من الناس (فرص التقدم العلمي) وجردتهم من لباس الأخلاق والشهامة، فأضحى من لا يفقه معاني

^(١) الصف: ٢-٣.

الفضيلة والأخلاق ينسج على منوالهم ويحاكي سلوكهم الشاذ، الأمر الذي خلق جيلاً مستهتراً بالأخلاق، وبعيداً عن القيم الإلهية.

فينبغي للمسلمين وضع الفرص المواتية في حسابهم، ثم التهيؤ اللازم لاقتناصها لئلا تمر فيستغلها الآخرون كما هو حاصل الآن.

وحتى لا نكون بعيدين عن الواقع نقول على المرجعية الرشيدة استغلال الفرص الإعلامية، ومنها الفضائيات فهذه تعدّ الآن من الوسائل الإعلامية المهمة التي تلعب دوراً كبيراً في صناعة القرار، وصياغة الأفكار، حسبما تمليه العقول الشيطانية.

ومع أهمية هذه الوسائل نرى المؤسسات الإسلامية لا تهتم بها، والسؤال لماذا التغاضي عن هذه الوسيلة الإستراتيجية التي أضحت الدول والمؤسسات توليها اهتماماً بالغاً، وترصد لها ميزانية ضخمة، فما المانع أن نرصد ميزانية تتناسب مع مستوى المسؤولية.

إننا - والحمد لله - لا يعوزنا شيء سواء في مجال الفكر والأدب الذي به إثراء العقول والنفوس أم في مجال العلم والثقافة، فهناك طاقات خلاقة في مجال الصحافة والكتابة والشعر والنثر والتربية والعلوم العصرية ما لا يتوفر لغيرنا، وهذه حقيقة لا مبالغة فيها، وما علينا إلا أن نخطو الخطوة الأولى، ولكن وفق خطة مدروسة ومحبوكة.

فالعامل وإن كان يسيراً إلا إنه يفتح آفاقاً عديدة، ويمهّد السبيل لاستغلال الفرص، فالكثير من العمالقة بدؤوا من الصفر، ولكنهم وضعوا في

حسابهم النتائج والأهداف العالية فحصلوا على زخم متواصل وروح وثابة نهضت بهم إلى مستوى عالٍ، ولا أدلّ على ذلك من صانع الكمبيوتر، فهو بدأ - قياساً إلى الإمكانيات - من الصفر، ولكن عندما وضع في حسابه الأهداف قام بخطوات عملاقة فأطل على عالم واسع ورحب فأخذ يتقدم ويقطع الخطوات بنجاح باهر.

وهكذا فالعاملون اقتنصوا الفرص الذهبية التي كانت متاحة للجميع، قال تعالى: ﴿كَلَّا نُمَدِّدْ هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ مِنْ عَطَائِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(١).

ونحن نقول بمرارة: إن المسلمين كانوا أولى بهذه الفرص وأجدر بالعمل بها وهم أحقّ بها من غيرهم بسبب الحثّ المتواصل من قبل الدين، ووفرة الآيات التي تدعو إلى العلم والتعلم.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا﴾^(٤).

(١) الإسراء: ٢٠.

(٢) المجادلة: ١١.

(٣) البقرة: ٢٤٧.

(٤) التوبة: ١٢٢.

وقال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»^(١).

وقال الإمام علي عليه السلام: «زينة النساء الذهب وزينة الرجال الأدب».

أدب الكلام والسلوك والأخلاق والمعاملة، فهناك إذاً حثٌ وتشجيع وتثمين للعلم والعلماء مما يتيح فرصاً للإنسان لكي يتقدم ويكتسب المقام المحمود، فالفرص متوفرة ومتاحة لمن يستغلها، أما إذا فرطنا في استغلالها الواقعي لها فسوف تستغلها عقول صانعي القنابل النووية والجرثومية والهيدروجينية وصانع البرامج الإباحية والأفلام الخلاعية التي أصبحت مغولاً هداماً يدك البيوت والعوائل، ويستغلها أيضاً صانع المشروبات الكحولية وصانع الأزياء والكماليات الذي يهتمش الأساسيات ويقلص فرص التقدم الحقيقي عند المسلمين.

فنرى الآن الكثير من المحلات في سوق المسلمين أخذت تتفنن في جلب الزبائن لشراء الفستان والبنطلون والقميص والحداء وما شابه من الكماليات، وتصرف الملايين للدعاية. وفي المقابل هنا تهमيش للعلم والثقافة والفكر، فأصبح العلم والفكر لا يذكران، وبدلاً عنهما موضة الفستان، وهكذا أصبحت تدور على الأسر والعوائل آخر موضة الألبسة

^(١) حاشية المكاسب: الشيخ الأصفهاني، ج ٣/ص ٤١٠، والمبسوط: السرخسي، ج ١/ص ٢، وفقه السنة: السيد سابق، ج ٣/ص ٤٥، والعناوين الفقهية: الحسيني المراغي، ج ٢/ص ٧١٩، ومستدرك الوسائل: الميرزا النوري، ج ١٧/ص ٢٤٩، ومشكاة الأنوار: علي الطبرسي، ص ٢٣٦، وعدة الداعي: ابن فهد الحلبي، ص ٦٣، ودراسات في الحديث والمحدثين: هاشم معروف الحسني، ص ١٩، وتفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسي، ج ١/ص ٣٢.

وآخر موديلات الأثاث وما شابه، في حين قلما يسأل أحد عما هو جديد في عالم التأليف والأدب والصناعة.

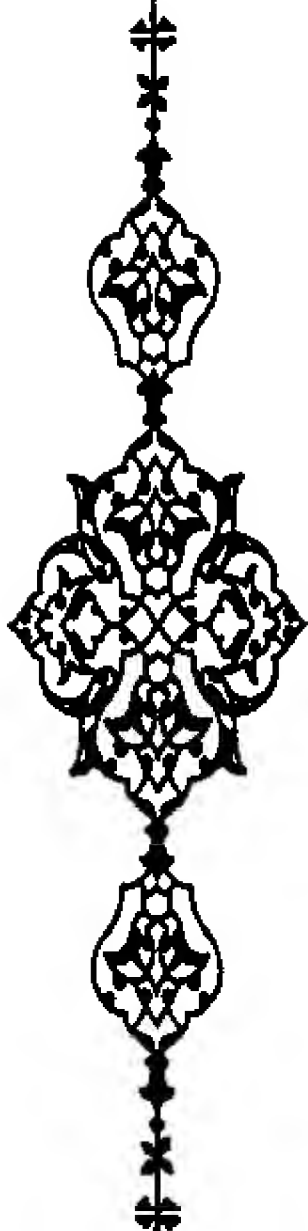
على كل حال فالخيارات الآن مفتوحة والأبواب مشرعة، وبإمكان الجميع اقتناص الفرص.

ولرب سائل يسأل: ما هي علاقة حديث استغلال الفرص بالقيادة؟

الجواب: إن القيادة الرشيدة تقدر وتضمن كل ما يقدم الإنسان ويطوره وتضع في حسابها الوقت الذي هو جزء مهم في حياته. لذا فهي تقدر أكثر من غيرها عامل الوقت وحيويته بالنسبة إلى المجتمع.

الفصل الرابع

الإمامة في سن التاسعة



الإمامة في سن التاسعة

يتساءل البعض: لماذا استلم الإمام الجواد عليه السلام الإمامة في سن التاسعة؟
في البداية نقول: إن ما جرى على الأمم السالفة يجري على المسلمين
سواءً حَذَوْ القُذَّةَ بالقُذَّةِ، وكل شيء في هذا الكون لا يجري إلا بحساب.

قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾^(١).

وكما تجري السنن في الأولين، فهي تجري في الآخرين.

قال رسول الله ﷺ: «لَتَحْدُوَنَّ سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل والقُذَّةُ
بالقُذَّةِ، ولو أنهم دخلوا جحر ضب لدخلتموه»^(٢).

وهكذا السنن الاجتماعية تجري تباعاً في الأمم، فلا يختلف منها شيء
ولا يتباين إلا في الشكل والمظهر.

^(١) الرحمن: ٥.

^(٢) الاقتصاد: الشيخ الطوسي، ص ٢١٣، والرسائل العشر: الشيخ الطوسي، ص ١٢٧، والإيضاح: الفضل
بن شاذان الأزدي، ص ٢١٠، والصوارم المهرقة: الشهيد نور الله التستري، ص ١٩٥، وبحار الأنوار:
العلامة المجلسي، ج ٢١/ص ٢٥٧، ومعالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ج ١/ص ١٤،
والمستدرک: المحاكم النيسابوري، ج ١/ص ١٢٩، ومجمع الزوائد: الهيثمي، ج ٧/ص ٢٦٠، وشرح نهج
البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ٩/ص ٢٨٦.

وشاء الله أن تجري سنة من سنته تعالى في يحيى بن زكريا عليه السلام، حيث قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١).

وكذلك لعيسى عليه السلام حيث آتاه الله النبوة وهو صبي في المهد ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(٢)، إنها السنن تجري كيفما شاء ربك.

فعليه فالذي منح الحكم ليحيى عليه السلام في الصغر، وأعطى النبوة لعيسى ابن مريم عليه السلام وهو في الأيام الأولى من ولادته فليس بدعاً أن تجري للإمام الجواد عليه السلام وهو بعد لم يتجاوز الثامنة أو التاسعة من عمره، وأن يعطي علماً وإلهاماً لمخلوقات صغيرة، فقد شاء الله أن يمنح النحلة قوة هائلة في علم الهندسة وصناعة العسل عندما أوحى لها فعل الخيرات ﴿فَأَسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾^(٣).

وهنا التفاتة رائعة من الباري عز وجل حيث يقول «سُبُلَ رَبِّكِ»، وسبيل الرب هو الصراط المستقيم، فكيف لا يعطي عبده قوة الهداية وفصل الخطاب؟ وشاء ربك أيضاً أن يعطي النملة قوة المنطق والقدرة على النصيحة

^(١) مريم: ١٢.

^(٢) مريم: ٣٠-٣١.

^(٣) النحل: ٦٩.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١)، فالنصيحة تكمن في «ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم»،
فلا عجب أن يعطي الرب لعبده المؤمن وهو لم يتجاوز الثامنة من عمره قوة
المنطق وفصل الخطاب والمعرفة نظراً للخصائص التي أهّلته لفعل الخيرات.

العبرة من الإمامة في سن مبكر:

إنّ المقياس في الإمامة - كما في سائر الأمور الأخرى - هو المؤهلات
التي تتوفر لصاحبها في تولي مهمة معينة، وليس المقياس العمر والشكل
والمظهر.

فالنملة - مع صغر سنّها - تنطق بالصواب، والنحلة تعمل بالقدرة الفائقة،
فلا عجب أن يكون للإمام الجواد عليه السلام القدرة في النهوض بمسؤولية
الإمامة وقيادة ركب الأمة.

والمهم هو الكفاءة والقدرة على الإدارة، وتسيير أمور المجتمع وفق
شرع الله، بغض النظر عن السن والهيكل الذي أضحي - وللأسف - مقياساً
عند الكثير، ومنهم أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم من
الذين قاسوا الخلافة على أساس (السن والهيكل) لا على أساس العلم
والمعرفة.

^(١) النمل: ١٨.

وكان السن والهيكل هما المقياس الأمثل في القدرة والتمكين، وهكذا وقع الكثير في هذا الالتباس، فأخذ ينظر إلى الهياكل والجمال الطنانة، وإلى النسب الطائفي متجاهلاً المقاييس والمؤهلات التي وضعها الإسلام، ومنها الكفاءة العلمية والعقلية والإيمانية.

فالكفاءة العلمية والعقلية والإيمانية تشكل الأساس والمقياس، وبالذات في مجال الخلافة، فالعلم والإيمان يعدان المقياس الأول والأخير، وليس الهيكل والصيت، فهذه جاهلية حمقاء حاربها الإسلام وتصدى لها بكل قوة.

ويحز في النفس أن يوجد في مجتمعاتنا من يؤكد على هذه المقاييس وينطلق منها في تقييم الأشخاص، فلا يصفي إلا لمن يملك الهيكل الصمداني وممن صوته رناناً وعباراته طنانة، فهو لا يسمع لحديثه بقدر ما يسمّر عينيه إلى قسّمات وجهه، وإلى صدى كلماته على خلاف ما هو متعارف عند العقلاء والحكماء.

لقد نطق النبي عيسى عليه السلام بالحكمة، فقال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ^(١)﴾. وهو صغير لم يبلغ الساعتين من عمره كما في الروايات لكن الله منحه مقاماً عالياً ﴿وَأَتَيْنِي الْكِتَابَ ^(٢)﴾ العلم ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ^(٣)﴾.

^(١) مريم: ٣٠.

^(٢) مريم: ٣٠.

^(٣) مريم: ٣٠.

ليبين أن المقياس هو التقوى والعلم والإخلاص.

إن مقاييس الإسلام واضحة، وينبغي أن تكون كذلك حتى تقوم الحجة.

قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾^(١).

ولن تبلغ الحجة إلا إذا استوفت شروطها، ومن شروطها وضوح معانيها، وجلالة مضامينها، وقوة أداء من أوتمن عليها، وهم الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين).

ثانياً: والمعنى الآخر الذي يكمن في العمر أن لكل شيء حدوداً وطاقه، فللعقل حدٌ وطاقه، فلا ينبغي أن يحمل العقل ما لا يطيق، وليس المطلوب من العقل أن يسع كل شيء في الكون.

ولذلك تبقى الكثير من الأسرار منوطه بخالقها ومدبرها، فالنفس الإنسانية تبقى سرّاً من الأسرار، وكترأ لا يعلم حدوده إلا الله عز وجل. وهو الذي يعلم مؤهلات الإنسان وقابلياته، وبالذات فيما يخص الإمامة والنبوة. لذلك فإن الله عز وجل جعل اختيار الأنبياء والأئمة ﷺ خاصاً به، وليس لأحد حق الاختيار في انتخاب القيادة الربانية.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٢).

^(١) الأنعام: ١٤٩.

^(٢) القصص: ٦٨.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١).

من هنا فإن الله عز وجل هو الذي يختار لأنه على علم على العالمين، وما كان لبني البشر الخيرة من أمورهم بسبب ضعف الإمكانيات العقلية والذهنية.. قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣).

وهكذا يحدد الباري عز وجل مستوى الإنسان وقابلياته، وليس معنى هذا - كما يفهم البعض - تحجيم الإنسان، وإنما الآيتان تشيران إلى مستوى الإنسان وقابلياته المحدودة كي لا يغريه الكبر فيتجاوز حدوده، ثم يدّعي بعدها ويقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾^(٤)، كما فعل فرعون وغيره، وليس من يدّعي «أنا ربكم الأعلى» يتجاوز حدوده فحسب.

وإنما الذي يقدم بين يدي الله ورسوله الأعظم ﷺ والذي يقول: «ثلاث كنّ على عهد رسول الله فأنا أحرّمها وأعاقب عليها: متعة النساء، ومتعة الحج، وحي على خير العمل»^(٥).

^(١) الدخان: ٣٢.

^(٢) النساء: ٢٨.

^(٣) الإسراء: ٨٥.

^(٤) النازعات: ٢٤.

^(٥) تحرير الأحكام: العلامة الحلي، ج ٣/ص ٥٠٠، وشرح اللمعة: الشهيد الثاني، ج ٥/ص ٢٦٨، وجواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ج ٣٠/ص ١٤٠، والمسائل الفقهية: السيد شرف الدين، ص ٦٨، والموسوعة

إن هذا التشريع اللامسؤول يجسّد مقولة «أنا ربكم الأعلى» كما هو واضح عند العقلاء، فعليه فإن مهمة اختيار الأوصياء منوطة بالباري عز وجلّ وليس بالبشر، وقد عيّن الباري جلّ وعلا اثني عشر إماماً لهذا الدين الحنيف، أولهم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وآخرهم الإمام المهدي (عليه السلام).

وأما الذي يفترى ويقول: إن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) مات وترك الأمة بدون وصي وخليفة، فهذا سخف وهراء.

لأن الدين الحنيف والذي إليه مصير العباد لا يمكن أن يبقى بدون أمين ووصي يقوم بأعباء الرسالة لاسيما وهناك أخطار محدقة.

ومن ثم كيف يترك النبي الأمة بدون وصي، والباري بوصي رسول الله محمداً (صلى الله عليه وآله) والمسلمين بالوصية بالمال والثروة ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾^(١).

فهل المال أعزّ من الدين؟ وأهم من شرع الله؟!

وشرع الله هو الفيصل بين الجنة والنار، وهو الذي يحدّد مصير المليارات من البشر.

الفقهية الميبرة: الشيخ محمد علي الأنصاري، ج ١/ص ٣٧٧، والصراط المستقيم: علي بن يونس العاملي، ج ٣/ص ٢٧٧، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٣١/ص ٤٣، والنص والاجتهاد: السيد شرف الدين، ص ١٩٩، والتقدير: الشيخ الأميني، ج ٦/ص ٢٣٨، والتفسير الصافي: الفيض الكاشاني، ج ١/ص ٤٣٩، وتفسير الميزان: السيد الطباطبائي، ج ٤/ص ٢٩٨، والاستغاثة: أبو القاسم الكوفي، ج ١/ص ٢٦، ونشأة التشيع والشيعة: السيد محمد باقر الصدر: ص ٧٧، وعمر بن الخطاب: عبد الرحمن أحمد البكري، ص ١٠٨.

^(١) البقرة: ١٨٠.

فإذا كان شرع الله يحدد مصير المليارات، وهو المقياس والميزان لأعمال الناس، فكيف له أن يترك الإنسان تتلاعب به الأهواء، وإذا عرفنا أن شرع الله هو الأمانة التي رفضت السماوات والأرض قبولها نقف على أهمية الشرع وثقله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^(١).

وهنا نلاحظ ثقل الأمانة، حيث عرضها الباري على السماوات بعظمتها، وليس سماء واحدة، فإذا كان ثقل الرسالة بهذا الحجم فكيف بالرسول الأعظم ﷺ يفض الطرف ويهمل - والعياذ بالله - الوصي والوصية من بعده؟!

إننا لا نرى في التاريخ - وبالتحديد في تاريخ الأنبياء - أي نبي مات ولم يوص من بعده، بدءاً بالنبي آدم الذي عين شيث عليه السلام، وانتهاءً بنبينا الأكرم محمد ﷺ، مع ملاحظة أن هذه الطريقة جرت أيضاً - على علاتها - بين الخلفاء والرؤساء والسلاطين، فأبو بكر حين أدركته الوفاة وصى لعمر، وقال لعثمان: اكتب فإن الخليفة من بعدي عمر.

وعمر بن الخطاب كذلك وصى، ولكن يبدو أن النبي محمداً ﷺ هو الوحيد الذي لم يوص. يا للمصيبة!! ويا لتعاسة المسلمين.

ولكن بما أن النبي ﷺ وصى للإمام علي عليه السلام فإن الذين لا تشتهي

^(١) الأحزاب: ٧٢.

أهواؤهم الوصية والموصى به، غيَّبوها وأنكروها ليركوا الأمة تموج بالفتن، وتضطرب، ومن ثم يتقمصها أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم.

والحق أنهم شهدوا جميعاً وصية الرسول الأكرم محمد ﷺ في يوم الغدير وغيره، وسوف نأتي إن شاء الله على ذكر الأدلة في كتاب (قبس من نور الإمام علي عليه السلام)، ومن الأدلة المهمة قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

وقد أجمع المفسرون - السنة والشيعة -، ومنهم الرازي، والسيوطي، أنها نزلت في حق علي بن أبي طالب عليه السلام فقط وحتى يبين الرسول ﷺ معنى الآية.

وعلى أثر ذلك أكد الرسول ﷺ في حديثه العظيم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتهم بهما فلن تضلوا بعدي أبداً»^(٢).

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) الخلاف: الشيخ الطوسي، ج ١/ص ٢٧، والمعتبر: المحقق الحلي، ج ١/ص ٢٣، والجامع للشرائع: يحيى بن سعيد الحلي، ص ٣، والذكرى: الشهيد الأول، ص ٦، والحدائق الناضرة: المحقق البحراني، ج ١/ص ٢٩، وكشف الغطاء: الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ج ١/ص ٨، ومستند زيد بن علي: زيد بن علي، ص ٤٦٤، والمبسوط: السرخسي، ج ١٦/ص ٦٩، ونيل الأوطار: الشوكاني، ج ٢/ص ٣٢٨، ونضد القواعد الفقهية: المقداد السيوري، ص ١٢، وبصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار، ص ٤٣٣، ودعائم الإسلام: القاضي النعمان المغربي، ج ١/ص ٢٨، وعيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق، ج ١/ص ٣٤، والخصال: الشيخ الصدوق، ص ٦٦، والأمالى: الشيخ الصدوق، ص ٥٠٠، وكمال الدين

وتمام النعمة: الشيخ الصدوق، ص ٦٤، ومعاني الأخبار: الشيخ الصدوق، ص ٩٠، وروضة الواعظين: القتال النيسابوري، ص ٢٧٣، ووسائل الشيعة (آل البيت): الحر العاملي، ج ١/ص ٧٦، ومستدرک الوسائل: الميرزا النوري، ج ٣/ص ٣٥٥، ومناقب أمير المؤمنين: محمد بن سليمان الكوفي، ج ١/ص ١٤٨، والمسترشد: محمد بن جرير الطبري (الشيعة)، ص ٥٥٩، ودلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبري (الشيعة)، ص ٢٠، والهداية الكبرى: الحسين ابن حمدان الخصيبي، ص ١٨، وشرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي، ج ١/ص ٩٩، والارشاد: الشيخ المفيد، ج ١/ص ٢٣٣، والأمال: الشيخ الطوسي، ص ١٦٢، والاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج ١/ص ١٩١، ومناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ١/ص ٣، والعمدة: ابن البطريق: ص ١١٨، وفضائل الصحابة: الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٢، ومسنّد أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣/ص ١٤، وسنن الدارمي: عبد الله بن بهرام الدارمي، ج ٢/ص ٤٣٢، والمستدرک: الحاكم النيسابوري، ج ٣/ص ١٤٨، والسنن الكبرى: البيهقي، ج ٧/ص ٣٠، وج ١٠/ص ١١٤، ومجمع الزوائد: الهيثمي، ج ٩/ص ١٦٣، ومسنّد ابن الجعد: علي بن الجعد بن عبيد، ص ٣٩٧، والمصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧/ص ١٧٦، ومتخب مسنّد عبد بن حميد: عبد بن حميد بن نصر الكسي، ص ١١٤، وكتاب السنة: عمرو بن أبي عاصم، ص ٦٢٩، والسنن الكبرى: النسائي، ج ٥/ص ٥١، وخصائص أمير المؤمنين: النسائي، ص ٩٣، ومسنّد أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج ٢/ص ٢٩٧، وصحيح ابن خزيمة: ابن خزيمة، ج ٤/ص ٦٣، والمعجم الصغير: الطبراني، ج ١/ص ١٣١، والمعجم الأوسط: الطبراني، ج ٣/ص ٣٧٤، وج ٤/ص ٣٣، والمعجم الكبير: الطبراني، ج ٤/ص ٦٦، وج ٥/ص ١٥٤، والفوائد المنتقاة: محمد بن علي الصوري، ص ٧٤، ودستور معالم الحكم: ابن سلامة، ص ١٤٦، وكنز العمال: المتقي الهندي، ج ١/ص ١٨٦، وج ٥/ص ٢٩٠، وج ١٣/ص ٦٤١، وأضواء على السنة المحمدية: الشيخ محمود أبو رية، ص ٤٠٤، وتفسير أبي حمزة الثمالي: أبو حمزة الثمالي، ص ٥، وتفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي، ج ١/ص ٥، وشواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني، ج ٢/ص ٤٢، وتفسير ابن كثير: ابن كثير، ج ٤/ص ١٢٢، والأحكام: الأمدي، ج ١/ص ٢٤٦، والطبقات الكبرى: محمد بن سعد، ج ٢/ص ١٩٤، وضعفاء العقيلي: العقيلي، ج ٢/ص ٢٥٠، وج ٤/ص ٣٦٢، والكامل: ابن عدي، ج ٦/ص ٦٧، وتاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ١٩/ص ٢٥٨، وج ٤١/ص ١٩، وج ٥٤/ص ٩٢، وسير أعلام النبلاء: الذهبي، ج ٩/ص ٣٦٥، ومعجم المطبوعات العربية: البيان سر كيس، ج ٢/ص ١٨٤٠، وسبل الهدى والرشاد: الصالح الشامي، ج ١١/ص ٦، وج ١٢/ص ٢٣٢، وتأويل الآيات: شرف الدين الحسيني، ص ٢/ص ٦٣٨، وينابيع المودة

فبين المنزلة العظيمة التي يتصف بها الإمام علي عليه السلام والمؤهلات التي رفعته إلى هذا المقام العظيم، حيث عدله بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد كشف الرسول ﷺ بهذا الحديث القدرة الفائقة لدى الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام والمؤهلات العظيمة التي ميّزته عن غيره ورشّحته لذلك المقام العظيم.

فالذي يحمل الرسالة ينبغي أن يكون عدل القرآن وفي مصافه، وهل ثمة أحد بمستوى الإمام بنص حديث الثقلين، وبنص قول رسول الله ﷺ كما في البخاري، وصحيح مسلم:

«يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(١).

لذوي القربى، القندوزي، ج ١/ص ٧٤، وج ٢/ص ٢٦٩، والنهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، ج ١/ص ٢١١، ولسان العرب: ابن منظور، ج ٤/ص ٥٣٨، وج ١١/ص ٨٨، والقاموس المحيط: الفيروز آبادي، ج ٣/ص ٣٤٢، وتاج العروس: الزبيدي، ج ٧/ص ٢٤٥.

^(١) فضائل الصحابة: الإمام أحمد بن حنبل، ص ١٣، ومجمع الزوائد: الهيثمي، ج ٩/ص ١١١، وتحفة الأحوزي: المباركفوري، ج ١٠/ص ١٦١، والمعيّار والموازنة: أبو جعفر الأسكافي، ص ٢١٩، والمصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧/ص ٤٩٦، وتاريخ مختلف الحديث: ابن قتيبة، ص ١٣، وكتاب السنة: عمرو بن أبي عاصم، ص ٥٥١، ومجلستان من إملاء النسائي: النسائي، ص ٨٣ والسنة الكبرى: النسائي، ج ٥/ص ٤٤، وخصائص أمير المؤمنين: النسائي، ص ٧٨، ومسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج ٢/ص ٨٧ وجزء الحميري: علي بن محمد الحميري، ص ٢٨، وصحيح ابن حبان: ابن حبان، ج ١٥/ص ٣٦٩، والمعجم الصغير: الطبراني، ج ٢/ص ٢٢، والمعجم الأوسط: الطبراني، ج ٣/ص ١٣٩، والمعجم الكبير: الطبراني، ج ١/ص ١٤٨، ودرر السمط في خبر السبط: ابن الأبار، ص ٧٩، وكثر العمال: المتقي الهندي، ج ٥/ص ٧٢٤، وج ١١/ص ٥٩٩، وتذكرة الموضوعات: الفتني،

وقد أوضح الرسول الأعظم ﷺ بهذا الحديث المبارك عن خطأ الأنبياء في الوصي والوصاية.

فقد شبه النبي ﷺ الإمام علي عليه السلام بهارون، والقرآن الكريم أوضح تماماً دور هارون عليه السلام، ومكانته عند النبي موسى عليه السلام.

اقرأ معي أيها القارئ العزيز هذه الآيات المباركة ثم احكم!

قال تعالى عن لسان النبي موسى عليه السلام ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) هَؤُلَاءِ
أَخِي (٢٠) أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَىٰ نُسِخَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذَرَكُ
كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ (١).

فعند المقارنة بين حديث النبي ﷺ «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» (٢)، وبين هذه الآيات المباركة، لجاءت النتيجة واضحة كالشمس،

ص ٨، وكشف الخفاء: العجلوني، ج ٢/ص ٣٨٤، وخصائص الوحي المبين: الحافظ ابن البطريق، ص ١٨٦، وتفسير القرطبي: القرطبي، ج ١/ص ٢٦٦، والكامل: ابن عدي، ج ٢/ص ٢١٥، وتاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ج ٨/ص ٥٢، وج ١٢/ص ٣٢٠، وتاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ١٣/ص ١٥١، وأسد الغابة: ابن الأثير، ج ٤/ص ٢٧، وتهذيب الكمال: المزني، ج ٣٢/ص ٤٨٢، وسير أعلام النبلاء: الذهبي، ج ٧/ص ٣٦٢، وتهذيب التهذيب: ابن حجر، ج ٧/ص ٢٩٦، والإصابة: ابن حجر، ج ٤/ص ٤٦٧، وأنساب الأشراف: البلاذري، ص ٩٦، والجوهرة في نسب الإمام علي وآله: البري، ص ١٤، والبداية والنهاية: ابن كثير، ج ٧/ص ٣٧٦، وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي: ابن الدمشقي، ج ١/ص ١٩٧، وسبل الهدى والرشاد: الصالحي الشامي، ج ١١/ص ٢٩٢، ونبابيع المودة لذوي القربى: القندوزي، ج ١/ص ١٥٦.

(١) طه: ٢٩-٣٦.

(٢) طه: ٢٩.

فيما يخص الخلافة والوصاية.

- ١- أن النبي موسى ﷺ طلب الوزارة لأخيه.
 - ٢- ثم قال النبي موسى ﷺ: ﴿مَنْ أَهْلِي﴾^(١).
 - ٣- وجاء التأكيد من النبي موسى ﷺ: ﴿هَارُونَ أَخِي﴾^(٢).
 - ٤- ثم طلب من الباري عز وجل القوة ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي﴾^(٣).
 - ٥- والشراكة في أمور الرسالة، وهي غاية في التكريم والثقة.
- (١) - وعندما عرض الأسباب الضرورية، قال النبي موسى ﷺ بعدها:
- ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۖ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾^(٤).
- وباستعراض الأسباب، وذكر الأهداف، استجاب الرب تبارك وتعالى
- دعوة النبي موسى ﷺ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾^(٥).
- ونفس هذا المعنى تضمن حديث الرسول الأعظم ﷺ: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(٦).
- فاذاً الحديث صريح وواضح في استخلاف الإمام علي ﷺ لإمامة

(١) طه: ٣٠.

(٢) طه: ٣٠.

(٣) طه: ٣١.

(٤) طه: ٣٣-٣٤.

(٥) طه: ٣٦.

(٦) سبقت مصادر هذا الحديث.

المسلمين بعد رسول الله ﷺ، ولو أننا فتشنا أقوال الأنبياء والمرسلين لما وجدنا أكثر من هذا الحديث صراحة في الإشارة إلى الخلافة والوصاية، بل لم يأت أحد من الأنبياء بأكثر مما جاء به رسول الله ﷺ في حديث المنزلة.

فماذا عسى أن يقول الرسول ﷺ بعد هذا الحديث في الاستخلاف؟ وأي معنى آخر يأتي به ليوضح الخليفة من بعده؟! لا شيء طبعاً - كما هو واضح عند العقلاء والعلماء - يرتقي إلى مستوى هذا الحديث في الوصاية والخلافة.

وهكذا جاء الرسول الأعظم ﷺ بالحديث المدعم بالآيات التي هي من أوضح الآيات في الخلافة والوصاية. فقد أتى الباري عز وجل بكلمة «الوزير»، ثم في آية أخرى ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ﴾^(١).

وكلها تدل وتصرح تمام الصراحة بأعلى صوتها في وضوح الاستخلاف وتأکید معنى الوصاية بما لا مجال فيه للتأويل والتحريف.

(٢) - وقد يكون السبب (والعلم عند الله) في اختيار الإمام بهذه السنّ حفظاً للإمامة، كي لا يطمع الأعداء بقتله وبالذات سلاطين الجور.

فسلاطين الجور، عرفوا أبعاد الإمامة وخلفياتها، وكان هذا الشيء يهتمهم وفي رأيهم أنه يشكل الخطر الرئيسي المحقق بسلطانهم والقوة

^(١) الأعراف: ١٤٢.

الحقيقية التي تقف أمام محاولاتهم التخريبية.

فكانوا حريصين على محاربة الإمام، حتى يتخلصوا منه وبأساليب شيطانية ولكن ﴿وَيَعْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَعْكُرِينَ﴾^(١).

وعندما استلم الإمام الجواد عليه السلام مهام الإمامة بعد استشهاد أبيه الإمام الرضا عليه السلام تجاهل الكثير من مسؤولي الدولة - ومنهم العائلة المالكة - مكانة الإمام.

بدليل عندما أراد المأمون تزويج ابنته أم الفضل للإمام الجواد عليه السلام اعترضت العائلة المالكة وشنت حملة شعواء على المأمون.

فقالت: يا أمير المؤمنين، أتزوج ابنتك وقرة عينك صبياً لم يتفقه في دين الله، ولم يعرف حلاله من حرامه، ولا فرضه من سننه!! إن هذا الفتى - وإن راقك منه هديه - فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه!! فأمهله ليتأدب، و يقرأ القرآن، ويتفقه في الدين!! ثم اصنع ما تراه بعد ذلك^(٢).

وهذا التصرف يدل على سذاجتهم وربما غفلتهم.

وكان المأمون يحسّ بخطر الإمام على خلافته المزيفة، لكنه ما كان يجرؤ على قتل الإمام، لأنه لو حاول التخلص منه لأثار سخط الناس واستياءهم نظراً لصغر سن الإمام (صلوات الله عليه).

^(١) الأنفال: ٣٠.

^(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر: هاشم معروف الحسني، ج ٢/ص ٤٣٢.

وكان المأمون يدرك أنه لا ذريعة لذلك الأمر، إذ لا مجال للمنافسة من حيث إن ميزان القوى كله كان يميل لصالح المأمون.

من هنا فإن صغر سن الإمام عليه السلام أرجأ مشروع القتل، وأضحت الجريمة لا مُسوِّغ لها.

(٣) - إن العلم الذي يتفجر في سن مبكرة يصبح له صدى كبير، وبالذات إذا كان خارقاً إن صح التعبير فيظل صدها يتردد في الأوساط العلمية والأدبية.

وهكذا بات يتردد صدى المحاورة بين الإمام وبين يحيى بن أكثم قاضي قضاة المأمون وفي عمق البيت الحاكم.

نص المحاورة:

قال يحيى بن أكثم: أصلحك الله يا أبا جعفر، ما تقول في محرم قتل صيداً؟

فقال الإمام عليه السلام: في حل أم حرم؟ عالماً أم جاهلاً؟ قتله عمداً أم خطأ؟ حراً كان أم عبداً؟ صغيراً كان أم كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل أم معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد أم من كبارها؟ مصرأً على ما فعل أم نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد في أوكارها، أم نهاراً وعياناً؟ محرماً كان للعمرة أم للحج؟

فتحير يحيى بن أكثم وانقطع انقطاعاً لم يخف على أحد من أهل

المجلس، وقد طلب المأمون من الإمام أبي جعفر عليه السلام أن يسأل يحيى بن أكثم، كما سألته.

فأجابه الإمام لذلك، وقال ليحيى: أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار، حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما دخل عليه وقت العصر، حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل عليه وقت عشاء الآخرة حلت له، فلما انتصف الليل حرمت عليه، وبطلوع الفجر حلت، فما حال هذه المرأة؟ وبم حلت له وحرمت عليه؟

فقال يحيى بن أكثم: والله لا أهتدي لجوابك، ولا أعرف الوجه في ذلك، فإن رأيت أن تفيدنا.

قال أبو جعفر: هذه أمة لرجل من الناس فنظر إليها أجنبي في أول النهار، فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجت فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان العشاء الآخرة كفر عن الظهار فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له.

قال: فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال.

فقالوا: لا والله إن أمير المؤمنين أعلم بما رأى.

ثم قال لهم كما يدّعي الراوي: ويحكم إن أهل هذا البيت خصّوا من بين الخلق بما ترون من الفضل، وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أن رسول الله ﷺ افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين، وقبل الإسلام منه وحكم له به، ولم يدع أحداً في سنه غيره، أفلا تعلمون الآن ما خصّ الله به هؤلاء القوم، وأنهم ذرية بعضها من بعض، يجري لأخـرهم ما يجري لأولهم؟

فقالوا: صدقت يا أمير المؤمنين.

وتم الزواج بعد هذا الحوار كما يدّعي الرواة والله أعلم بواقع الحال^(١). وقد تناقل العلماء والناس الحوار، وظلّ حديث العامة والخاصة ويعود السبب كما قلنا إلى سن الإمام (صلوات الله عليه).

ومن جانب فإن الحوار شكّل سياجاً منيعاً، وسدّاً محكماً، منع الكثير من التقوّل، فالكثير بات ينظر إلى الإمام بإكبار وإجلال، بدليل سكوت العائلة المالكة ورضاها بتزويج المأمون لأُم الفضل، وإذا كانت العائلة المالكة قد سكّت - وقلما تسكت وتذعن - فيدل هذا على تأثير الحوار، ثم انتشاره في أوساط الدولة بقوة، فضلاً عن الأوساط العلمية.

وهكذا فإنّ أيّ أثر كبير من إنسان صغير في السن يأخذ صدهاء بقوة،

^(١) سيرة الأئمة الاثني عشر: هاشم معروف الحسني، ج ٣/ص ٤٣٣-٤٣٤.

وهذا ما نشاهده اليوم.

فالسيد الطباطبائي الذي لم يتجاوز سنه السنوات الست أحدث ضجة كبيرة، بما أوتي من قابليات مذهلة، وقدرات فائقة، وقد تناقلت الإذاعات والصحف أخبار السيد الطباطبائي، واعتبرته معجزة في مؤهلاته، كل ذلك لصغر سنه وللقابليات المذهلة التي كان يتمتع بها.

وقد تساءل الكثير عن السبب في ظهور هذه المهارات الفائقة؟

فأجابت أم السيد: إني كنت أقرأ القرآن والسيد كان جليلاً في بطني، وعندما كنت أرضعه كنت أقرأ القرآن، وهذا يدل على أثر القرآن في تفجير القابليات، ودليل على إمامة الجواد عليه السلام.

فإذا كان السيد الطباطبائي وقد تربى وترعرع في بيت يظلمه الإيمان والأخلاق، قد تفتقت فيه القابليات التي أذهلت الناس، وصار حديث الساعة، فما بالك في إمام تربى في حجر إمام معصوم ينحدر من أئمة معصومين، هم امتداد لبيت النبوة والرسالة.

ومن جانب فإن سلوك الأم الطيب مع ولدها يؤثر كثيراً، وبالذات إذا كان ممزوجاً بالقرآن الكريم.

فإن كلام الله يغور في خلايا الطفل ويختلط في دمه ولحمه، أما لماذا؟ فلأن كلام الله طاهر ونقي، والحديث الطاهر يتلقفه الطفل ويتأثر به، وتستجيب كل خلاياه لوقعه الطيب.

يقول علماء النفس التربوي: «إن التناغم إذا تم بين الكلام وخلايا

الطفل، فإنّ خلاياه تتحفّز كالوردة عندما يأتيها الربيع، وهكذا تتحفّز خلاياه للاستجابة وتنطلق بقوة».

من هنا فإن الكلام الطيب مع الطفل يحفّز خلاياه للاستجابة، ومن ثمّ يحدث فيها وقعاً طيباً يظلّ معها الطفل يهفو لكل حديث جميل يحمل المفردات السامية.

ولا بأس أن نقول لأولادنا: «تعال يا حبيبي، أنت طيب وأنت مهذب، وكم أنت محبوب».

إن هذه الكلمات تترك أثراً عميقاً في قلب الطفل وتحفر أخاديد في نفسه، فيعشقها باستمرار، ويعكسها كلما تقدم به العمر.

(٤) - وتشكّل الإمامة في الصغر معجزة، فهي مطلوبة آنذاك بسبب الضغط المتواصل على أتباع أهل البيت عليه السلام، فقد أقدم سلاطين بني العباس على قتل الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)، الأمر الذي أحدث هزة عنيفة في نفوس الكثير من الشيعة، وكادت هذه الهزة تقضم إيمانهم بالأئمة (صلوات الله عليهم) لولا المعجزة التي امتازت بها إمامة الجواد عليه السلام، حيث امتصّت الهزة واحتوتها.

هناك قاعدة تنصّ على «أن التخاذل أو الضعف إذا أصبح في أدنى درجاته فإنه يحتاج إلى قوة في أعلى مستوى لها».

وهذا ما حدث إبان بعثة النبي الأكرم ﷺ، فقد انحدرت البشرية وغاصت في وحل الجاهلية وفقدت إنسانيتها، فكان لابد من منقذ يمتاز

بأخلاق عالية وشخصية فذة، فجاء النبي ﷺ الذي امتاز بأخلاق لا مثيل لها. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

وبهذا المستوى من الأخلاق استطاع نبي الرحمة انتشال البشرية وإنقاذها من مستنقع الجاهلية.

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

وهكذا حدثت المعجزة وعبرها تم إنقاذ البشرية من مستنقع كاد يجردها من ثوب الإنسانية.

من هنا فكلما كانت تحدث هزة كانت المعجزة بالمرصاد، وقد تعرض المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ إلى هزات عنيفة أحدثت شرخاً واسعاً في جدار الأمة، وكاد الشرخ يصل إلى الأساس لولا الرحمة الإلهية التي تمثلت في آل البيت ﷺ، فكانوا السفينة كما سماهم الرسول الأعظم ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(٣).

(١) القلم: ٤.

(٢) الجمعة: ٢.

(٣) مكارم الأخلاق: الشيخ الطبرسي، ص ٤٥٩، والاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج ١/ ص ٤٠٧، وذخائر العقبى: أحمد بن عبد الله الطبري، ص ٢٠، والنص والاجتهاد: السيد شرف الدين، ص ٥٤٤، وحديث

وهم عليه السلام الأمان لأهل الأرض من كل بلية وفتنة.

قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي»^(١).

فعليه فإن إمامة الجواد عليه السلام كانت معجزة بعد الهزات العنيفة التي تعرض لها الشيعة، وحملات الإبادة التي طالت أئمة أهل البيت عليه السلام.

فقد تعرض أئمة أهل البيت عليه السلام لأقسى حملات الإبادة البربرية، وعلى يد من يدعون النسب لرسول الله ﷺ، وهذه أخطر حلقة في سلسلة التآمر على القيادة الربانية المتمثلة في أهل البيت عليه السلام.

فقد اغتالت السلطات العباسية الإمام جعفر الصادق، والإمام موسى بن جعفر، والإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

ولم يُحدث اغتيال الأئمة عليه السلام ردة فعل مطلوبة لدى العامة والخاصة إلا في دوائر ضيقة وعند الشيعة.

وقد ساهم وعُاظ السلاطين في تغطية الجرائم، وأسدلوا ستاراً على بشاعتها حتى لا تحدث آثاراً جانبية لدى العامة.

الثقلين: نجم الدين العسكري، ص ١٢٧، ومعالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ج ١/ص ٢٨٥، وشرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ١/ص ٢١٨، والكامل: ابن عدي، ج ٤/ص ١٩٨، وسبل الهدى والرشاد: الصالحى الشامي، ج ١١/ص ١١.

^(١) الهداية: الشيخ الصدوق، ص ٣٦، وعلل الشرايع: الشيخ الصدوق، ج ١/ص ١٢٣، والجامع الصغير: جلال الدين السيوطي، ج ٢/ص ٦٨٠، وكنز العمال: المتقي الهندي، ج ١٢/ص ١٠١، وفيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي، ج ٦/ص ٣٨٦، وكشف الخفاء: العجلوني، ج ٢/ص ١٣٥.

وهكذا مضت الجرائم بدون أن تصدر أي ردة فعل مهمة، الأمر الذي جعل الحُكَّام يوغلون في جرائمهم، ويتفنون في قتل الأئمة (صلوات الله عليهم) وذريتهم.

وبهذا القتل الذريع والمشين، جعل بعض الشيعة يشكون في قدرة الإمامة والبعض الآخر يظن أن دورها قد انتهى.

وهكذا ظهرت الواقفية في زمن الإمام الكاظم عليه السلام والفتحية، وغيرها من الفرق.

فجاءت المعجزة الجليلة لإمامة الجواد عليه السلام، لترد الكثير إلى رشدهم ومن ثم تفيء إلى الإمام الجواد عليه السلام، فاختلفت معظم الفرق التي ظهرت بقوة، وبعضها سلم الأمر للإمام الجواد عليه السلام.

(٥) - وبظهور علم الإمام في سن مبكرة تعرّت الشخصيات المزيفة التي كانت تدّعي العلم، أمثال يحيى بن أكثم قاضي القضاة.

وحين تنهاوى هذه الشخصيات المزيفة يصبح الطريق سهلاً إلى قلوب الناس وضماثرهم، وإلى المحافل العلمية التي كانت تنوق إلى العلم السليم إن صح التعبير، ولا ينكشف هؤلاء إلا إذا تعرضوا لاختبار صحيح، وقد تكون حكمة الله عز وجل أن يختبر يحيى بن أكثم، حتى يظهر حجمه للعامة والخاصة.

وفي نظري لولا صغر سن الإمام عليه السلام ما كانت تراود يحيى بن أكثم فكرة المجيء واختيار الإمام عليه السلام، بدليل سؤاله البسيط: ما تقول في قتل

صيد؟

فإن السؤال يدلّ على تصور ساذج ليحيى بن أكرم.

ولكن شاءت الحكمة الإلهية أن يتعرّى يحيى بن أكرم، ويتهاوى بعد الامتحان.

وبذلك أزيحت عقبة مهمة كانت تعترض العلم والفقه، وهكذا وبعد المحاورة والفشل الذي مني به ابن أكرم - انتشرت (مقررات الجلسة) كالنار في الهشيم، وتلقفتها الأوساط العلمية بكلّ حرارة، وراحت تبني عليها الكثير من الأحكام.

فالتفريعات التي أحدثها الإمام (صلوات الله عليه) فتحت أبواباً مهمة للاستنباط، جعلت الكثير من العلماء يستلهمون منها ويؤسسون قواعد فقهية مهمة في استنباط الأحكام الشرعية، وجاءت هذه المحاورة لتفتح عهداً جديداً وتخرس من كان يظنّ بالأئمة عليهم السلام.

فهذا البخاري، ومسلم اللذان عاصرا ثلاث أئمة، ومنهم الإمام محمد الجواد عليه السلام لم ينقلا روايات الإمام جعفر الصادق والكاظم والرضا ومحمد الجواد عليه السلام في صحيحيهما، بل لم ينقلا عن أيّ واحد من علماء أهل البيت عليه السلام وفقهائهم، مثل زيد بن علي الشهيد، ويحيى بن زيد، ومحمد بن عبد الله ذي النفس الزكية، والحسين بن علي الشهيد والمدفون في (فخ)، ويحيى ابن عبد الله بن الحسن، وأخيه إدريس، ومحمد بن الإمام الصادق، ومحمد ابن إبراهيم المعروف بابن طباطبائي، ومحمد بن محمد بن زيد، وعبد الله بن

الحسين، وعلي بن جعفر العريضي، وغيرهم من أكابر وسادات بني هاشم من المحدثين والفقهاء، فلم ينقلا عنهم.

والعجيب فأن البخاري ينقل ويروي عن أناس ضعفاء في الإيمان والعقيدة بل ينقل عن عدد من الخوارج، والذين نصبوا العداء لآل محمد ﷺ أمثال أبي هريرة، وعكرمة، وعمران بن حطان الذي يمدح ابن ملجم المرادي قاتل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد كتب «ابن الربيع» أن البخاري روى في (صحيحه)، عن ألف ومئتي خارجي وناصري من قبيل عمران بن حطان السدوسي البصري المتوفى سنة (٨٤ هـ) والذي كان من رؤوس الخوارج والمعلنين العداء للإمام علي عليه السلام وهو المادح لابن ملجم المرادي (لعنه الله) بقوله: يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليلغ من ذي العرش رضواناً^(١)

(٦) - إن إمامة الجواد (صلوات الله عليه) في سن التاسعة - أو السابعة، عن رواية - بحق كانت معجزة، وهذه كانت مطلوبة آنذاك بسبب ضعف العقيدة التي سرت في الكثير.

فقد أصاب الكثير (مرض ضعف العقيدة) إن صح التعبير، وجاء هذا المرض نتيجة التيارات والأفكار الفاسدة التي صدرها الحكام، وسوقها وُعَاظ السلاطين.

^(١) الغدير: الشيخ الأميني، ج ٩/ص ٣٩٣، ونهج السعادة: الشيخ المحمودي، ج ٧/ص ١٧٣، ومعالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ج ٢/ص ٣٩، وتاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٤٣/ص ٤٩٥، وسير أعلام النبلاء: الذهبي، ج ٤/ص ٢١٥.

وقد لعب وُعَاظُ السلاطين دوراً خطيراً، في تهيئة الأجواء لهذا المرض الخطير الذي أخذ يأكل الإيمان والعقيدة، في مَنْ استهوته الدنيا، وكما هو معلوم فإن الدنيا تضرُّ وتغرُّ وتمرُّ، وتجهز على كل ميزة عالية.

وإذا كنا نعرف أن الشيطان يقف وراء الهجوم الكاسح، فإن الحالة تعد خطيرة، لذا فإن أيَّ إغفال من قبل الإنسان يوفّر فرصة ذهبية للشياطين.

فيأتي ويغويه عن دينه وقيمه، ويغيب عن ذهنه كل المفاهيم الإنسانية، ومصادق ما نقول الحادثة المروعة التي حدثت في ولاية «مشيكان»، حيث أقدم أب متهور بعد أن خسر (٦٠٠ ألف دولار) في القمار على قتل أولاده الثلاثة وأمهم التي كانت حاملاً، ثم قتل نفسه.

فعليه فإن المعجزة التي ظهرت للإمام (صلوات الله عليه) أيقظت الحس الديني، وأرجعت الدماء ثانية إلى شريان العقيدة.

وهكذا تساءل الكثير واستفهم: هل بإمكان الإنسان أن يحمل عبء الإمامة وهو في سن التاسعة؟

فجاءت أجوبة الإمام وحواراته مع يحيى بن أكثم، والمأمون، غيرهما لتحلّ الإشكال، وتوفّر الطمأنينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم.

فجاءوا تبعاً مطمئنين إلى الإمام، وأخذوا ينهلون من نير علمه (عليه السلام).

لا تستثقلوا المعجزة، فإنها تتكرر في زماننا أيضاً:

إن الإنجازات العلمية الضخمة، سهّلت الإجابة كثيراً عما كان يدور في خلد البعض من الإشكالات إزاء ما كان يحدث للبعض من معاجز وخوارق.

فإن أقراص السيدي والكومبيوتر وغيرها والتي لا تملك ما يملكه الإنسان، دليل قاطع على عظمة الإنسان وقابلياته الهائلة، فإن العقل الذي صنع الكومبيوتر وأقراص السيدي والذي باستطاعته أن يجمع الآلاف من الكتب في حجم صغير الذاكرة لهو معجزة باهرة لا تقل عن المعاجز التي حدثت في زمن الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

هو في نفس الوقت دليل آخر على صدق تلك المعاجز، وكلما تقدّم العلم تقدّم الدليل وانكشفت براهين عديدة فيما يخصّ المعاجز التي ظهرت للأنبياء والأئمة عليهم السلام.

فلا كلام - بعد المعاجز العملاقة التي تحدث تباعاً - عن إمكانية تسلّم الإمام الجواد عليه السلام زمام الإمامة وهو يحمل التسع سنوات من عمره، والفيض الحكمي الذي تدفق من ينبوعه الثرّ (صلوات الله عليه)، وأما إذا أتينا إلى القرآن فثمة دلائل عديدة، فالنملة التي هي كائن صغير لها قدرة الكلام والإرشاد.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾^(١).

والهدهد الذي نطق بالحكمة ﴿أَحَاطَتْ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ﴾^(٢).

لقد بين أمرين مهمين: قدرة الإنسان المحدودة حتى لو وسع الدنيا علماً وقدرة، والأمانة في النقل.

ومع هذه الأدلة الواضحة يشقّ على البعض تحمّل الإمام للأمانة الإلهية، سبحانه الله كم هو عجيب هذا النفر، فهو لا يشقّ عليه حديث النملة المنطقي وكذلك الهدهد، ولكنه يصعب عليه ويتضايق إذا تحمل الإمام الأمانة وهو في سن التسع سنوات.

في إحدى المحاضرات تكلمت عن معجزة من معاجز أهل البيت عليه السلام، وكان من حقي ذلك لأن البعض أخذ يشكك في قدرة الأئمة عليهم السلام، ويطعن في مناقبهم، لا لشيء إلا لأنهم لا يستوعبون قدرات الإنسان والعوالم التي أودعت فيه، أو لإرضاء جهة ما! وهذه الجهة أو الفئة لا ترضى حتى يتخلى الإنسان نهائياً عن ولاية الأئمة عليهم السلام.

وحتى تقبل من يدخل إليها ذليلاً فعليه أن يتخلى تماماً عن مذهب أهل البيت عليه السلام، ويقول: أيها الناس أنا بريء من مذهب أهل البيت.

ولكن لتعلم هذه الفئة أن كل من تنازل لهذه البؤر الصغيرة التي تريد تقويم الشخصيات التافهة والصغيرة عبر هذا التنازل المشين لها، يسقط في

^(١) النمل: ١٨.

^(٢) النمل: ٢٢.

أعين هذه الفئة، ناهيك عن الفئات المؤمنة والطيبة.

وكما هو معلوم فإن من يتنازل عن مبادئه الحقّة يُضحّي ذليلاً وصغيراً.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾^(١).

وأما الفائدة الأخرى من ذكر المعجزة فلأن الدين ثقیل، فهو يربط الإنسان بالآخرة، والآخرة غيبٌ حيث يصعب على الإنسان استيعاب الغيب إلا إذا رافقته دلائل قوية ومنها المعجزة.

على كل حال، فعندما ذكرت المعجزة استثقلها نفر من الجالسين، وقال بالحرف الواحد: أرجوك يا شيخ، لا تذكر هذه القضايا.

قلت: ولم؟

قال: لأن البعض يتضايق وينفر!!

قلت: يتضايق عندما ينطق الإمام ﷺ بلسان فصيح وعمره ساعات؟!

قال: نعم، وقد ترك البعض المجلس.

قلت: سبحان الله! يتضايق من نطق الإمام ﷺ وهو يحمل عقلاً ولساناً

ولا يتضايق من حديث نملة وهدهد؟ وقد نطقوا بلسان فصيح ﴿قَالَتْ

نَمْلَةٌ﴾^(٢)، والهدهد: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾^(٣).

علماً أنني ذكرت هذه الأدلة وغيرها في أثناء المحاضرة.

^(١) البقرة: ١٣٠.

^(٢) النمل: ١٨.

^(٣) النمل: ٢٢.

ولكن البعض يصعب عليه ذلك، ويراها كالجبل إذا كانت تخصُّ أهل البيت عليه السلام، ولكنه يراها سهلة إذا كانت تخصُّ حشرة صغيرة!!

قلت في إحدى المحاضرات: إن نفراً لا يروق له معاجز الأئمة عليه السلام، ويستصعبها كثيراً.

مع العلم أن الإنسان من رأسه إلى أخمص قدميه مليء بالمعاجز والآيات ويا لها من آيات جميلة وباهرة.

وفي كل شيء له آية تدلُّ على أنه واحد

وآية ذلك رأسه، وكذلك شعره وحاجباه، لسانه وعينه، لقد حيرت العين العقول والألباب، فهي خلقت من شحم.

لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اعجبوا لهذا الإنسان، ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس بخرم»^(١).

يا لها من معاجز!! وآيات حيرت العقول وأذهلت النفوس، إذ كيف ينطق اللسان وتنظر العين.

قال تعالى: ﴿الَّذِي يَجْعَلُ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۖ (٩) وَهَدْيَةً النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا أَفْهَمَ الْعَقَبَةَ ۖ (١١)﴾^(٢).

^(١) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ٨٨ وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٥٨/ص ٣٠٧، وميزان الحكمة: محمدي الريشهري، ج ٣/ص ١٨٢٤، وتفسير نور الثقلين: الشيخ الحويزي، ج ٣/ص ٥٥٠.

^(٢) البلد: ٨-١١.

وهكذا يفيض الإنسان معاجز وآيات، وقد لا نبالغ إذ نقول إن في الإنسان آلاف المعاجز. لذا قال رسول الله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

فقد ذهب بعض العلماء إلى تفسير هذا الحديث بهذا المعنى، فمن عرف حقيقة نفسه والأسرار المودعة فيها والعوالم المذهلة، فقد عرف ربه وهو لا يستطيع ذلك.

فالنفس الإنسانية معجزة باهرة لمن ألقى السمع وهو شهيد، ويقودني الحديث عن المعاجز إلى المغزى والحكمة في وجودها..

١- ومثلما ذكرت، فإن المعجزة تسهل الانقياد والتسليم، وهذا ما حدث للسحرة في زمن فرعون.

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (١٩) فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٢٠﴾ (١).

٢- إن المعجزة تعطي ثقلًا للعاليم الإلهية، فالقرآن أعطى ثقلًا نوعيًا لرسول الله ﷺ، فقد أبهر الوليد بن المغيرة الذي كان يعد مرجعاً في تقييم الشعر، فعندما استمع إلى رسول الله ﷺ وهو يتلو القرآن الكريم عند الكعبة.

قال مندهشاً: «إن فيه لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن عاليه لمثمر،

وأسفله لمغدق، والله ما هذا بكلام البشر»^(١).

وبهذه الميزات وغيرها أضحى القرآن الأساس في اعتبار الإسلام والميزان في تقييم العلوم.

٣- إن المعجزة تربط الإنسان بالآخرة ربطاً وثيقاً، وكما هو معلوم فإن العقول تتفاوت، وكذلك القلوب والنفوس، فبعض العقول تقبل المنطق ولكن البعض منها لا يطمئن إلا بالدليل الحسي، فإذا كان النبي إبراهيم عليه السلام قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُتَّؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾^(٢)، فمن الطبيعي أن بعض القلوب تبحث عن الاطمئنان واليقين عن طريق المعجزة، لا لأنها لا تؤمن، ولكن لتبلغ بالمعجزة مرتبة سامية في الإيمان واليقين.

ولأن لها دوراً يستدعي منها الاطمئنان الكامل واليقين التام مثلما حدث لسلمان المحمدي، وأبي ذر، والمقداد، وحذيفة، وعمار، وغيرهم من الصحابة الأجلاء.

فهؤلاء العظماء وغيرهم أضحى علاقتهم بالله عز وجل وباليوم الآخر وثيقة للغاية بسبب المعاجز التي كانت تظهر لرسول الله ﷺ.

وهكذا أضحى قلوبهم عامرة بالله عز وجل تماماً.. فأضحى سلوكهم

^(١) زاد المسير: ابن الجوزي، ج ٨/ص ١٢٣، وسبل الهدى والرشاد: الصالح الشامي، ج ٢/ص ٣٥٥.

^(٢) البقرة: ٢٦٠.

بهذا الإيمان صورة واضحة ويّنة، جسّدت تماماً معاني الإسلام، وقيمه الفذة.

وبهذا التجسيد الفذّ وبالخلق العملاق تركوا انطباعاً عالياً عند الناس فانقلبوا إلى معجزة يفتخر بها الإسلام ويعتزّ بها.

٤- إن المعجزة ترسم حالة لصاحب المعجزة، فيها تكفّ الألسن الخبيثة، وتنكفي حجج أصحابها إن كانت لهم حجة.

وهذا ما ظهر جلياً في حياة الإمام الجواد عليه السلام، فعندما اتبرى ليحيى بن أكثم وألقمه حجراً انقطعت الألسن، وغارت الكلمات القاسية في فم من كان يشكك في الإمام الجواد عليه السلام، وهكذا سكنت العائلة المالكة ووُعّاظ السلاطين بدليل رضاها بتزويج المأمون ابنته للإمام الجواد عليه السلام.

٥- إن المعجزة تحثّ العقول على اكتشاف أبعادها وأسبابها، فالقرآن عندما يطرح المعاجز ويستعرضها في حياة الأنبياء، إنما يطلب من العقول البحث في كيفية حدوثها، والأسباب التي تقف خلفها.

وقد لمعت في ذهني هذه الفكرة، وأنا أبحث هذا الموضوع، وقد توصلت البعض إلى بعض الأسباب.

وكان بوذي أن هذا الشخص الذي استثقل المعجزة يهتمّ بها بعض الشيء ويبحث ويحقّق في هذا المجال، لا أن ينكر ويطعن ويعترض من دون دليل وحجة.

إن البعض أخذ ينكر الظواهر التي لم يستوعبها عقله ويطعن في

المعلومات التي لا يهضمها ويمنعه ذلك الكسل عن البحث والاستقصاء.

كان الأولى بمثل هؤلاء التأمل في كيفية إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وفتح البحر لموسى عليه السلام، وانقلاب العصا إلى ثعبان، والكثير من المعاجز التي سجلها القرآن الكريم.

فهل ثمة تفسير في عقولهم المحدودة لمثل هذه المعاجز المذهلة التي نقلها لنا القرآن الكريم وآمنّا بها من دون أن نفكر في كيفية وقوعها؟

إنّ الإنسان وبالرغم من سعة عقله إلا أنه لا يدرك كل الأفكار ولا يستوعب كل المعلومات المحيطة به، وهي اليوم لا حصر لها في عالم المعلومات. ولو كان هذا النمط من التفكير صحيحاً لكان الأولى بنا أن نستنكر - والعياذ بالله - نزول المائدة على الحواريين؟

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١١٢ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَعَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝١١٣ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝١١٤ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۝١١٥﴾^(١).

^(١) المائدة: ١١٢-١١٥.

أو نستنكر - لا سَمَحَ اللهُ - إحياء الله بقرة لأناس عادين من بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ

مُسَلَّمَةٌ لَا شِيبَةَ فِيهَا قَالُوا الْكَنَ حِثَّ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ

بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

فالله عز وجل أحيا بقرة لأناس من بني إسرائيل لكي يظهر الحق، ولكن

عندما تصل القضية إلى إظهار أحقية آل البيت عليهم السلام عن طريق المعجزة

تستبد في نفوس البعض العصبية ويستولي عليهم الحقد.

ثم يعترضون عليها بالقول: ما هذه الأساطير؟ ما هذا التجاوز؟

والى آخر العبارات القاسية، والتي تنم عن ضعف الإيمان والعقيدة

وضيق الأفق.

ولكن لا يعترضون إذا نطق طفل صغير، وعبر الصحف الغربية، فلأنها

صحف غربية، فهي قابلة تماماً للتصديق، من منطلق «كل ما نطق به الغرب

فينبغي أن نصدقه ونسلم به حتى لو كانت آراؤه سقيمة»، ويدخل في هذا

الإطار التنبؤات، فإذا تنبأ «نوستر أداموس» يسلم الكثير بتنبوءاته وكأنها

وحي منزل، وترى الكثير يعول عليها ويبنى الآمال العريضة.

ولكن تختلف القضية عندما يتحدث مسلم ويقرأ المستقبل ببصيرته

(١) البقرة: ٧١-٧٣.

النافذة، اعتماداً على أقوال الرسول الأعظم ﷺ والأئمة (صلوات الله عليهم) بما يحدث للأمم على مر التاريخ.

علماً أن ما قاله الرسول الأعظم محمد ﷺ والأئمة (صلوات الله عليهم) أضحي واقعاً على الأرض.

خذ على سبيل المثال قوله ﷺ: «يأتي على أمتي زمان تشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء».

وقوله ﷺ: «كيف بكم إذا تداعت عليكم الأمم... فقالوا: يا رسول الله ونحن من قلة أم كثرة؟ قال: من كثرة، ولكن غثاء كغثاء السيل»^(١).

لقد كشفت الأيام صحة هذه الأحاديث وسلامة مضامينها السامية، وكثير من الأقوال التي وردت عن أهل البيت عليه السلام انطبقت على واقعنا المعاصر، وأقوال أخرى ستقع في المستقبل القريب والبعيد.

فهل ثمة مجال للشك؟ ومكان للريب بعد هذا الوضوح؟!

لذلك فالذين يرفضون هذه الحقائق تعشش فيهم عقدة فقدان الهوية، وهي تنمو كلما فقدت الأمة ركناً من أركان شخصيتها، وأعني بالأركان المبادئ والتاريخ المشرق، والرجال الذين أضأوا وجه التاريخ.

وهذه العقدة تكشف عن نفسها في بعض القضايا الاجتماعية كالزواج مثلاً، فعندما يأتي الفاسق الثري ويقدم على الزواج من عائلة مسلمة، يرى

^(١) تهذيب الكمال: المزي، ج ١٣/ص ٤٧.

أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.

فحثّ على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده^(١).

والمعروف عند جميع المسلمين أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام والإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام والإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، والأئمة من بعدهم حرموا الصدقة من بعده، وليست نساء النبي صلى الله عليه وآله.

وقد ذكر المفسر الرازي في (تفسيره الكبير: ج ٨/ص ٨٠)، وابن كثير في (تفسير القرآن العظيم: ج ٣/ص ٤٨٣): أنّ العترة هم الخمسة أهل العباءة والكساء: الرسول وعلي وفاطمة والحسنان عليهم السلام.

وروى الترمذي في (صحيحه)، بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول: «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»^(٢).

^(١) صحيح مسلم: مسلم النيسابوري، ج ٧/ص ١٢٣.

^(٢) سنن الترمذي: ج ٥/ص ٣٢٩.

ويروى عن زيد بن أرقم، بلفظ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا من بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(١).

لاحظ قارئ العزيز حديث الرسول الأعظم ﷺ تجد فيه أوضح العبارات في خلافة أهل البيت الإثني عشر ﷺ لأسباب:

١- قرنهم بكتاب الله عز وجل، وكتاب الله معصوم لا يخطئ، فهم معصومون لا يخطئون بدليل الاقتران.

٢- جاء الرسول الأعظم ﷺ بلفظة العترة، وهم خاصة أهله.

٣- وقال رسول الله ﷺ: «لن يفترقا»، ولن تفيد التأييد كما في اللغة، وهذا يدل على أنهم لن يختلفوا مع القرآن الكريم في كل ما يتضمن القرآن الكريم.

كما وأن «لن» التأييدية تفيد أنهم في كل عصر مع القرآن، وإلى القرآن، وهذا ما ثبت ففي كل عصر فإن الأئمة الإثني عشر كانوا ينتهلون من القرآن ويستنبطون كافة الأحكام، وتدل هذه الحادثة على ذلك.

روى (الكافي) في (كتاب الحدود)، بسنده إلى جعفر بن رزق الله أنه قال: قدم إلى المتوكل رجل نصراني، فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه

^(١) المصدر السابق.

فأسلم.

فقال يحيى بن أكثم: قد هدم إيمانه شره وفعله.

وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود.

وكثر الآراء في حكمه، فأمر المتوكل بالكتابة إلى الإمام أبي الحسن الهادي (ع) وسأله عن ذلك، فلما قرأ الكتاب كتب في جوابه: يضرب حتى يموت من الضرب.

فأنكر يحيى بن أكثم وفقهاء العسكر، ذلك، وقالوا: يا أمير المؤمنين، إن هذا لم ينطق به كتاب، ولم تجيء به سنة عن رسول الله.

فكتب إليه: إن فقهاء المسلمين قد أنكروا هذا وقالوا: لم تجيء به سنة، ولم ينطق به كتاب، فبين لنا لم أوجب عليه الضرب حتى يموت؟ فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ۝ ﴾^(١)

٤- وجاء النبي الأكرم (ص) بلفظة «انظروا كيف تخلفوني فيهما» وهذه

^(١) غافر: ٨٤-٨٥

من أوضح العبارات في التمسك بهم، ومن ثم في خلافتهم، لأن التمسك لا يتم إلا إذا اعتبرناهم خلفاء، كما لا يتم الأجر إلا بمودتهم ﴿قُلْ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١).

فالتمسك بهم واجب عقلي وشرعي، لأن الرسول ﷺ دُلك عليهم بالقرآن وأثبت سموهم وخلافتهم عبره، فكما أن التمسك بالقرآن واجب عقلي وشرعي، كذلك التمسك بهم مطلوب عقلاً وشرعاً.

ونستشف ونستوضح من التقارن أن التفريط بالقرآن كفر وفسوق وإلحاد.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢)، كذلك التفريط بأئمة أهل البيت ﷺ كفر وفسوق وإلحاد.

ونقل حديث الثقلين (المستدرك) على البخاري، و(مسلم) للحاكم النيسابوري، بسنده عن زيد بن أرقم، قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل بغدير خم أمر بدوحات فقممن، فقال: «كأنني دعيت فأجبت، إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٣).

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) سبقت مصادر الحديث.

ثم قال: «إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن»^(١).

ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٢).

٥- وجاء في (مسند الإمام أحمد بن حنبل)، بسنده عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل وعترتي»^(٣).

وفي (مجمع الزوائد) للهيثمي، عن عبد الله بن حنطب، قال: خطبنا رسول الله ﷺ بالجحفة، قال: أأست أولى بأنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «فإني سائلكم عن اثنين: عن القرآن وعن عترتي»^(٤).

٦- وفي (الصواعق المحرقة) لابن حجر إمام الحرمين، قوله ﷺ بعد أن جمع الصحابة، وكرّر عليهم: «أأست أولى بكم من أنفسكم؟ ثلاثاً.

وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف، ثم رفع يد علي عليه السلام وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، أحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق

^(١) المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج ٣/ص ١٠٩.

^(٢) صحيح مسلم: ج ٣/ص ١٠٩.

^(٣) مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤/ص ٣١٤، ومجمع الزوائد: الهيثمي، ج ٩/ص ١٦٥.

^(٤) مجمع الزوائد: الهيثمي، ج ٩/ص ١٦٥.

معه حيث دار».

ثم قال: إنه حديث صحيح لا مريّة فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي، والنسائي، وأحمد، وطرقه كثيرة، ومن رواه ستة عشر صحابياً.

وفي رواية أحمد، أنه سمع النبي ﷺ ثلاثون صحابياً وشهدوا به للإمام علي عليه السلام لما نوزع أيام خلافته، وكثير من أسانيدنا صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحته ولا لمن رده، بأن علياً كان باليمن لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج مع النبي ﷺ، فقد ورد ذلك من طرق (صحيح الذهبية) كثيراً منها.

ثم قال: ويرشدنا لما ذكرناه حثه ﷺ في هذه الخطبة على أهل بيته عموماً وعلى «علي» خصوصاً، ويرشدنا إليه أيضاً ما ابتدئ به هذا الحديث ولفظه عند الطبراني وغيره بسند صحيح أنه ﷺ خطب بغدير خم تحت شجرات.

فقال: «أيها الناس، إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه - يعني علياً - اللهم والي من ولاه، وعاد من عاداه».

ثم قال: «يا أيها الناس، إني فرطكم، وإنكم واردون عليّ الحوض، حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء، فيه عدد نجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم حيث تردون عليّ الحوض، عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله، وطرفه

بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١).

وقد نقل حديث الثقلين «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» جمهرة كبيرة من علماء العامة، وقالوا بالحرف إن حديث الثقلين متواتر، وكل طرقه صحيحة وسنده لا يخدش فيه.

وقد دوّن علماء العامة حديث الثقلين في كتبهم على أنه من أصحّ الأحاديث، وسنده لا يخدش فيه بالمرّة، كما أن رجال الحديث من الوثاقة بمكان بحيث لا يمكن الظن فيهم.

فقد دوّن الحديث:

- ١- كتاب (المصنف): لمحمد بن أبي شعبة.
- ٢- (الدر المنثور): للسيوطي الشافعي.
- ٣- (كنز العمال): للمتقي الهندي.
- ٤- (الجمع بين الصحاح الستة): للعبدري.
- ٥- (تلخيص مستدرك الحاكم): للذهبي.
- ٦- (المعجم الكبير): للطبراني الشافعي.
- ٧- كتاب (السنة): للحافظ أبي بكر بن أبي عاصم الشيباني.
- ٨- (المصاحف): لابن الأنباري.
- ٩- (سنن البيهقي).

^(١) سبقت مصادر الحديث.

١٠- (خصائص الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب): للنسائي.

١١- (الجامع الصغير): للسيوطي الشافعي.

١٢- (المناقب): للخوارزمي الحنفي.

والكثير من الكتب لم نذكرها اختصاراً، ومن أراد الكثير فعليه المراجعة فسوف يجد التفصيل.

وأنا أطلب من إخواني الذين ينتمون إلى مذهب أهل العامة مراجعة كتبهم، وقد ذكرت قسماً منها عليهم يقفون على الحقيقة التي طالما أسدل الستار عليها بفعل العصبية المقيتة، والنصرة الجاهلية التي كلفت المسلمين الكثير وأرهقتهم بتراكمات جاهلية.

لذا أطلب من إخواني قراءة كتبهم، وليس كتب الشيعة، وطالما قلت في محاضراتي دعوا كتب الشيعة، ولكنكم مطالبون شرعاً بقراءة كتبكم، وقراءتكم هذه هي أدنى درجات الإيمان، وإذا شئتم أن تقرأوا كتب الشيعة فكتب الشيعة حافلة بأحاديث منقولة من كتب العامة باعتراف علمائهم.

ومنها كتاب (المراجعات) الحاشد بأحاديث من كتب العامة، وكتاب (دلائل الصدق)، و(عقبات الأنوار)، و(إحقاق الحق).

وأخرى كثيرة لا مناص لمن أراد الحقيقة وإبراء الذمة من مراجعة الكتب ومطالعتها بدقة، فلا عذر ولا حجة لمن يستمع، ثم يلقي ما يسمع على عواهنه وعلاته، ثم يحتج بفلان وفلان الذين يسمع منهم، وكأن هؤلاء قد أوحى إليهم أو نزلت آية تزكيهم.

وأنا قلت غير مرة: لو أن الجمهور من أهل العامة يقرؤون كتب الحديث والتفسير وأسباب النزول، لكفونا مؤونة الكثير من المساجلات والمناوشات، ولأغنتنا تماماً عن خوض اللجج التي في بعض الأحيان يغرق فيها الإنسان.

فعليه، فحديث الثقلين - كما أسلفنا - يؤكد على خلافة الأئمة عليهم السلام، ففي الحديث الشريف كافة الدلائل الواضحة لمن ألقى السمع وهو شهيد.

فالرسول الأعظم ﷺ استعمل أوضح العبارات وأقربها إلى المطلوب لكي لا يبقى عذراً لمن يتخلف أو يثاقل إلى الأرض إزاء قضية من أهم القضايا وأكثرها حساسية، إذ ما زالت مسألة الخلافة من المسائل التي أخذت حيزاً كبيراً من اهتمامات المسلمين وجهداً لا مثيل له، أفيعقل - إذا كانت القضية بهذا الحجم من الخطورة وذات أهمية استثنائية أن يغفل - والعياذ بالله - عنها الرسول ولا يشير من قريب أو من بعيد إليها؟

ونحن نعلم كم خاض المسلمون غمارها بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ وكيف استأثرت باهتمامهم وشغلتهم ردحاً طويلاً.

من هنا، فإن الرسول الأعظم ﷺ لم يكن ليغفل عنها حتى أوضح معالمها تماماً، ووضع النقاط على الحروف بحيث لم يدع لأحد مهمزاً أو مغمزاً.

وقد حاول البعض تحريف الحديث وإبعاده عن أهل البيت عليهم السلام ولكن أنى لهم التناوش.

فهذا إمام المالكية مالك بن أنس يذكر في (الموطأ) الحديث، ولكن على غير وجهه الصحيح، فذكر: وحدثني عن مالك أنه بلغه أن رسول الله محمد ﷺ قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه»^(١).

وهو أول من غير وبدل، والحديث مردود:

أولاً: فهو لم يذكر السند، وكما هو معلوم في علم أصول الحديث، فإن الحديث لا يصح إذا لم يوجد فيه السند وباتفاق الجميع.

ثانياً: لو كان الحديث صحيحاً لذكره مسلم في (صحيحه)، وكذلك البخاري، علماً أن مسلم ذكر حديث: «كتاب الله وعترتي».

وقد ذكر نص الحديث.

أما البخاري فقد ذكر بعبارة غامضة لم يعرف ما هو المقصود منها، فقال: وقد وصّى بكتاب الله وسنة نبيه، فمتى وأين وصى بكتاب الله وسنة نبيه؟

ثالثاً: لم يذكر نص الحديث، متى وأين؟ وهو مردود في علم أصول الحديث.

رابعاً: من هو الراوي الذي روى أن النبي ﷺ وصّى بكتاب الله وسنة نبيه؟

^(١) سبقت مصادر الحديث.

خامساً: إذا كنت أنت الراوي فهو عين الضعف والوهن لأنك ناقل والناقل - حفاظاً على الأمانة - عليه أن يذكر أسماء الذين ينقل عنهم.

ونأتي إلى مالك إمام المالكية، ونقول: وبأخذنا العجب كيف استثنى حديث «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» مع تواتره وقوة سنده، حتى أخضع الكثير من المحدثين والمفسرين، وفي مقدمتهم الإمام مسلم لذكره، وكذلك الترمذي، والبيهقي، وابن حجر الهيثمي، وكبار المحدثين، والكثير من الحفاظ والمفسرين، فعلى الأقل وحتى تحفظ ماء وجهه (الموطأ) عليك أن تذكر حديث «كتاب الله وعترتي» الموثق بطرقه المختلفة، والمثبتة في الكتب المؤلفة عند أهل العامة.

ثم لماذا هذا الإغفال المتعمد؟ ولمصلحة من هذا الحذف الخطير؟
إنما أشكو بثي وحزني إلى الله.

لماذا عندما تصل القضية إلى أهل البيت عليه السلام تتحرك الهواجس الشيطانية، وتندفع الأقلام المأجورة فتحرف وتزيف، وكأن لم يكن هناك أهل بيت عليه السلام للنبي محمد ﷺ.

فعليه، فإن حديث «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي» من الأحاديث المجمع عليها، كما أثبتناه، ويدل دلالة قاطعة على عصمة الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)، ابتداءً من الإمام علي عليه السلام وإلى الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام.

كما يدل الاقتران على المحتوى العلمي الهائل في الأئمة عليه السلام.

والمخزون الذي لا نهاية له، ويمكن أن نقول - وهو الحق - إن كل ما حواه القرآن من علم وأخلاق ومفاهيم حياتية هو مودع في الأئمة عليهم السلام، فهم إذاً ترجمان القرآن الكريم، والدليل إلى حلاله وحرامه.

وإليك قارئ العزيز هذه الحادثة لنثبت ما قلناه، فنحن أصحاب الدليل أينما مال نميل.

قال علي بن يقطين: سأل المهدي الخليفة العباسي أبا الحسن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وهو سابع أئمة أهل البيت عليهم السلام عن الخمر، هل هي محرمة في كتاب الله عز وجل، فإن الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم؟

فقال له أبو الحسن عليه السلام: بل هي محرمة في كتاب الله عز وجل.
قال المهدي: في أي موضع هي محرمة في كتاب الله عز وجل يا أبا الحسن؟

فقال عليه السلام: قول الله عز وجل ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾^(١).

فأما قوله ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني الزنا المعلن ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواحش في الجاهلية.

^(١) الأعراف: ٣٣.

وأما قوله عز وجل: ﴿وَمَا بَطَّنَ﴾ يعني ما نكح الآباء، لأن الناس كانوا قبل أن يبعث النبي ﷺ إذا كان للرجل زوجة ومات عنها تزوجها ابنه الأكبر من بعده إذا لم تكن أمه، فحرم الله عز وجل ذلك.

وأما ﴿وَالْإِثْمَ﴾ فإنها الخمرة بعينها، وقد قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾^(١).

فقال المهدي: يا علي بن يقطين، هذه والله فتوى هاشمية.

قال: فقلت له: صدقت والله يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت.

قال: فوالله ما صبر المهدي إلى أن قال لي: صدقت يا رافضي^(٢).

هكذا هي أحكامهم، فكلها انتراعات من القرآن واستلهاهم من العمق، فلا تجد حكماً يختلف مع القرآن أو يتناقض بقدر أنملة، وكيف يختلفون معه وهو قد نزل في بيوتهم، وعاشوه بكل كيانههم ومشاعرهم فتشربت كل خلایاهم به، وأهل البيت أدري بما في البيت:

بِأَلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ	وفي أبياتهم نزل الكتابُ
وهم حججُ الإله على البرايا	بهم وبجدهم لا يُسترابُ

^(١) البقرة: ٢١٩.

^(٢) الكافي: الشيخ الكليني، ج ٦/ص ٤٠٦، ووسائل الشيعة (الإسلامية): الحر العاملي، ج ١٧/ص ٢٤١، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٨/ص ١٤٩، وتفسير الميزان: السيد الطباطبائي، ج ٢/ص ١٩٩.

وأهل البيت عليهم السلام أدري بما في القرآن، وأهل مكة أدري بشعابها.
 إذا هم الحجة على البرايا والأدلاء على كل مضمون يحتويه القرآن،
 وإذا كان القرآن لا تنتهي مفاهيمه الخلقة، فكذلك الأئمة عليهم السلام لا تنضب
 عندهم ينابيع الحكمة والمعرفة والعلم.

وإذا كان القرآن الكريم في كل يوم يزداد تألقاً في علومه ومعارفه
 فكذلك الأئمة عليهم السلام هم التيار الممتد لذلك المعين، وإذا كان القرآن يزداد
 طلاوة وحلاوة - على حد تعبير ابن السكيت الكوفي - فكذلك الأئمة عليهم السلام
 يزدادون طلاوة.

من هنا فإذا كان الأئمة عليهم السلام بهذا المستوى الرفيع، وبهذا الحجم الكبير،
 فحريّ بكل إنسان عاقل اتباعهم والتمسك بآثارهم الجليلة كي يتسنى له
 معرفة الحياة وسبل الكمال المعنوي.

فحينما ندرس هذه الشخصيات ونطلع على جوانبها المضيئة، إنما نحيط
 علماً بمفاهيم تفيض بالحياة وتنبض بالحياة، وقد جاءت هذه الصفات أو
 قل الخصائص الفريدة التي اختصت بها علوم وحكم الأئمة عليهم السلام بالملازمة
 والاقتران بالقرآن الكريم، ومن عمق العلاقة مع كتاب الله الكريم، وكل من
 تعمق بالقرآن وسبر غوره يزداد عمقاً وسعة وإطلاقة على عالم فسيح
 رحب، فهو المصدر الذي حوى كل شيء، حتى قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ

أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ^(١).

تعيين الأوصياء الإثني عشر عليه السلام دليل آخر على وجوب الإمامة:

لقد أوصى رسول الله ﷺ في موطن كثيرة بالأئمة الاثني عشر عليه السلام، ولم تكن وصيته بدعة بين الأنبياء، فالوصية جرت من لدن نبينا آدم عليه السلام عندما عَيَّن «شيئاً» من بعده، وهكذا بقية الأنبياء عليهم السلام.

من هنا فإن النبي ﷺ عَيَّن الإمام علياً عليه السلام وصياً من بعده، وأشار إليه في غير موضع، وكذلك أشار إلى بقية الأئمة عليهم السلام.

يقول ابن تيمية في (منهاج السنة): قال ﷺ وهو يشير إلى الإمام الحسين عليه السلام: «وهذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة» ^(٢).

وذكر البخاري أيضاً حديث وصية النبي ﷺ بالأئمة الاثني عشر، حيث ذكر ثلاثة طرق.

وهذا نص الحديث: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش» ^(٣).

وعن أبي بكر بن أبي شيبة: حدثنا أبو معاوية، عن داود، عن الشعبي،

^(١) يس: ١٢.

^(٢) منهاج السنة: لابن تيمية: ج ٤/ص ٢١.

^(٣) المصدر السابق: ج ٤/ص ٢١.

عن جابر بن سمرة:

قال النبي ﷺ: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى إثني عشر خليفة، قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه. فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش»^(١).

وعن ابن أبي عمر، حدثنا أبو معاوية سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، قال:

سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»^(٢).

ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عليّ، فسألت أباي: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: «كلهم من قريش»^(٣).

وقد خرّج مسلم الحديث من تسعة طرق، وقد استفاض هذا الحديث في أكثر جمهور المسلمين، بنصوص وطرق متعدّدة، وهو من الأدلة القاطعة على أحقية مذهب أهل بيت العصمة ﷺ، فالحديث «الأئمة الاثنا عشر» لا ينسجم مع أيّ مذهب آخر سوى مذهب الإمامية الإثني عشرية، ذلك أن جمهور المسلمين يعتقدون بالخلافة الراشدة، وهم أربعة خلفاء، وزاد بعضهم الحسن بن علي ﷺ، فيكون الناتج خمسة خلفاء، وهو لا يتفق

^(١) صحيح مسلم: ج ٦/ص ٣، وصحيح البخاري: ج ٤/ص ٣.

^(٢) كشف الغطاء: الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ج ١/ص ٧، ومناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب،

ج ١/ص ٢٤٨، وصحيح مسلم: مسلم النيسابوري، ج ٦/ص ٣، وفتح الباري: ابن حجر، ج ١٣/ص ١٨١،

وعين المعبود: العظيم الآبادي، ج ١١/ص ٢٤٤، وتفسير ابن كثير: ابن كثير، ج ٢/ص ٣٤.

^(٣) كشف الغمة: ابن أبي الفتح الإربلي، ج ١/ص ٥٧.

وهذا الحديث، وإذا أدخلنا في الحساب أيضاً خلفاء بني أمية وبني العباس، فقد ولي الخلافة أكثر من هذا العدد، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن كثيراً من خلفاء بني أمية وبني العباس يعدون من أشهر فسقة عصرهم.

فمعاوية بن أبي سفيان كان يشرب الخمر، ذكر الإمام أحمد ذلك في (المسند)، عن عبد الله بن بريدة، قال: دخلت أنا وأبي إلى معاوية فأجلسنا على الفرش، ثم أتينا بالطعام فأكلنا، ثم أتينا بالشراب فشرب معاوية، ثم ناول أبي، فقال: ما شربته منذ حرّمه رسول الله ﷺ ^(١).

وقد ذكر مسلم في (صحيحه)، وكذلك أبو داود في (مسنده)، وجاء في (مسند أحمد بن حنبل)، عن مسروق: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود، وهو يُقرئنا القرآن.

فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتُم رسول الله ﷺ كم تملك هذه الأمة من خليفة؟

فقال عبد الله بن مسعود: ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك. ثم قال: نعم، ولقد سألتنا رسول الله ﷺ، فقال: اثنا عشر، كعدد نقيب بني إسرائيل ^(٢).

وينقل أيضاً في (مسنده)، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: قال

^(١) مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج ٥/ص ٣٤٧.

^(٢) مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج ٥/ص ١٠٦.

رسول الله ﷺ: «يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة»^(١).

١- وأيضاً فإن هذا الحديث يصطدم مع مبادئ سائر فرق الشيعة الأخرى كالزيدية والإسماعيلية، إذ الأئمة لديهم أقل من اثني عشر إماماً.

٢- ثم هناك ملاحظة، إذ لم يكن هناك نصّ على أبي بكر، وعمر بن الخطاب، وعثمان، فالنبي الأكرم ﷺ لم ينصّ على الثلاثة من قريب ولا من بعيد، ولم يولهم في حياته إمارة أيّ مدينة من بدء الإسلام، وكذلك لم يعطهم راية بعد الهزيمة التي لحقت بهم في معركة خيبر كما هو ثابت في كتب التاريخ.

٣- ثم إنّ عمر بن الخطاب يؤكّد وهو على فراش الموت على عدم استخلاف النبي ﷺ لأحد منهم، وهو ما نقله مسلم في (صحيحه).

وإليك النص: عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: حضرت أبي حين أصيب، فآثنوا عليه، وقالوا: جزاك الله خيراً.
فقال: راغب وراهب.

قالوا: استخلف.

فقال: أتحمل أمركم حياً وميتاً؟ لوددت أن حظي منها الكفاف لا عليّ ولا لي، فإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر -، وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني رسول الله ﷺ.

قال عبد الله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف^(٢).

^(١) المصدر السابق: ج ١/ص ٣٩.

^(٢) صحيح مسلم: مسلم النيسابوري، ج ٦/ص ٥.

وأيضاً عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي: أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ

قال: فكتب إليّ سمعت رسول الله ﷺ يوم الجمعة، عشية رجم الأسلمي، يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»^(١).

وقد ذكر حديث الوصية إمام الحرمين ابن حجر الهيثمي في (الصواعق المحرقة: ص ٤٣).

وذكر حديث الوصية الحافظ القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة): عن سديم، عن سليم بن قيس، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: دخلت على النبي الأكرم ﷺ فإذا الحسين عليه السلام على فخذه، وهو يقبل عينيه ويقبل فاه، ويقول: «أنت سيد ابن سيد، وأنت إمام ابن إمام، وأنت حجة ابن حجة وأنت أبو حجج تسعة، تاسعهم قائمهم»^(٢).

وروى الحافظ أبو نعيم بسنده، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلّقوا من طينتي، وزوّوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي

^(١) مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل: ج ٥/ص ٨٩

^(٢) ينابيع المودة: القندوزي، ج ٢/ص ٨٣

القاطعين فيهم صلتني، لا أنالهم الله شفاعتي»^(١).

لماذا خلف الإمام الرضا عليه السلام ولده الجواد عليه السلام في المدينة المنورة؟

إن المدينة المنورة كانت تشكّل العمق الروحي والحضاري والسياسي للمسلمين، وقد حاول الحكام استلاب هذا الطابع، ولكن ظلت المدينة تتلّفع به لأن الرسول ﷺ رفع القواعد على أسس متينة وثابتة.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ

أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾^(٢).

فمنذ البداية ثبت الرسول الأعظم ﷺ مقومات البناء الحضاري، وركز أعمدة التقدم المدني والعلمي والإنساني، فقد احترم الكل بما فيهم اليهود وغيرهم، ووضع دستوراً ينظم حياة المسلم وغير المسلم، وركز على الاستقلال حيث علّم المسلمين الاعتماد على النفس وعلى استغلال الكفاءة المودعة فيهم، ومن جانب جعل نفسه بمثابة أنفسهم في المسكن والملبس والمأكل، بل كان أقلهم في بعض الحالات.

وهذا السلوك له أثر كبير في حياة المسلمين وغير المسلمين.

وكما هو معلوم فالقائد يؤثر كثيراً في أتباعه إذا كان لا يتميز عنهم

^(١) حلية الأولياء: أبو نعيم، ج ١/ص ٨٦.

^(٢) التوبة: ١٠٩.

ويشاركهم مكاره الدهر، كما أنه يدخل في أعماقهم، وقد تقدّمت المدينة في المجال الحضاري أشواطاً بعيدة على مكة، حيث ظلت الأخيرة تقبع في مستنقع الجهل والتخلف بسبب العقول الجوفاء الخالية من كل رؤية سليمة كأبي جهل، والعاص بن الحكم، وأبي سفيان، وأمّية بن خلف، وغيرهم.

وقد تقدّمت المدينة في زمن قياسي حتى فاقت العواصم الرومية والفارسية وغيرها.

بدليل أن اليهود ظلوا متمسكين بالمدينة بالرغم من الأجواء الجديدة التي أطلّت عليها، وقد حافظت المدينة على موقعها السياسي والحضاري بالرغم من الهزّات التي تعرّضت لها بُعيد وفاة الرسول الأعظم ﷺ، فكادت تفقد دورها الريادي، وتألّفها الحضاري، لأنّ أبا بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان حولوها إلى ثكنة عسكرية، وظلت المدينة تعاني من أجواء الحرب وسلوك «العسكريتاري»، وكادت الأجواء المشبعة بروح القتال تقضي تماماً على السمات الحضارية للمدينة، فقد تقلّصت دروس الثقافة والفكر في المسجد النبوي الشريف، وتضاءلت الحوارات الفكرية، بحجّة الخوف من التمزّق الداخلي، وهذه حجة واهية طالما تذرّع بها الحكام للقضاء على الفكر والثقافة وقتل الحريات.

ومن جانب، فقد منع عمر بن الخطاب الصحابة من الحديث، وأخذ على عاتقه معاقبة كل من يدلي بحديث عن رسول الله ﷺ حتى وصل الأمر إلى الضرب، وهكذا تلاشت فرص (النمو الحضاري)، والتقدم الفكري، وانحسرت أجواء الثقافة والفكر.

وإذا حاول عمر منع الحديث والقضاء على الأجواء الثقافية، فإن الإمام علياً عليه السلام أخذ على عاتقه نشر الإسلام وبث الأحاديث النبوية، وأخذ يشيع الجو الفقهي - إن صح التعبير - عن طريق القضاء الذي صارت أزمته بيد الإمام، حتى قال عمر: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن»^(١).

وقال: «لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر»^(٢).

وقالت عائشة كما جاء في (الاستيعاب): «إن علياً لأعلم الناس بالسنة»^(٣).

وقال ابن عباس: «أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وإيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر»^(٤).

وقال ابن عبد البر في (الاستيعاب: ج ٣/ص ٤٠): «ما كان أحد يقول: سلوني، غير علي»^(٥).

^(١) دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبري (الشيعة): ص ٢٢، ونصب الراية: الزيعلي، ج ٣/ص ١١٧، وأنساب الأشراف: البلاذري، ص ١٠٠.

^(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤١/ص ١٤١، وشرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ١/ص ١٨.

^(٣) جامع المقاصد: المحقق الكركي، ج ١/ص ١٥، وذخائر العقبى: أحمد بن عبد الله الطبري، ص ٧٨، ونظم درر السمطين: الزرندي الحنفي، ص ١٣٣، وفتح الملك العلي: أحمد بن الصديق المغربي، ص ٧٣، وتفسير الثعالبي: الثعالبي، ج ١/ص ٥٢، والتاريخ الكبير: البخاري، ج ٢/ص ٢٥٥، وتاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٤٢/ص ٤٠٨، والمناقب: الموفق الخوارزمي، ص ٩١، ونبائع المودة لذوي القربى: القندوزي، ج ٢/ص ١٧١.

^(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب من هامش، الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني، ج ٣/ص ٤٠، طبع ١٩٣٩.

^(٥) الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج ٢/ص ٣٣٨، وأمد الغاية: ابن الأثير، ج ٤/ص ٢٢، والمناقب: الموفق الخوارزمي، ص ٩١.

وهذه نقطة مضيئة في حياة الإمام، ونقول طالما سألوا عمر بن الخطاب وتفاضوا فلم يُجر جواباً ولم يقل فصلاً، لذا فكان يرشد إلى الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

أتى عمر بن الخطاب بقدامة بن مظعون، وقد شرب الخمرة، فشهد عليه رجلان أحدهما خصي وهو عمرو التميمي، والآخر المعلى بن جارود، فشهد أحدهما أنه رآه يشرب، وشهد الآخر أنه رآه يقيء الخمر.

فأرسل عمر إلى أناس من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال لأmir المؤمنين: ما تقول يا أبا الحسن؟ فإنك الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «أنت أعلم هذه الأمة وأقضاها بالحق»^(١)، فإن هذين قد اختلفا في شهادتهما.

قال: ما اختلفا في شهادتهما وما قاءها حتى شربها.

وقد فرض الإمام عليه السلام وجوده المبارك كأمر واقع لا يُشق له غبار، ولكن عمر بن الخطاب حاول أن يحصر الوجود في دائرة ضيقة حتى يتسنى له السيطرة وفرض الأحكام التي تهواها الأنفس.

إن المشكلة التي حدثت بعد رسول الله ﷺ تكمن في القضاء على الكوادر التي تشبعت بالقيم الإسلامية وكبرت في ظلها.

وبالرغم من محاولات التضييق والتفريغ ظلت المدينة المنورة تشع نوراً

^(١) الكافي: الشيخ الكليني، ج ٧/ص ٤٠١، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ١٠١/ص ٣٢٠.

بفضل الإمام علي عليه السلام.

وقد شهدت المدينة المنورة أدواراً مهمة للإمام والأئمة عليهم السلام من بعده فقد أثروها بالعلوم والحكم، كما حافظوا على طابعها الحضاري.

لذا ورد لها أصحاب الديانات ورجال العلم من كافة أنحاء المعمورة لينهلوا من نير الأئمة عليهم السلام، وعينها الصافية.

وظلت المدينة المنورة حاضرة الدولة الإسلامية، تشع نوراً بالرغم من محاولات التفريغ التي بدأها عمر بن الخطاب.

هذا وقد شهدت المدينة المنورة بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام دوراً مهماً للإمام الحسن عليه السلام، فقد عاود الإمام الحسن عليه السلام دوره الريادي بعد تخليه عن الخلافة التي شحّت عليها نفوس، ومنهم معاوية بن أبي سفيان، فأضحت المدينة بعد مجيء الإمام محوراً هاماً، وحاضرة للدولة الإسلامية، وقد فاقت بنشاطها العلمي كثيراً (الشام) بدليل كثرة العلماء الذين شدّوا الرحال إلى المدينة واستوطنوها.

وبدأت حلقات الدروس تتسع في المسجد النبوي الشريف، إلا أن التطورات التي حصلت تباعاً جعلت هذه الحلقات تنكمش نوعاً ما، فقد أقدم معاوية بن أبي سفيان على شنّ حملة اغتيالات واسعة ضد العلم والعلماء والصحابة.

ومنها اغتياله سيد شباب أهل الجنة بواسطة «جعدة بنت الأشعث بن قيس» وهي زوجة الإمام علي عليه السلام، واغتيال من الصحابة حجر بن عدي، وأويس

القرني، ورشيد الهجري، وغيرهم.

وباغتيالهم ساد المدينة جوٌّ من الإرهاب والخوف، مما جعل الكثير من طلاب العلم ينكفثون عن مواصلة المسيرة العلمية.

ولكن وبالرغم من أجواء الإرهاب والرعب اللذين سيطرا على أجواء المدينة ظل الإمام الحسين عليه السلام يواصل مسيرة العلم متحدياً كل أشكال الطغيان الذي كان يمارسه أصحاب معاوية.

وهكذا بدأت حلقات الدروس في المسجد النبوي (تتنفس الصعداء) مرة ثانية، وتتسع دائرتها بحذر، وكانت حلقة الإمام الحسين عليه السلام من أهم الحلقات العلمية وأبرزها، وكان لها هبة ووقار، حتى قال معاوية بن أبي سفيان لأحد جلاوزته: «إذا دخلت المدينة ودخلت مسجدك ورأيت الناس يستمعون وكأن على رؤوسهم الطير فذلك حلقة الحسين بن علي».

واستمر الأئمة (صلوات الله عليهم) يواصلون تثبيت أعمدة العلم والأخلاق والمعرفة، وكان العمل يأخذ أشكالاً عدة، ومن هذه الأشكال الحوار والمناقشة.

والأئمة عليهم السلام هم أول من أقام الحوار البناء والذي يعتمد العلم والمنطق. والتطور الذي حصل تبعاً في المدينة - ويعتبر الأهم على الإطلاق على صعيد العلم - يكمن في تأسيس الجامعة الإسلامية العالمية، فقد رفع الإمام الباقر عليه السلام بوضع قواعد الجامعة الإسلامية، والتي ضمت أسس المناهج الحضارية بكافة أشكالها.

حيث اعتمد الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام أساليب جديدة في الجامعة الإسلامية تتمثل في الانفتاح على العلم وطلاب العلوم، ثم تحولت الجامعة إلى بوتقة مهمة لصهر الأفكار بمختلف أشكالها وألوانها، وبهذا التلاحق تلاحأت أفكار ونظريات غاية في الأهمية، حتى أضحت الجامعة قبلة العالم أجمع وليس فقط للمسلمين.

ومن أراد الإطلاع فعليه بكتاب (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة)، و(الإمام الصادق ملهم الكيمياء)، كما اعترف له اليوم بذلك علماء الغرب.

وقد استمرت جهود الأئمة عليهم السلام في إثراء المدينة، وإضفاء الطابع العلمي عليها، إلى أن جاء دور الإمام الرضا عليه السلام وأراد بدوره الحفاظ على طابع المدينة وتوسيع نشاطها العلمي، إلا أن المأمون العباسي حال دون ذلك، وهذا ديدن الحُكَّام الظالمين، فالكثير منهم يَكُونُ العداء للعلم والعلماء.

فأرسل المأمون إلى الإمام الرضا عليه السلام ليقبّده بولاية العهد، وقد تنبه الإمام لخطة المأمون، لذا أبقي الإمام الجواد عليه السلام ليدير دفة المدينة، ويقود ركب الحضارة بعد أن وُكِّله بهذه الرسالة العظيمة حيث يوصيه بأهل بيته وأقربائه، وأهل بيت الإمام وأقرباؤه ممن لا يشقُّ لهم غبار، فمعظمهم علماء وحكماء، وكانت الرسالة كما يلي: «يا أبا جعفر، بلغني أن الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير، وإنما من بخل بهم، لثلاث ينال منك أحد الخير، فأسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلا من الباب

الكبير، وإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة (دينار ودرهم)، ثم لا يسألك أحد إلا وأعطيته، ومن سألك من عمومته أن تبره.. فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً والكثير إليك، ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسة وعشرين ديناراً والكثير إليك، إني أريد أن يرفعك الله فأنفق ولا تخش من ذي العرش افتقاراً»^(١).

إن هذه الرسالة تتضمن التأكيد على دور الإمام الجواد عليه السلام الريادي، فهي:

١- توصيه بالخروج والالتقاء مع الناس من الباب الكبير، والالتقاء له أثر كبير.

٢- توصيه بالإنفاق وفي الحديث «من جاد ساد»^(٢)، والإنفاق الطاهر يشكل همزة الوصل بين القائد والأمة.

٣- الاهتمام بالأقرباء، وهم من قد عرف بالإياء والكرامة وعفة النفس، فإن السلطات الحاكمة كانت تحرمهم العطاء في معظم الأوقات.

٤- الالتقاء بالأقرباء يشكل المدخل الأساسي للمجتمع.

لذا قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣).

وهكذا أراد الإمام الرضا عليه السلام من خلال الرسالة تمكين الإمام محمد

^(١) عيون أخبار الرضا: ج ٢/ص ٨

^(٢) ميزان الحكمة: محمدي الريشهري، ج ١/ص ٤٨٢، وعيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد اللبثي

الواسطي، ص ٤٢٩.

^(٣) الشعراء: ٢١٤.

الجواد عليه السلام وإيجاد أرضية متينة له في المدينة، ليقودها إلى ساحل الأمان.

والسبب الثاني الذي من أجله بقي الإمام الجواد عليه السلام في المدينة هو أن الإمام الرضا عليه السلام أراد من ولده البقاء بعيداً عن أجواء السلاطين، لأن أجواء السلاطين دائماً موبوءة ومشحونة بالنفاق والمؤامرات، وبالذات في عهد سلاطين بني العباس، وهكذا.

وفي ظل هذه الأجواء فلا يمكن عمل شيء وإيجاد فرص حقيقية لنشر العلم.

والسبب الثالث في بقاء الإمام الجواد عليه السلام أن المدينة كانت - وما زالت - أرضاً خصبة وقبلة العلماء.

فأراد الإمام الرضا عليه السلام أن يوفر الأرضية لإثبات جدارة الإمام وكفاءته حتى يتسنى له مستقبلاً إدارة الإمامة إذا ما وقع محذورٌ على الإمام علي الرضا عليه السلام، وبالفعل فإن الإمام الجواد بعد استشهاد أبيه بستين تسلم دفعة الإمامة، وأثبت جدارته العلمية بكل اقتدار.

والدليل على ذلك التجاء العلماء والسلاطين إليه غير مرة، وقصة السارق الذي سرق في عهد المعتصم، ومن ثم التجاء المعتصم إلى الإمام محمد الجواد عليه السلام أفضل شاهد.

حيث أفتى الإمام عليه السلام بقطع الأصابع مستدلاً بالآية: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ

فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا^(١).

والمساجد هي سبعة كما في الحديث الشريف: «الكفان والجبهة والركبتان والقدمان». وما كان لله فلا يقطع.

ومن ثم أخذ المعتصم برأي الإمام الجواد عليه السلام.

والسبب الرابع أن أجواء المدينة المنورة المشبعة بأنفاس الرسول الأعظم محمد ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام لها تأثير بالغ.

وكما هو معلوم فإن أنفاس الأنبياء والأئمة عليهم السلام تؤثر تأثيراً بالغاً في النفوس، حيث إنها تلتقي مع أنفاس الأولياء المقربين، فتلهمها كما في الروايات الموثقة.

أسماء الأئمة عليهم السلام:

وقد جاءت أسماء الأئمة عليهم السلام صريحة وكذلك ألقابهم، وحديث جابر ابن عبد الله الأنصاري، عن رسول الله ﷺ: «إنك ستدرك رجلاً مني، اسمه اسمي، وشماثله شماثلي، يبقر العلم بقراً»^(٢).

وقد ذكر الأسماء الطاهرة بأسانيد معتبرة جمهرة من علماء السنة منهم

^(١) الجن: ١٨.

^(٢) الكافي: الشيخ الكليني، ج ١/ص ٤٦٩، وروضة الواعظين: الفتال النيسابوري، ص ٢٠٦، والاختصاص: الشيخ المفيد، ص ٦٢، والاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج ١/ص ٢٩٠، والخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي، ج ١/ص ٢٧٩، ومناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ٣/٣٢٨.

سبط بن الجوزي في (تذكرة الخواص)، فقد كرّس ابن الجوزي كتابه حول حياة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، وذكر الكثير من مناقبهم وفضائلهم الجليلة.

وهو الذي يؤكّد على ولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بيعة الغدير بعد أن يستعرض معاني الولاية كلها، ثم يذكر في المعنى العاشر، ويقول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»^(١)، يعني: من كنت أولى به من نفسه، فعلي أولى به من نفسه.

ويؤكد على هذا المعنى، ويقول: وهو المعنى من كلمة مولاه. كما ذكر الأسماء الطاهرة المير سيد علي الهمداني الشافعي في كتابه (مودة القريب).

وذكره القاضي الفضل بن روزبهان، وابن طولون. والأسماء الطاهرة موجودة في الكتب المقدسة، فقد جاءت أسماءهم في (الإنجيل)، كما يلي:

^(١) الكافي: الشيخ الكليني، ج ١/ص ٤٢٠، وعيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق، ج ١/ص ١٣٨، والأشراف: الشيخ المفيد، ص ٢٨، وخلاصة عبقات الأنوار: السيد حامد النقوي، ج ١/ص ٩٨، ومسند الإمام الرضا: الشيخ عزيز الله العطاردي، ج ١/ص ٧٧، وأضواء على الصحيحين، الشيخ محمد صادق النجمي، ص ٣٢٨، ومعالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ج ٣/ص ١٢، والمناظرات في الإمامة: الشيخ عبد الله الحسن، ص ٤٦٠، والسقيفة أم الفتن: الدكتور الخليلي، ص ٧٧، وتفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، ج ١/ص ١٧٤، وتفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي، ص ١٣٠، ومعجم رجال الحديث: الإمام الخوئي، ج ٤/ص ١٨٦، ونهج الإيمان: ابن جبر، ص ١٤٤، وكشف اليقين: العلامة الحلي، ص ٢٠٨.

١- ميذ ميذ: (محمد المصطفى).

٢- ايليا: علي المرتضي عليه السلام.

٣- قيزور: الحسن المجتبي عليه السلام.

٤- أيريل: الحسين الشهيد عليه السلام.

٥- مشنور: زين العابدين عليه السلام.

٦- مسهور: محمد الباقر عليه السلام.

٧- مشموط: جعفر الصادق عليه السلام.

٨- ذومرا: موسى الكاظم عليه السلام.

٩- هذاذ: علي الرضا عليه السلام.

١٠- تيمورا: محمد التقي عليه السلام.

١١- نسطور: علي النقي عليه السلام.

١٢- نوقش: الحسن العسكري عليه السلام.

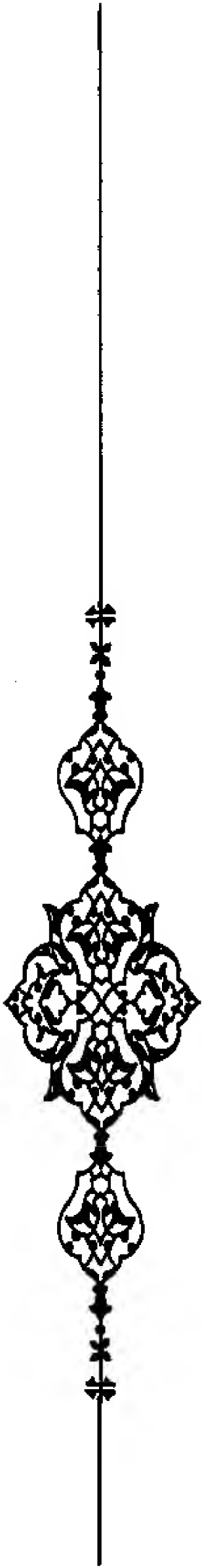
١٣- قديمونيا: محمد بن الحسن العسكري عليه السلام.

ومنهم الإمام أبو جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام إسمه الشريف في

الكتب السماوية، منها (الإنجيل)، و(التوراة): تيمورا.

الفصل الخامس

أجوبة الاستفتاءات
ورد الشبهات



اجوبة الاستفتاءات ورد الشبهات

هذه مجموعة من أجوبة الإمام (صلوات الله عليه) على استفتاءات شرعية تقدم بها بعض سائله، وقد ثبتت في كتب معتبرة، وموثقة.

* روي في (الكافي)، عن سهل بن زياد، بسنده إلى علي بن أسباط، أنه كتب إلى أبي جعفر الجواد عليه السلام في أمر بناته، وأنه لا يجد أحداً مثله.

فكتب إليه أبو جعفر: فهمت ما ذكرت من أمر بناتك وأنت لا تجد أحداً مثلك، فلا تنظر في ذلك رحمك الله، فإن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، وإلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»^(١).

* وجاء في رواية علي بن مهزيار، عن محمد بن الحسن الأشعري، أنه قال: كتب بعض بني عمي إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام ما تقول يا بن رسول الله في صبية زوجها عمها، فلما كبرت أبت التزويج؟

^(١) إيضاح الفوائد: ابن العلامة، ج ٣/ص ٢٣، والمجموع: محيي الدين النووي، ج ١٦/ص ١٨٢، وإعانة الطالبين: البكري الدمياطي، ج ٣/ص ٣٠٨، ونيل الأوطار: الشوكاني، ج ٦/ص ٢٦١، وفقه السنة: الشيخ سيد سابق، ج ٢/ص ١٤٥، وسنن الترمذي: الترمذي، ج ٢/ص ٢٧٤، والسنن الكبرى: البيهقي، ج ٧/ص ٨٢ والآحاد والمثاني: الضحاك، ج ٢/ص ٣٥١، وإرواء الغليل: محمد ناصر الألباني، ج ٦/ص ٢٦٦، وأحكام القرآن: الجصاص، ج ١/ص ٤٨٧.

فكتب بخطه: «لا تكره على ذلك والأمر أمرها»^(١).

* وجاء في (الكافي)، عن علي بن إبراهيم، بسنده إلى علي بن محمد بن سلمان النوفلي، أنه قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام أسأله عن أرض أوقفها جدي على المحتاجين من ولد فلان بن فلان، وهم كثير متفرقون في البلاد.

فأجاب عليه السلام: ذكرت الأرض التي أوقفها جدك على ولد فلان بن فلان وهي من حضر البلد الذي فيه الوقف وليس لك أن تتبع من كان غائباً^(٢).

وروي عنه بسنده إلى محمد بن سلمان، أنه قال: قلت لأبي جعفر الثاني: كيف صار الزوج إذا قذف امرأته كانت شهادته أربع شهادات بالله؟ وكيف لا يجوز ذلك لغيره؟ وإذا قذفها غير الزوج جلد الحد ولو كان ولده أو أخاه؟

فقال عليه السلام: قد سئل أبو جعفر الباقر عليه السلام عن هذا.

فقال: ألا ترى أنه إذا قذف الزوج امرأته. قيل له: كيف علمت أنها فاعلة؟

فإن قال: رأيت ذلك بعيني كانت شهادته أربع شهادات بالله. وذلك أنه

^(١) جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ج ٢٩/ص ١٧٠، ومستمسك العروة: السيد محسن الحكيم،

ج ١٤/ص ٤٣٧، والكافي: الشيخ الكليني، ج ٥/ص ٣٩٤، والاستبصار: الشيخ الطبرسي، ج ٣/ص ٢٣٩.

^(٢) إيضاح الفوائد: ابن العلامة، ج ٢/ص ٣٩٠، وجامع المقاصد: المحقق الكركسي، ج ٩/ص ٥٣،

ومسالك الأفهام: الشهيد الثاني، ج ٥/ص ٤٠٢، وتكملة العروة الوثقى: السيد اليزدي، ج ١/ص ٢١٦،

وجامع المدارك: السيد الخوانساري، ج ٤/ص ٢٤.

قد يجوز للرجل أن يدخل المدخل في الخلوة التي لا تصلح لغيره أن يدخلها ولا يشهدا والد ولا ولد في الليل والنهار بعيني.
وإذا قال: فإني لم أعاين. صار قاذفاً على حد غيره، وضرب الحد إلا أن يقيم عليها البينة.

وإن زعم غير الزوج إذا قذف وادّعى أنه رآه بعينه، قيل له: وكيف رأيت ذلك وما أدخلك ذلك المدخل الذي رأيت فيه هذا وحدك، وأنت متهم في دعواك، وإن كنت صادقاً فأنت في حد التهمة فلا بد من تأديك بالحد الذي أوجبه الله عليك.

ومضى يقول: وإنما صارت شهادة الزوج أربع شهادات بالله لمكان الشهداء الأربعة مكان كل شاهد يمين^(١).

* وفي (الكافي)، أيضاً بسنده عن علي بن مهزيار، قال: سألت عيسى بن جعفر بن عيسى أبا جعفر الثاني (الجواد) عليه السلام: إن امرأة أرضعت لي صبيّاً، فهل يحلّ أن أتزوج ابنة زوجها؟

فقال لي: ما أجود ما سألت، من ها هنا يؤتى أن يقول الناس حرمت عليه امرأته من قبل لبن الفحل، هذا لبن الفحل لا غيره.
فقلت له: إن الجارية ليست ابنة المرأة التي أرضعت لي، هي ابنة غيرها؟

فقال: لو كنّ عشرًا متفرقات، ما حلّ لك منهنّ شيء، وكنّ في وضع

(١) تنمّة الحقائق الناضرة: الشيخ حسين آل عصفور، ج ١/ص ٩٣.

بناتك^(١).

* وعن جعفر، روى الكليني بسنده عن إبراهيم بن شيبه، قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام أسأله عن إتمام الصلاة في الحرمين - أي المسجد الحرام والمسجد النبوي - .

فكتب إلي: كان رسول الله ﷺ يحب إكثار الصلاة في الحرمين، فأكثر فيهما وأتم^(٢).

* وعن ابن أبي نصر، قال: كتبت إلى أبي جعفر الجواد عليه السلام: الخمس أخرجته قبل المؤونة أم بعد المؤونة؟
فكتب: بعد المؤونة.

* وفي (التهذيب)، بسنده عن علي بن مهزيار، قال: أخبرني إسحاق ابن إبراهيم، أن موسى بن عبد الملك كتب إلى أبي جعفر عليه السلام يسأله عن رجل دفع إليه مالاً ليصرفه في بعض وجوه البر، فلم يمكنه صرف ذلك المال في الوجه الذي أمر به، وقد كان له عليه مال بقدر هذا المال.

فسأل: أيجوز لي أن أقبض مالي أم أردته عليه وأقتضيه؟

فكتب عليه السلام إليه: اقبض مالك مما في يدك^(٣).

^(١) الكافي: الشيخ الكليني، ج ٦/ص ٢٠٦.

^(٢) المصدر السابق: ج ٤/ص ٥٢٤.

^(٣) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي، ج ٦/ص ٢٨٤.

* عن (الكافي)، بسنده عن إسماعيل بن سهل، قال: كتبت إلى أبي جعفر (صلوات الله عليه): إني قد لزماني دين فادح.

فكتب: «أكثر من الاستغفار، ورطب لسانك بقراءة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾^(١)..^(٢).

* عن (بصائر الدرجات)، بسنده عن جعفر بن محمد الصوفي، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام، وقلت له: يا بن رسول الله، لم سمي النبي الأمي؟

قال الإمام: ما يقول الناس؟

قلت له: جعلت فداك، يزعمون إنما سمي النبي الأمي لأنه لم يكتب. فقال الإمام عليه السلام: كذبوا، عليهم لعنة الله، أتى يكون ذلك؟ والله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٣)، والله، لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنين وسبعين (أو قال بثلاثة وسبعين) لساناً، وإنما سمي الأمي لأنه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله تعالى في كتابه ﴿وَلَنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٤).

* في (الكافي)، و(التهذيب)، بسنديهما عن أبي علي بن راشد، قال:

^(١) القدر: ١.

^(٢) الكافي: الشيخ الكليني، ج ٥/ص ٣١٢.

^(٣) الجمعة: ٢.

^(٤) الأنعام: ٩٢.

قلت لأبي جعفر عليه السلام: إِنَّ مَوَالِيكَ قَدْ اخْتَلَفُوا (فِي الْعَقِيدَةِ) فَأَصْلِي خَلْفَهُمْ جَمِيعاً؟

فقال عليه السلام: لَا تَصِلْ إِلَّا خَلْفَ مَنْ تَثِقَ بِدِينِهِ وَأَمَانَتِهِ ^(١).

* وعن أبي علي بن راشد، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: مَا تَقُولُ فِي الْفَرَاءِ، أَيَّ شَيْءٍ يَصْلِي فِيهِ؟
قال: أَيُّ الْفَرَاءِ؟

قلت: الْفَنَكُ وَالسَّنَجَابُ وَالسَّمُورُ ^(٢).

قال: فَصِلْ فِي الْفَنَكِ وَالسَّنَجَابِ، فَأَمَّا السَّمُورُ فَلَا تَصِلْ فِيهِ.

قلت: فَالْتَّعَالَبُ يَصْلَى فِيهَا؟

قال: لَا، وَلَكِنْ تَلْبَسُ بَعْدَ الصَّلَاةِ.

قلت: أَصْلِي فِي الثَّوْبِ الَّذِي يَلِيهِ.

قال: لَا ^(٣).

* وفي (التَهْذِيبِ)، بِسَنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: كَتَبَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام يَسْأَلُهُ عَنْ رَجُلٍ فَجَرَ بِامْرَأَةٍ، ثُمَّ إِنَّهُ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ الْحَمْلِ، فَجَاءَتْ بِوَلَدٍ هُوَ أَشْبَهَ خَلْقَ اللَّهِ بِهِ؟

^(١) الكافي: الشيخ الكليني، ج ١/ص ١٠٤.

^(٢) الفَنَك: دَابَّةٌ تَعْتَبَرُ فُرُوتُهَا أَطْيَبَ أَنْوَاعِ الْفَرَاءِ. وَالسَّنَجَابُ: حَيَوَانٌ أَكْبَرُ مِنَ الْفَارَةِ شَعْرُهُ فِي غَايَةِ النُّعُومَةِ، وَيَتَّخِذُ مِنْ جُلْدِهِ الْفَرَاءَ. وَالسَّمُورُ: حَيَوَانٌ بَرِّي يَشْبَهُ ابْنَ عَرَسٍ وَأَكْبَرُ مِنْهُ، لَوْنُهُ أَحْمَرٌ، مِثْلُ مَاثِلٍ إِلَى السَّوَادِ، يَتَّخِذُ مِنْ جُلْدِهِ الْفَرَاءَ الثَّمِينَةَ.

^(٣) الاستبصار: الشيخ الطوسي، ج ١/ص ٣٨٤.

فكتب عليه السلام - بخطه وخاتمه - : «الولد لغية (يعني ابن زنا)، لا يورث»^(١).

* وفي (التهذيب)، بسنده عن محمد بن الحسن بن أبي خالد، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن رجل أوصى أن يُحج عنه، مبهماً (أي لم يذكر في وصيته أنه حج واجب أو مستحب). لأن الواجب يكون من أصل المال، والمستحب من الثلث.

قال الإمام: يحج عنه ما بقي من ثلثه شيء^(٢).

* وفي (التهذيب)، عن أبي عبد الله - محمد بن خالد - البرقي، قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام : أيجوز - جعلت فداك - الصلاة خلف من وقف على أهلك وجدك عليه السلام ؟

فأجاب: لا تصل وراءه^(٣).

والواقفية التي يقصد بها السائل هي الفرقة التي وقفت عند الإمام الكاظم عليه السلام، ولم تقر بإمامة الرضا عليه السلام.

* وفي (التهذيب)، عن عمران بن محمد، قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : جعلت فداك، إن لي ضيعة على خمسة عشر ميلاً (خمسة فراسخ) فربما خرجت إليها فأقيم فيها ثلاثة أيام أو خمسة أيام أو سبعة أيام،

^(١) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي، ج ٩/ص ٢٣٣.

^(٢) المصدر السابق: ج ٩/ص ٨٨٩.

^(٣) المصدر السابق: ج ٣/ص ٢٨.

فأتم الصلاة أم أقصر؟

فقال: قصر في الطريق، وأتم في الضيعة^(١).

رد الإمام الجواد عليه السلام على الشبهات:

في عصر بني أمية وبني العباس، كثرت الأحاديث الموضوعة والشبهات، فكان وعظ السلاطين يفترون الأحاديث وينسبونها إلى أشخاص يفتقرون إلى المناقب، كي يعارضوا بها الأحاديث الصحيحة التي جاءت عن رسول الله محمد ﷺ في حق أهل البيت عليه السلام، وقد تصدى الإمام لهؤلاء الوضاعة وإلى سراق الحكم بأدلة قرآنية دامغة.

وفيما يلي نستعرض جملة من تلك الأحاديث الكاذبة:

* جاء في (الاحتجاج) للشيخ أبي منصور الطبرسي من علماء القرن السادس: إن المأمون بعدما زوج ابنته أم الفضل أبا جعفر، كان في مجلس وعنده أبو جعفر عليه السلام، ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة.

فقال له يحيى بن أكثم: ما تقول يا بن رسول الله في الخبر الذي روي أنه نزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله ﷺ، وقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام، ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عني راضٍ فإنني عنه راضٍ^(٢).

^(١) تهذيب الشيخ الطوسي، ج ٣/ص ٤١٠.

^(٢) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ج ٢/ص ١٠٦.

فقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثل الخبر الذي قاله رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر بعدي، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به»^(١)، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْا بِهِ نَفْسَهُ ط وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿١﴾ فالله عز وجل خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره! هذا مستحيل في العقول.

* ثم قال يحيى بن أكثم، وقد روي: «إن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرائيل وميكائيل في السماء»^(٢).

فقال: «وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه، لأن جبرائيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عز وجل، وإن أسلما بعد الشرك فكان أكثر أيامهما الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بها».

* وقال يحيى، وقد روي أيضاً «أنهما سيدا كهول أهل الجنة»^(٣)، وهذا الحديث من موضوعات يحيى بن عنبسة، كما قال الحجة الشيخ

(١) الكافي: الشيخ الكليني، ج ١/ص ٦٢.

(٢) الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج ٢/ص ٢٤٦، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٥٠/ص ٨٠.

وموسوعة الإمام الجواد: السيد الحسيني القزويني، ج ٢/ص ٤٠٣.

(٣) شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي، ج ٢/ص ٢٤٨، والاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج ٢/ص ٢٤٦.

الأميني ثلث، وهو وضاع ودجال كما قال الذهبي في (ميزان الاعتدال: ج ٣/ص ١٢٦).

فقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: وهذا الخبر محال أيضاً، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شباباً ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قاله رسول الله ﷺ في الحسن والحسين عليهما بأنهما «سيدا شباب أهل الجنة»^(١)، وكما هو معلوم فإن بني أمية - وبالذات معاوية بن أبي سفيان - وضعوا الأحاديث عن لسان النبي ﷺ كي يعارضوا بها الأحاديث الصحيحة التي جاءت عن رسول الله ﷺ في أهل البيت عليه السلام.

قال أحمد أمين في (فجر الإسلام) نقلاً عن ابن عرفة: إن بني أمية وضعت الأحاديث في مدح الصحابة كي يرغموا بها أنوف بني هاشم، وهي لم تصح، وضعيفة السند وموضوعة.

يقول إسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري: «لم يرد في حق أحد من الصحابة من الأسانيد الحسان أكثر مما جاء في علي»^(٢).

وقال إمام الحنابلة أحمد بن حنبل: «ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء

^(١) الخلاف: الشيخ الطوسي، ج ٤/ص ٧، وسبل السلام: ابن حجر العسقلاني، ج ٤/ص ١٢٥، وفقه السنة: الشيخ سيد سابق: ج ٣/ص ٤١٧، وفضائل الصحابة: الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٠، ومسنند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣/ص ٣، وسنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، ج ١/ص ٤٤، وسنن الترمذي: الترمذي، ج ٥/ص ٣٢١، وشرح مسلم: النووي، ج ١٦/ص ٤١، وسؤالات حمزة: الدارقطني، ص ٢١٦.

^(٢) الصواعق المحرقة: ص ٧٢.

لعلي»^(١).

وقال ابن حجر في (الصواعق: ص ٧٢): وقد كثر الوضع في زمن معاوية فجعل مقابل كل حديث للرسول الأعظم محمد ﷺ في حق أهل البيت حديثاً للصحابة.

وهكذا جعل حديث «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»^(٢)، مقابل حديث الرسول الأعظم ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الفرق، وأهل بيتي أمان لأمتي»^(٣).

ورواه الكثير من المحدثين ومنهم المتقي الهندي في (كنز العمال: ج ٦)، و(الصواعق المحرقة لابن حجر)، و(مستدرك الصحيحين) للحاكم النيسابوري.

وأما حديث «أصحابي كالنجوم» فضعفه القاضي عياض في (شرح الشفاء: ج ٢/ص ٩١).

ونقل ابن عدي في (الكامل)، عن عبد الله بن عمر أنه ضعيف. وضعفه البيهقي في (السنن)، كما في سند حديث الحارث بن غصين،

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٠/ص ١٢٤، والمناقب: الموفق الخوارزمي، ص ٣٤.

(٢) حصر الاجتهاد: آقا بزرك الطهراني، ص ٨٤ وشرح الأزهار: الإمام أحمد المرتضى، ج ١/ص ٦، والمبسوط: السرخسي، ج ١٦/ص ٨٣.

(٣) الهداية: الشيخ الصدوق، ص ٣٦، وعلل الشرايع: الشيخ الصدوق، ج ١/ص ١٢٣، والجامع الصغير: جلال الدين السيوطي، ج ٢/ص ٦٨٠، وكنز العمال: المتقي الهندي، ج ١٢/ص ١٠١، وفيض القدير: شرح الجامع الصغير: المناوي، ج ٦/ص ٣٨٦، وكشف الخفاء: المعجلوني، ج ٢/ص ١٣٥.

وهو مجهول كما جاء في (لسان الميزان)، و(تهذيب التهذيب)، في ترجمته، وفي سنده حمزة بن أبي حمزة النصيري وهو متهم بالكذب.

وكذلك بجعل الأحاديث، ذكره صاحب كتاب (لسان الميزان) للذهبي، و(تهذيب التهذيب).

ورد الحديث ابن حزم الأندلسي، والشيء بالشيء يذكر أن الشيخ الجليل بهاء الملة والدين تباحث مع بعض علماء الجمهور، فقال ذلك الرجل للشيخ: بأي شيء جؤزتم قتل عثمان وسبه مع أنه من أجلاء الصحابة؟

وقال عليه السلام: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»^(١).

فقال: جؤزناء لهذا الحديث، لأن قتله كان من الصحابة بالاتفاق، فهم قتلوه ونحن اقتدينا بهم في جواز ما فعلوا، فكأنما أقم حجراً^(٢).

* وأيضاً فإن معاوية وضع حديث العشرة المبشرة، مقابل بشارة النبي محمد ﷺ لعلي، وسلمان، والمقداد، وأبي ذر، والحسن، والحسين، بالجنة.

وقد أثبتنا الحديث في كتاب (قبس من نور فاطمة عليها السلام)، والجدير بالذكر أن البخاري، ومسلم لم يخرجوا الحديث، ولم يشتهوا في فضائل

^(١) حصر الاجتهاد: آقا بزرك الطهراني، ص ٨٤ وشرح الأزهاري: الإمام أحمد المرتضى، ج ١/ص ٦١،

والمبسوط: السرخسي، ج ١٦/ص ٨٣

^(٢) زهر الربيع: ص ٤١٨.

الصحابة، وهو أحد الأدلة التي اعتمدناها في ردّ حديث (العشرة المبشرة).

ومن جانب فإن معاوية وشكته وضعوا أحاديثَ تنتقص من رسول الله ﷺ في سبيل إعلاء مكانة الثلاثة، وكما هو معلوم، فإن معاوية هو أول من استعمل «الغاية تسوغ الوسيلة» بكل ما أوتي من قوة وحيلة.

* وجاء في (صحيح البخاري): عن عائشة، أن أبا بكر دخل عليها والنبي عندها يوم فطر أو أضحى، وعندها قيتان تغنيان - والقينة: الأمة غنت أم لم تغن - بما تقاذفت به الأنصار يوم بُعث. فقال أبو بكر: مزمار الشيطان؟ مرتين.

فقال النبي ﷺ: دعهما يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وإن عيدنا هذا اليوم^(١).

وجاء في (مسند الإمام أحمد: ج ٥/ص ٣٥٣)، و(سنن الترمذي: ج ٥/باب مناقب عمر)، عن بريدة، قال:

خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله، إني كنت نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى.

فقال لها رسول الله ﷺ: إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا.

فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر، وهي تضرب، ثم دخل علي وهي

^(١) صحيح البخاري: البخاري، ج ٤/ص ٢٦٦، المعجم الكبير: الطبراني، ج ٢٣/ص ١٨١، وأما الحافظ الأصبهاني، أبو نعيم الأصبهاني، ص ٥٧، ومسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج ٨/ص ٩٩.

تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر، فألقت الدف تحت استها، ثم قعدت عليه.

فقال رسول الله ﷺ: إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالساً وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف^(١).

كبرت كلمة تخرج من أفواههم، وحفنة من التراب في أفواههم، يا لها من جرأة قاسية، وإهانة وقحة لنبي الإسلام من قبل أناس لا يرون إلا مصالحهم، ومصالح السلطان، ولا يهتمهم إلا رغباتهم الذاتية حتى ولو على حساب كل القيم والمثل الإسلامية والإنسانية..

ألا يوحى هذا الحديث أن الشيطان يخاف من عمر، ولا يخاف من النبي؟! وأن عمرَ كان أتقى وأشدَّ إيماناً من النبي ﷺ بعزوفه عن اللهو وإتيان النبي ﷺ إياه وأن الشيطان استخفَّ برسول الله ﷺ وكبار صحابته وخلفائه، إلا عمر فهو يراعي جانبه؟!!

وأما الحديث الذي أنكر فيه أبو بكر مزار الشيطان في بيت النبي الأكرم ﷺ، فهو يدل على أن أبا بكر أتقى من النبي ﷺ وأكثر تورعاً وإيماناً.

^(١) نيل الأوطار: الشوكاني، ج ٨/ص ٢٧١، وسنن الترمذي: الترمذي، ج ٥/ص ٢٨٤، وفتح الباري: ابن حجر، ج ١١/ص ٥١٠، وإرواء الغليل: محمد ناصر الألباني، ج ٨/ص ٢١٤، وتاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٤٤/ص ٨٤، وأسد الغابة: ابن الأثير، ج ٤/ص ٦٤.

ولو تأملنا الصحيحين البخاري ومسلم، لرأينا أن النبي ﷺ - والعباد بالله - قد قارف الكثير من الخطايا، فهو يبول واقفاً من غير احتشام، ويحث على الرقص، ويدعو إلى التبرج، ويتساهل في شرب النبيذ، ويدعو إلى عبادة الأصنام كما في قصة الغرائيق، ويغرق في حب الأعراس، و...

وإذا أردت التأكد فراجع (صحيح البخاري)، و(الترمذي)، وغيرها من كتب الصحاح عند أهل العامة.

وقد ذكرت طرفاً من هذه الأحاديث والروايات في كتاب (قيس من نور فاطمة ﷺ)، ومن الأحاديث المنقولة عن النبي التي يدعو فيها إلى التبرج وهو موجود في (صحيح البخاري: ج ٥، باب مناقب عمر بن الخطاب)، وأنا أذكر هذا الحديث للاطلاع والتأكد.

* عن ابن شهاب، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر بن الخطاب والنبي ﷺ يضحك.

فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله.

فقال النبي ﷺ: عجبت من هؤلاء اللواتي كنّ عندي، فلما سمعن

صوتك ابتدرن الحجاب.

فقال عمر: فأنت أحق أن يهين يا رسول الله.

ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهينني ولا تهين رسول الله ﷺ؟

فقلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: إيه يا بن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك^(١).

ويظهر من هذه الأحاديث الكاذبة التي وضعها وُعَّاظ السلاطين، وأصحاب المصالح، أنهم بهذه الأقوال الكاذبة أرادوا أن يملؤوا الفراغ الشاسع الذي مني به الحكام الضالون، ولذلك فقد تجرَّؤوا على رسول الله محمد ﷺ، وأهل بيته (صلوات الله عليهم)، ومَسَّوا حياءهم وطعنوا في غيرتهم، وحاشاهم من ذلك.

ولكن تناسى هؤلاء أن أصحاب العقول والضمائر الحرة لا تنطلي عليها هذه الأكاذيب التي تعرِّي مَنْ وضعها مِنْ أمثال معاوية، وعمرو بن العاص، وغيرهم، ممن باعوا شرفهم وغيرتهم لدنيا دنية وأيام معدودة، بدافع شيطاني وأهواء نفسية وقلوب ملأتها المعاصي والموبقات.

ومع مرور الزمان، وسقوط الأنظمة الفاسدة، ظهرت الحقيقة، وانكشفت الأكاذيب، وتعرَّى الوُضَاع وسُرَّاق الحكم، وقد شاءت العناية الإلهية أن يتعرَّى هؤلاء ليس فقط لأن الأنبياء تحوطهم العناية الإلهية وتشملهم الرعاية الربانية، بقوله تبارك وتعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، بل لأن حبل الكذب قصير، والشمس لا تحجبها الغيوم إلى الأبد.

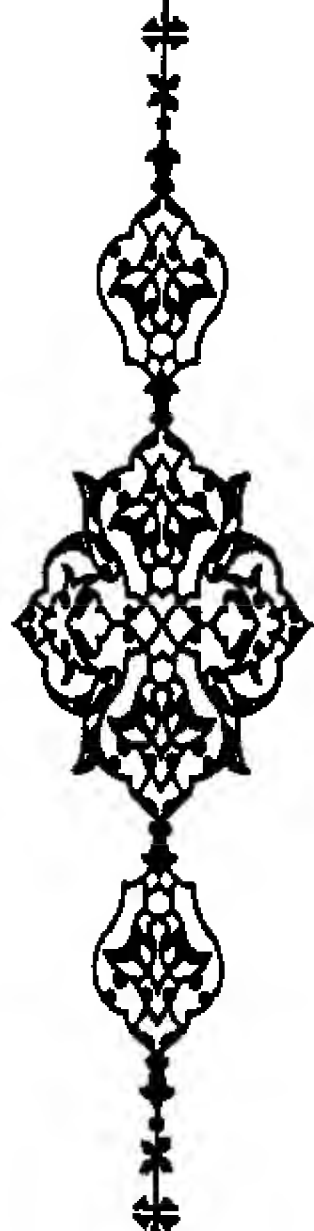
^(١) صحيح البخاري: البخاري، ج ٥/ص ١٤.

الفصل السادس

شذرات

من حكم الإمام الجواد

عليه السلام



شذرات من حكم الإمام الجواد عليه السلام

* قال له رجل: أوصني يا بن رسول الله.

قال: أو تقبل؟

قال: نعم.

قال: «توسّد الصبر، واعتنق الفقر، وارفض الشهوات، وخالف الهوى، واعلم بأنك لن تخلو من عين الله، فانظر كيف تكون»^(١).

يبدو أنّ الإمام يخاطب غنياً متلهّفاً، فأوصاه بالصبر، لأن الغني يسعى دائماً للكثرة، والكثرة تقتل القناعة.

وهكذا كلما يكثر تضيق عنده دائرة القناعة فيقلّ صبره، وهذه هي إحدى سيئات الغنى، لذا فإنّ الإمام يوصيه بالصبر حتى تبقى القناعة، وبوجودها يصبح الإنسان أغنى الناس وليس بالثروة والمال.

فكم من غني فقير، وكم من فقير غني لقناعته.

^(١) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص ٤٥٥، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٧٥/ص ٣٥٨، ونهج السعادة: الشيخ المحمودي، ج ٧/ص ٢٩٢، وموسوعة الإمام الجواد: السيد الحسيني القزويني، ج ٢/ص ٣٤٦.

ويقول له الإمام: «واعتنق الفقر» كن قريباً منه، لذلك فإن من يفكر في الفقر ونقصه بتغير الحال في يوم من الأيام فإنه لا يتكبر ولا يتجبر ولا ينظر في عطفه.

ويقول الإمام: «وارفض الشهوات» فإن الشهوات تذل الإنسان وتصيره عبداً ذليلاً لها، وكم من سيد أذلته الشهوات، ومن فقير صابر أعزته المكرمات وجعلته سيداً كبيراً.

ويقول الإمام: «واعلم بأنك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون» فالإنسان إذا وضع الباري عز وجل نصب عينيه لا يعصي الله، وحتى لو أراد أن يعصي فلا يقدم على الكبائر.

* قال الإمام الجواد عليه السلام: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس»^(١).

ما أروع هذه الكلمة، إن الإمام عليه السلام يحمل الناطق مسؤولية ضخمة، فإذا نطق فهو المسؤول عن كل ما قال، ويجري هذا في الخطيب والفقير والكاتب والشاعر وغيرهم.

وتعاضد المسؤولية كلما ارتقى الإنسان سلم الإدارة، لأن كلام المسؤول الأول يختلف عن بقية المسؤولين، نتيجة وآثاراً، فهو الذي يتحمل وزر كلامه كما أنه يثاب على الآثار التي تمتد آلاف السنين.

^(١) الكافي: الشيخ الكليني، ج ٦/ص ٤٣٤.

قال رسول الله ﷺ: «من سنَّ سنة حسنة فله أجر من عمل بها إلى يوم القيامة»^(١).

* وقال الإمام الجواد عليه السلام: «تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب أمن من مكر الله، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون».

بعض الناس عندما يقترب الذنب يؤجل التوبة، ويقول: طالما باب التوبة مفتوح فلا بأس ونحن في فسحة، وإن شاء الله بعد الذنب الآتي نتب، وهكذا يستمر على الخطأ.

أولاً: إن نفس التسويف ذنب، فهو جرأة على الله عز وجل، فإذا كان التسويف أمام مدير دائرة قبيحاً ومنكراً، فكيف إذا كان أمام الله عز وجل؟
ثانياً: وهل يترك الشيطان الإنسان حتى يتوب، وهو الذي يجزّ الإنسان من ذنب إلى ذنب أكبر، ويستمر الشيطان في مكره وحيله حتى يوقع الإنسان في ذنب فادح يؤسسه من التوبة.

ثالثاً: وهل يضمن الإنسان البقاء حتى يتوب؟ وكم من مذنّب أراد التوبة فعاجله الموت واختطفته يد المنية.

رابعاً: الإنسان الذي يتعوّد الذنب لا يتوب بسهولة، لأنه يرى التوبة كالجبال، وهذا ما حدث لعمر بن سعد، حيث رأى التوبة ثقيلة، فأخذ

(١) المصدر السابق: ج ٥/ص ٩.

يسوف، فقال في بعض كلامه:

يقولون إن الله خالق جنة ونار وتعذيب وغلّ يدين
فإن صدقوا فيما يقولون إنني أتوب إلى الرحمن من ستين
وإن كذبوا فزنا بدنياً عظيمة وملك عقيم دائم الحجلين

وهكذا سوف ابن سعد لأنه تعود على الذنب، وهناك قاعدة تقول
الإنسان الذي استمرء المعاصي يتلاشى عنده وخز الضمير.

وهذا ما يؤدي به إلى ارتكاب أفظع الجرائم، وهكذا هو عمر بن سعد،
وشمر بن ذي الجوشن، وعبيد الله بن زياد، فإنهم تعودوا على المعاصي،
فانتهى عندهم وخز الضمير، فارتكبوا أعظم الجرائم.

* وقال الإمام الجواد عليه السلام: «المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيق
من الله، وواعظ من نفسه، وقبول من ينصحه»^(١).

بعض الناس لا يتقي الله عز وجل، ولا يجعله نصب عينيه، وكأن تقوى
الله عز وجل تحطّ من منزلته وتضع من شأنه، فهو لا يريد التقوى بسبب
هذه النظرة السيئة، بينما الاتكال على الله عز وجل والنظر إليه هو تمام القوة
والعزة والكرامة، فهو خالق الكون وجبار السماوات والأرض، فالإنسان -
وبالذات المؤمن - يحتاج إلى توفيق من الله عز وجل، لأن الإنسان ضعيف
فيحتاج إلى القوي الذي يرشده إلى الخير الكامل، الذي يمنحه الله عز
وجل لعبده المؤمن، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٢).

^(١) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص ٤٥٧.

^(٢) الزمر: ٣٦.

والمؤمن يحتاج إلى واعظ من نفسه، وهي أعظم منحة لأن النفس أمارة بالسوء.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَعَا رَبِّي﴾^(١). فالنفس تأمر بالسوء، وتلهم الخير.

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٢).

ولكن متى تلهم النفس الخير وتجعله دفاقاً؟ ذلك عندما ينهض الإنسان بالأعمال الصالحة والطيبة.

وقد تكون البداية صعبة، وهذه الحالة تجري على كافة الأعمال، وليس فقط أعمال الآخرة ولكن تتلاشى الصعوبة عندما يثبت الإنسان ويستقيم.

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٣).

وهكذا فكلما مضى الإنسان قدماً اضمحلت الصعوبة، وعندما تصبح النفس أمارة بالخير وواعظة للإنسان أو تدعوه إلى قبول من ينصحه.

والبعض يرى النصيحة ثقيلة وصعبة، ولكن لا يرى غضاضة في خطأ

(١) يوسف: ٥٣.

(٢) الشمس: ٧-١٠.

(٣) إبراهيم: ٢٧.

حتى لو كان فظيماً.

ويحسب أنَّ النصيحة طعنة في شخصيته، وثلمة في كيانه، فهو يرى نفسه فوق النصيحة وفوق الناصح، وهذا هو الخطأ القاتل.

وعندما يقع في الخطأ القاتل، يبدأ في الطعن، أين الشرفاء، وأين أصحاب الضمائر ولا ضمير حي، وأين أهل النصح ولا ناصح.

حدثتني إحدى الأمهات وقالت: نصحت بعض الأخوات، ولكن ليتني لم أنصح، ولم أتفوه بكلمة، فبمجرد ما نصحت «قامت القيامة» وتزلزلت الأرض تحت أقدامها.

فقالت المرأة الناصحة: والله ما قلت إلا الحق وما أردت إلا النصيحة.

فردت الأخت: وكيف تجرئين على هذا الكلام، وتقولين ما أردت إلا النصيحة، وهل نحن فينا شيء حتى تنصحي، أو تعلمين من نحن؟ وهكذا أخذت تعلو بنفسها وبناتها.

وكانهن معصومات، وكان المحافظ الفلانية تعصم الشخص بمجرد وجوده فيها.

إنَّ أكثر الأخطاء الفادحة التي تقتل الإنسان وتوقعه في خطأ كبير يكمن في تجبره واستعلائه، لأن التكبر لا يشرح صدر الإنسان لسمع كلام الآخرين، وهكذا فهو يرى كل تصرفاته سليمة وصحيحة، حتى لو كانت سقيمة.

فالإنسان يعتدّ برأيه، ويراه في أحيان كثيرة الأول والأخير، حتى لو

عارض رأي الباري عز وجل.

جاءني بعض الضعفاء، وقال: يا شيخ أريد الطلاق.

فقلت: لم؟

قال: أريد الطلاق، وليس عليك أن تعرف السبب.

قلت: لا بد من معرفة السبب حتى أطلق.

وأخذ يستعرض الأسباب فوجدتها واهية وهزيلة، فقلت: الطلاق له

أسباب ودواع، فاستعرضت له الأسباب الشرعية.

فقال: لا أقبل!

فنصحته ببعض الملاحظات، فوجدته مصراً.

فقلت: بيني وبينك كلام الله.

قال: لا أقبل.

قلت: سبحان الله! لا تقبل بكلام الله.

قال: لا أقبل.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ

جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمُهَادُ﴾^(١).

* وقال الإمام الجواد عليه السلام: «إن لله عبداً يخصصهم بالنعم، ويقرها فيهم ما

بذلوها، فإذا منعوها نزعها عنهم، وحولها إلى غيرهم»^(٢).

إن الله عز وجل يمتحن العبد بالنعم، ويخصص البعض منهم بنعم كثيرة

^(١) البقرة: ٢٠٦.

^(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٧٥/ص ٧٩، وكشف الغمة: ج ٣/ص ١٣٨.

ليرى كيف يعملون، فهو يمتحن عباده بالمال والجاه والعلم والأولاد وما أشبه.

فإذا خصَّ الإنسان بالمال فهو امتحان له، فإن هو أدَّى حقَّه بحيث صيَّره إلى قناة تساهم في رفع الحاجة، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يزيده مالاً ورشداً، فيكون ثوابه ضعفين، ثواب الإنفاق، وثواب الصبر على الإنفاق.

لأنَّ الإنفاق يحتاج إلى نفس كبيرة وصبر عظيم، وهكذا الجاه والعلم، فالعلم، في نظري - أخطر من المال بكثير، فإذا حوَّله الإنسان إلى رافد يخدم المجتمع ويصبُّ في منفعته، فنعم العلم.

وأما إذا صيَّره إلى جسر ليعبر، ويقضي مآربه الشخصية فيفسد العلم لأنه يفسد العقل، وفساد العقل أشدَّ وطئاً من فساد المال والاقتصاد، في الحديث «إذا فسد العالم فسد العالم، وإذا صلَّح العالم صلَّح العالم».

فعليه، فإنَّ الباري عزَّ وجلَّ إذا أنعم على الإنسان نعمة فأدَّى حقها بحيث وضعها في المكان المناسب، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يزيده.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوبُكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ^(١)﴾.

* وقال الإمام الجواد (ع): «فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء، والخلق أشكال، فكل يعمل على شاكلته»^(٢).

يقول الشاعر:

^(١) إبراهيم: ٧.

^(٢) موسوعة الإمام الجواد: السيد الحسيني القزويني، ج ٢/ص ٣٥٢، وميزان الحكمة: محمدي الريشهري، ج ٢/ص ١٥٨٢.

لا تربط الجرباءَ حولَ صحيحةٍ خوفاً على تلك الصحيحة تجربُ
وكما تفسد الفاكهة الصحيحة بجانب الفاسدة، فكذلك الأخلاق إذا
عاشرت السفهاء، ولكن إذا كانت الأخلاق عالية وسامية لا تفسد بل تصلح.
كما هي أخلاق الأنبياء والأئمة عليهم السلام فإن أخلاقهم غيّرت الكثير من
النفوس الجافة، واجشّت منهم الأخلاق السيئة والبديثة، وهكذا غيّرت
أخلاق النبي محمد ﷺ أخلاق الناس، فجعلتهم في القمة بعد أن كانوا في
الحضيض.

أما كيف؟ فلأن أخلاق الرسول الأعظم ﷺ كانت عالية وعظيمة. قال
تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، إذ كان النبي صلوات الله عليه وآله
يطبق الأخلاق على نفسه ثم يطلبها من الآخرين.

فالنبي ﷺ كان لا ينهى عن شيء إلا إذا انتهى عنه أولاً، ولا يأمر
بشيء إلا وعمل بذلك الشيء، كبر ذلك الشيء أم صغراً، وهذا الخلق العالي
أسوة لنا نحن المسلمين.

فإذا أردنا أن نوجه الناس ونعطي الصورة الطبيعية عن الإسلام فينبغي
أن نتخلق أولاً، ثم نبدأ بالتوجيه.

ينبغي أن نتصف بالصدق والصراحة، ثم نأمر الناس بذلك، لا أن
نتصف بالكذب والختل والمراوغة، ونطلب من الناس الصدق والصراحة.

(١) القلم: ٤.

مشكلة البعض أنه ماهر في استعمال العبارات التي تخص الصفات الطيبة، ولكنه سيء في واقعه العملي بحيث تشمئز منه تماماً، فعلى سبيل المثال عندما يريد أن يبيع بضاعة، يصفها بصفات لا مثيل لها، ويصف كيف أن المسلم ينبغي له أن يصدق، ويعدل وينصف، كل ذلك حتى يغطي على عيوب البضاعة.

وعندما تشتري منه وينكشف الزيف والادعاء، وتواجهه بالحقيقة يقول: عجيب هؤلاء الناس كيف يزيّفون ويحرّفون، ويتهمون ويسقطون.

هؤلاء النفر إنما «يضحكون على ذقونهم»، متناسين أن جبل الكذب قصير والكذاب ينكشف عاجلاً أو آجلاً.

ماذا لو يصدق الإنسان ويقول: هذه البضاعة أو هذا البيت هذه عيوبه إن شئت فاشتر وإن شئت فانصرف، والخيار لك.

إن الصراحة والصدق يعطيان اعتباراً لصاحبهما فحتى لو باع البضاعة بثمان غال، فإن المشتري يقبلها لصدقه، بل ويرتاح في شرائها لأنه عرف مسبقاً عيوبها، وكان مخيراً في شرائها. ثم يمدح البائع في مجالسه، فيقول: عليكم بفلان، فإنه صادق. والناس تحب الصادقين، وتنهال عليهم وتشتري منهم حتى لو كانت بضاعتهم غالية.

* قال الإمام الجواد عليه السلام: «استصلاح الأخيار بإكرامهم، والأشرار بتأديبهم»^(١).

^(١) موسوعة الإمام الجواد: السيد الحسيني القزويني، ج ٢/ص ٣٣٩، وميزان الحكمة: محمد الريشهري، ج ١/ص ٥٧.

هذه الحكمة تعدّ من الأساليب التربوية الرائعة، فهناك فرق بين الخير والشرير لأنّ الخير إذا أخطأ، فهو لا يقصد الخطأ ولا يتعمّده، فحالات الضعف تعري الإنسان، وكل إنسان معرض للخطأ والنسيان، فإذا صدر من الخير الخطأ، فينبغي استصلاحه عن طريق إكرامه.

فعلى سبيل المثال لو حصلت مشادة بينه وبين بعض الناس، فنقول أنت الوجه الناصع وصاحب الصورة الطيبة، فأنت فوق هذا المستوى ونحن نقندي بك.

ومن صور التكريم.

إذا وقع في أزمة ماديّة فينبغي الإسراع في انتشاله وإنقاذه منها، لأنّ الخير لا يطيق ذلك، فهو يحمل حساً مرهفاً إزاء الأزمات وبالذات المادية والاجتماعية.

إن أسلوب التكريم هو الأمثل للأخيار، قال رسول الله ﷺ : «ارحموا عزيزاً ذل، وغنياً افتقر، وعالماً ضاع في زمان جهال»^(١).

فالعزیز لا ينبغي أن يرسف في الذل، لأنه يعرف معنى الذل، وكيف أنه يكبل الإنسان ويحطم شخصيته.

وأما الأشرار فاستصلاحهم يتمّ بتأديبهم، والتأديب ليس باستعمال الكلمات القاسية والجارحة، وإنما باجتناّبهم والابتعاد عنهم، هذا إذا لم يصلحهم الترشيّد والتوجيه والموعظة الحسنة.

^(١) قرب الإسناد: الحميري القمي، ص ٦٦، والكافي: الشيخ الكليني، ج ٨/ص ١٥٠.

فقصد الإمام عليه السلام إنما إذا لم ينفع فيهم الكلام الطيب والتوجيه المتعقل، فينبغي حينئذ تركهم والابتعاد عنهم، لأن الابتعاد يذكر الشرير ويبعث فيه الإحساس بما يفعل بالضبط مثل المتكبر.

فالمتكبر لا يحسن بخطأ إلا إذا وجد نفسه وحيداً ومعزولاً.

ثم إن كل شيء إذا فسد يمكن إصلاحه، وقد يتعسر بعض الوقت، فالأزمة المادية ممكن علاجها وكذلك الثقافية وغيرها، ولكن إذا فسدت الأخلاق فمن الصعوبة بمكان إصلاحها.

قال الشاعر:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فاقم عليهم مأتماً وعويلاً

وإنما تفسد الأخلاق إذا لازم الإنسان السفهاء، وكان معهم فترة، وبالذات الشباب التائه، فهم أسرع تأثراً وانجذاباً، فالقرين إذا كان لاعباً محترفاً أو ممثلاً متميزاً أو صاحب مهارة عالية وأخلاقه فاسدة فإن أخلاقه تهيم وفق قانون الانجذاب نحو الأقوى وتسيطر على أصدقائه، وهكذا تفسد وتتحرف الأخلاق.

فعليه، فإذا اقترن الشاب بأحد هؤلاء فينبغي تحذيره ولكن بأسلوب لين ومتعقل يحفظ له كرامته، فنقول للشاب: أن هذا الإنسان صحيح يمتاز بالمهارة - وهي جيدة - ولكن - ومع الأسف - فإنه لا يستطيع أن يجعل من مهارته سبيلاً إلى نفع الآخرين، فكان ينبغي حتى تسمو مهارته أن يستغلها لصالح المجتمع.

إنّ هذا الأسلوب يعدّ الأسلم في تليين جانب الشاب.

* وقال الإمام الجواد عليه السلام: «ولا يزال العقل والحمق يتغالبان على الرجل إلى ثماني عشرة سنة، فإذا بلغها غلب عليه أكثرهما فيه».

إنّ القوة العقلية والقوة الشهوية تنبعان في الإنسان منذ الصغر، وكلا القوتين تنموان بتقدم الإنسان.

ولكن تبقى ملاحظة مهمة وهي أنّ كلا القوتين مرهونتان بالظروف، فإذا سادت الظروف الطيبة، وسيطر المناخ الإيماني، فإنّ القوى العقلية تشتد في الإنسان.

أما إذا سيطرت الأجواء الموبوءة، وبالذات في البيت، فإنّ القوى الشهوية تتجذّر، وبالتالي تضعف القوى العقلية.

والإمام عليه السلام يشير إلى نقطة مهمة في مجال التربية النفسية، فإذا كانت الأجواء في البداية مشبعة بالإيمان والخلق، فإنها تساهم بشكل كبير في نمو وتجذّر القوى العقلية في الإنسان، وإذا استمرت هذه الأجواء وبلغ الإنسان الثامنة عشرة من عمره، فإنّ القوى العقلية ترجح وتصبح لدى الإنسان قوى عقلية ناضجة. وهذا ما أكّده علماء النفس الاجتماعي والتربوي.

فعليه، فينبغي للآباء والأمهات الاهتمام بأولادهم منذ الصغر، لأنّ هذه المرحلة تشكّل حجر الزاوية في حياة الإنسان.

فأيّ تعامل مع الطفل له انعكاسات مهمة وآثار كبيرة، فإذا علّمناه الصدق في الصغر يكون صادقاً في الكبر، وأشدّ التزاماً من الآخرين،

وكذلك إذا علمناه الاحترام فكل ما نلقي في الطفل يعكسه على الآخرين. فحتى إذا لم يعكسه في الصغر فإنه يختزنه في العقل الباطن كما هو مذكور في كتاب (خوارق اللاشعور) للدكتور علي الوردي، ثم يجتره في الكبر.

من هنا فإذا كان الطفل ذكياً فإنه يعكس السلوك أو ما يُملَى عليه، ويحاول - كما يقول علماء النفس - تجسيد سلوك الأبوين بأحسن ما يكون، فالطفل يحب المدح والإطراء، فهو من خلال تقليده يحاول جلب الانتباه والمحبة، وبالذات إذا كان هناك أخ جميل ينافسه في المحبة، فهو يحاول بكل ما أوتي من قوة تجسيد وتمثيل أدوار الأب وكل من يهيمن على البيت.

* قال الإمام الجواد عليه السلام: «ثلاث خصال تُجلب بهن المحبة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواع والرجوع على قلب سليم»^(١).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: «يا بني، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها»^(٢).

وهكذا يوصي الإمام بالإنصاف، والإنصاف أن تحب لغيرك ما تحب لنفسك، وتكره لنفسك ما تكره له، وأما الأثرة أو حب الذات الذي هو

^(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٧٥/ص ٨٢، وموسوعة الإمام الجواد: السيد الحسيني القزويني،

ج ٢/ص ٣٦٢، وميزان الحكمة: محمدي الریشهري، ج ١/ص ٤٩٦.

^(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج ٣/ص ٤٥، والمحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي،

ج ٢/ص ٥٩٥.

خلاف الإنصاف هو أن يحب كل شيء لنفسه، ويبغض الجميل للآخرين، والبعض يحب نفسه بحيث لا يرى وجوداً للآخرين إطلاقاً.

وهكذا ينطلق في شعوره وسلوكه وتعامله من هذه النفس المريضة، فمن الطبيعي أن يصبح سلوكه شاذاً وتعامله مغايراً، ولكن لنعلم أن من يؤثر نفسه ويسحق الآخرين حتى لو انتهت إلى الجحيم، فإنه ينتهي لا محال قبل أن ينتهي الآخرون.

أما كيف؟ فلأنه حتى يشبع نفسه ويرضيها يسلك جميع الطرق بما فيها طرق الشيطان، والشيطان لا يهدي إلى الخير، فهو العدو الأول للإنسان.

قال تعالى: ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾^(١).

ومن ثم فإن الاهتمام بالنفس يضيق أفق التفكير فيضحي - والحالة هذه - قصير النظر وضيق الأفق، فالإنسان حتى يجلب المحبة، عليه أن يقلع من نفسه حب الأنا البغيضة، ويسلك مع الناس سبيل الخير والمحبة، ثم إذا أراد أن يزرع المحبة في قلوبهم ينصفهم في المعاشرة.

وهذا ما كان عليه رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ففي

الروايات كما في تفسير الآية ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

خَصَاصَةٌ﴾^(٢).

(١) فاطر: ٦.

(٢) الحشر: ٩.

إن أحد المسلمين أضربه الجوع والفقر وكان المسلمون آنذاك في فقر مدقع، فجاء إلى النبي الأكرم ﷺ يطلب المساعدة، فنظر النبي ﷺ إلى المسلمين وقال: من لهذا المسلم؟

فلم يقم أحد إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فأخذه إلى البيت، وقال للسيدة فاطمة عليها السلام: أكرمي مثوى هذا الفقير.

فأحضرت الزهراء عليها السلام الطعام، ولكن لم يكن يكفي، فجلس الإمام أمامه وأطفأ القنديل، وقال: يا هذا كل على بركة الله.

فأكل وظن أن الإمام يأكل معه. وبهذا أثر أهل البيت عليه السلام بطعامهم المسلم الفقير، فنزلت الآية ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(١).

وطالما أثر أهل البيت عليه السلام بالطعام والكساء وقت الضيق، وطالما آثروا على أنفسهم الكريمة والعظيمة عندما كانت تضيق بالإسلام الخناق وتقسو عليه، فكان أهل البيت عليه السلام أول الناس إثارةً وجهاداً وفداءً.

وهكذا أثر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على نفسه الشريفة مرات عديدة، بل وسطر أروع صفحات الإيثار حتى أضحي الإيثار جميلاً بإيثار الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

خذ على سبيل المثال مبيته على فراش النبي ﷺ، فقد أثر على حياته الشريفة وفدى بنفسه المباركة عندما أحرق الخطر بنفس رسول الله ﷺ.

^(١) الحشر: ٩.

وهكذا بات الإمام عليه السلام ونفسه مطمئنة بقدر الله عز وجل، فنزل جبرائيل عليه السلام يبشر النبي عليه السلام بهذا العطاء السخي ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١).

راجع سبب نزول الآية في (تفسير الرازي)، و(الثعلبي)، و(إحياء علوم الدين: ج ٣/ص ٢٣٨)، و(مسند أحمد بن حنبل: ح ١/ص ٣٤٨).

لقد واسى الإمام عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وبأعز ما يملك وبأشد الظروف قساوة.

وقال الإمام الجواد عليه السلام: «المواساة في الشدة».

نعم فإن المؤمن يواسي أخاه بالشدة، والمواساة في الشدة من أوضح مصاديق الإخاء والمودة، والإيمان.

كما إن خذلان المؤمن في الشدة من أوضح مصاديق النكاية والشماتة، فلا خير في إنسان يلحس القصاع في الرخاء، ثم يخذل في الشدة، ولا خير في الإنسان يحوط في الرخاء، ثم إذا أصاب زميله الشدة ينفص عنه وينفر، وكأن لم تكن هناك علاقة بينهما.

ولكن ليعلم هذا الإنسان أن الدنيا لا تصفو لأحد، وبالذات الذي يخذل، فإن الدهر يومان يوم لك ويوم عليك، وكما تدين تدان، وكما هو معلوم فإن الله عز وجل لا يذر الإنسان حتى يمتحنه لثلاث تكون عليه الله

(١) البقرة: ٢٠٧.

حجة.

* وقال الإمام الجواد عليه السلام: «كيف يضيع من الله كافله؟ وكيف ينجو من الله طالبه؟».

«من انقطع إلى غير الله وكله الله إليه».

«من عمل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح».

«القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتباع الجوارح بالأعمال».

«من أطاع هواه أعطى عدوه مناه».

«من هجر المداراة قاربه المكروه».

«من لم يعرف الموارد أعيته المصادر».

«من انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرض نفسه للهلكة وللعاقة».

«من عتب من غير ارتياب أعتب من غير استعتاب».

«راكب الشهوات لا تستقال له عثرة».

«الثقة (بالله) ثمن لكل غالٍ، وسلّم إلى كل عالٍ».

«إياك ومصاحبة الشرير، فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره».

«إذا نزل القضاء ضاق الفضاء».

«كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة».

«غنى المؤمن غناه عن الناس».

«نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر».

«لا يضرّك سخط من رضاه الجور».

«من لم يرضَ من أخيه بحسن النية لم يرضَ بالعطية»^(١).

إن هذه القطع لو كتبت بماء الذهب لما وفي حقها، وحقها يكمن في حفظها والعمل بها، وهي دليل واضح على سمو الإمام وقربه. وكلما اقترب الإنسان وقطع شوطاً في طريق الإيمان أضاء قلبه وعقله بنور الحكمة والمعرفة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(٢).

* وقال الإمام الجواد عليه السلام: «الأيام تهتك لك الأمر عن الأسرار الكامنة»^(٣).

كم من ثعلب هتكته الحوادث، وكم من ذئب كشفته الوقائع. ينقل أن أعرابياً مرَّ على مكان فرأى جرواً لذئب فرق له قلبه، فأخذه إلى قريته، وعندما نبتت أسنانه، انقضَّ في غياب الأعرابي على غنمه فأكلها، فجاء الأعرابي وقد رأى المجزرة.

فأنشد قائلاً:

أكلت شويهيّ وفجعت نفسي	ومن أباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء	فلا أدبٌ يفيد ولا أديب

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٧٥/ص ٣٦٤.

(٢) محمد: ١٧.

(٣) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٧٥/ص ٣٦٥.

وهكذا هي الأيام تهتك، كما قال الإمام الجواد عليه السلام، وليس مثل الأيام
(تضع النقاط على الحروف)، وتطرح ما فيه الكفاية.

هذه بعض من حكم الإمام الجواد عليه السلام.

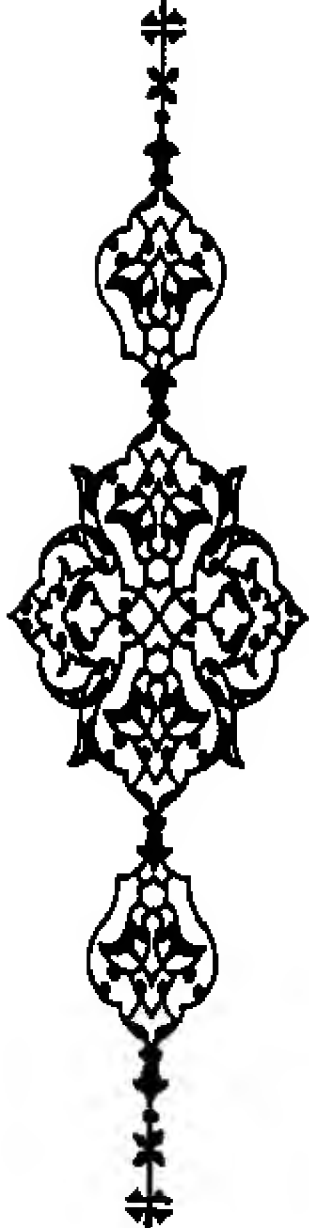
وهي خير دليل على شخصيته الفذة وقدرته الفائقة، وبحق، فإنه الإمام
الناطق بالحجة والبرهان، والدليل الساطع، والنور الطالع، ومنار الهدى
والعروة الوثقى، سليل المصطفى، وابن علي المرتضى (صلوات الله عليهم
أجمعين).

الفصل السَّابِع

عصر المعتصم

واستشهاد الإمام الجواد

عليه السلام



عصر المعتصم واستشهاد الإمام الجواد عليه السلام

الإمام الجواد عليه السلام في عصر المعتصم:

عاش الإمام الجواد عليه السلام في زمن المعتصم فترة قاسية وممضّة.

فقد ضرب المعتصم طوقاً على الإمام عليه السلام وضيق عليه الخناق بكل ما أوتي من حول وقوة.

ولم يكتفِ المعتصم بذلك بل أرصد العيون الجواسيس، ليتحسّسوا كل من يتقرب إلى الإمام عليه السلام.

وقد قطع المعتصم كل سبيل على الشيعة، حتى بات الرجل منهم يخاطر بنفسه عندما يلتقي الإمام عليه السلام.

ومن جانب، فإن المعتصم قرب وُعَاطِ السلاطين واصطنعهم لنفسه، وحوّلهم إلى أداة لتسويق أفكار السلطة ومخططاتها الدنيئة.

وهكذا راح ابن أبي دؤاد، ويحيى بن أكثم وأمثالهما، يزعمون في بوق السلاطين ويسوقون بضاعتهم الفاسدة.

ولكن ومع كثافة الحملات المحمومة، فإن المعتصم لم يستطع إلغاء الكيان الشيعي أو التأثير فيه لأن المذهب الشيعي تجذّر وتعرّق في القلوب،

وأصبحت النفوس التي تحمله عملاقة في تحدّيها، وصلبة في مواقفها، ولا أدلّ على ذلك من مواقف ابن السكيت، ومحمد بن عمير، وغيرهم.

وبعد أن فشل المعتصم في فرض المذاهب التي لا تمتّ إلى أهل بيت النبوة (عليهم أفضل الصلوات والسلام) بصلة راح يبذل الصلوات والأعطيات في مجال اصطناع الوُعَاظ، الأمر الذي أدّى إلى طمس معالم كثيرة من الإسلام، واختفاء الكثير من الأحكام.

وبهذه الخطوة المشينة (تكلّست العقلية) وضاق أفق العلم، حتى باتت العقول هزيلة، ولا تجود بحلول معقولة وعميقة للحوادث الطارئة.

ذكر الشيخ العياشي، عن زرقان صاحب ابن أبي داود القاضي، قال: رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتمّ، فقلت له في ذلك، فقال: وددت اليوم أني قدِمْتُ منذ عشرين سنة.

فقلت له: ولم ذاك؟

قال: لما كان من أبي جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي (أمير المؤمنين).

قلت: وكيف كان ذلك؟

قال: إن سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر محمد بن علي، فسألنا عن القطع في أيّ موضع يجب أن يقطع؟

فقلت: من الكرسوع (طرف الزند عند الرسغ).

قال: وما الحجة في ذلك؟

قلت: لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع، ولقول الله في التيمم ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾^(١)، واتفق معي في ذلك قوم.
وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق.
قال: وما الدليل على ذلك؟

قالوا: لما قال الله تعالى: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾^(٢)، في الغسل دل ذلك على أن حد اليد هو المرفق.
قال: فالتفت المعتصم إلى محمد بن علي عليه السلام، فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

قال عليه السلام: قد تكلم القوم فيه.
قال: دعني ممّا تكلموا به، أي شيء عندك؟
قال: أعفني من هذا.
قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.
فقال عليه السلام: أما إذا أقسمت عليّ بالله إني أقول: إنهم أخطؤوا فيه، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكف.
قال: وما الحجة في ذلك؟

قال: قول رسول الله ﷺ: «السجود على سبعة مواضع ومنها الكفان، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله

(١) النساء: ٤٣.

(٢) المائدة: ٦.

تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْعِدَ لِلَّهِ﴾^(١).

قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف.

قال ابن أبي داود: «قامت قيامتي»، وتمنيت أن لم أك حياً^(٢).

وهكذا، فإن هذه الحادثة تدل بشكل واضح على فقر عقلية وعَظا السلاطين وجهلهم بأحكام الله عز وجل.

ومن ناحية تشير إلى احتياج السلاطين إلى آراء أئمة أهل البيت عليه السلام وهم يعلمون - أكثر من غيرهم - أن الأئمة عليهم السلام هم الراسخون في العلم وباب الله، وهكذا على مر التاريخ، فإن السلاطين كانوا بأمر الحاجة إلى أئمة أهل البيت عليه السلام وإلى حلولهم القاطعة، وفي كل مجال يتعلق فيه مصير الأمة.

ولكن بمجرد ما يلمع نجم الأئمة عليهم السلام ويشع نورهم في سماء العلم والمعرفة تبدأ المحاولات اللثيمة، ويغلي مرجل الحقد والحسد، وبالذات في صدور وعَظا السلاطين، لأن نور الأئمة عليهم السلام يكشف هزالتهم، ويعريهم من كل التوش والطلاءات المزيفة.

نعود ونقول: عندما تضيق الذهنية ويقصر العقل يبدأ الإنسان وبالذات الذي يتزلف للحكام بعملية التشويه والتسقيط والإلغاء..

^(١) الجن: ١٨.

^(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٥٠/ص ٦، والأنوار البهية: الشيخ عباس القمي، ص ٢٦٨.

وتعود بدايات هذا العصر المشين إلى زمن معاوية بن أبي سفيان، فهو الذي سنّ هذه السنة السيئة، وثبت أسسها، فبنى عليها الكثير، وهو الذي قال: «والله لا أدع سبّ علي بن أبي طالب حتى يهرم عليها الصغير، ويشيب فيها الكبير».

وسبّ علي بن أبي طالب عليه السلام هو سبّ رسول الله ﷺ، ومعاوية كان يقصد ذلك.

لأنّ معاوية ما كان ليجرؤ على سبّ رسول الله ﷺ، فلذلك تجرّأ على الإمام علي عليه السلام.

وعلى كل حال، فإنّ وُعَاظ السلاطين في زمن المعتصم عملوا جاهدين للتخلص من الإمام الجواد عليه السلام، ومنهم ابن أبي دؤاد أو داود.

وقد بذل الأخير المحاولات تلو المحاولات مع شلّة ممن باعوا أنفسهم للشيطان، فراحوا يضيّقون الدائرة على الإمام عليه السلام ويرصدون أيّ تحرك له، وهكذا أشاعوا جواً من الإرهاب والخوف.

فسيطرت أجواء الخوف والإرهاب فانقطع الكثير فبات الذي يصل إلى الإمام عليه السلام يخاطر بنفسه ويعرضها إلى أشدّ ألوان العذاب والتنكيل، وبهذه الأجواء الخائفة أوصدّ باب من أهم أبواب العلم، وانكفأ الناس عن مصدر ثرّ لعلوم الإسلام.

لقد امتاز عصر المعتصم بالانغلاق العلمي، وشهد تراجعاً لا مثيل له، فلم تحفل مجالس الخليفة بالمناظرات العلمية كما كانت في عهد المأمون

العباسي، كما لم تظهر طبقة يشار إليها، وباتت المؤامرات تترى على العلماء وبالذات علماء أهل البيت عليه السلام.

فقد أخذ التآمر على العلم بعداً خطيراً، فأَيُّ فتوى كانت تصدر من الإمام عليه السلام، «أو حكم»، كانت تشكل جريمة بحق القصر العباسي ووعاظه.

وهكذا باتت الحلقات العلمية في خطر، وأيضاً علماء آل البيت عليه السلام، فاختفى الكثير منها، بدليل أن المؤرخين لم يرصدوا حلقة علمية مهمة، سواء في العاصمة أم غيرها، وبالرغم من الأجواء الخائفة والمرعبة، فقد ظلت مدرسة أهل البيت عليه السلام تمارس مهامها، ولكن ليس بالحجم الذي كانت تمارسه في زمن المأمون، ومثلما أسلفنا، فإن العالم من أتباع أهل البيت كان يخاطر بنفسه، فبات الخطر يحدق بالكثير من علماء أهل البيت عليه السلام، من أمثال ابن أبي عمير، وغيره.

وابن أبي عمير أحد الأعمدة الذين حافظوا على آثار أهل البيت عليه السلام وجاهدوا دون اندثارها.

وظل ابن أبي عمير يجاهد ويكافح حتى أودعوه السجن، وقد مارسوا بحقه أشد أنواع التعذيب، وكاد أن يبدي به لولا أن ربط الله على قلبه، وبعد لأي خرج من السجن، وقد أضرب به كثيراً، فجاء إلى بيته وهمه الكتب التي دفنها تحت التراب.

فوجدها قد اندثرت، فحز في نفسه كثيراً، فكان وقع الصدمة أشد من السجن.

إن ابن عمير عنوان مضيء للصابرين، والذين نذروا أنفسهم لله تعالى، ولقيم الإسلام.

وظل ابن أبي عمير يروي بما تختزنه حافظته من الأحاديث المأثورة عن آل البيت عليه السلام، فوثق العلماء كل أحاديثه وجعلوا مراسيل ابن أبي عمير (صحيحة)، وهكذا أخذت تشتد الحملة على العلم والعلماء.

لقد كان عصر المعتصم كارثة على العلم والعلماء، وشهدت الساحة العلمية في العاصمة عهداً أسود لم تره من قبل.

وقد بقي الإمام الجواد عليه السلام ينتظر الفرص ليبلغ الإسلام، وينشر مفاهيمه العالية، ولكن وعُظاظ السلاطين والحاشية اللعينة حالوا دون ذلك.

وقد لعب وعُظاظ السلاطين أمثال ابن أبي دؤاد دوراً خبيثاً في تأليب المعتصم حتى أوغر صدره على الإمام عليه السلام.

استشهاد الإمام الجواد عليه السلام:

وقد ذكر العلامة المجلسي السبب في استشهاد الإمام عليه السلام ويرجعه إلى حادثة اختلاف وعُظاظ السلاطين في كيفية قطع يد السارق.

عن زرقان صاحب ابن أبي دؤاد، وصديقه بشدة، قال:

رجع ابن أبي دؤاد ذات يوم من عند المعتصم، وهو مغتم، فقلت له في ذلك، فقال: وددت اليوم أني قد مت منذ عشرين سنة.

قال: قلت له: ولم ذاك؟

قال: لما كان من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين.

قال، قلت له: وكيف كان ذلك؟

قال: إن سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر محمد بن علي، فسئلت عن القطع، في أيّ موضع يجب أن يقطع؟ قال: فقلت من الكر سوع.

قال: وما الحجة في ذلك؟

قال: قلت: لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكر سوع، لقوله في التيمم ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾^(١)، واتفق معي في ذلك قوم. وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق.

قال: وما الدليل على ذلك؟

قالوا: لأن الله لما قال ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾^(٢)، في الغسل دلّ ذلك على أن حد اليد هو المرفق.

قال: فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

فقال: قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين.

قال: دعني مما تكلموا به! أي شيء عندك؟

(١) النساء: ٤٣.

(٢) المائدة: ٦.

قال: اعفني من هذا يا أمير المؤمنين.

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.

فقال: أما إذا أقسمت عليّ بالله إني أقول إنهم أخطؤوا فيه السنة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكف.

قال: وما الحجة في ذلك؟

قال: قول رسول الله ﷺ «السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين»، فإذا قطعت يده من الكر سوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنّ الْمَسْجِدَ لِلّٰهِ﴾^(١) يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٢)، وما كان لله لم يقطع.

قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف.

قال ابن أبي دؤاد: «قامت قيامتي» وتمنيت أني لم أك حياً.

قال زرقان: قال ابن أبي دؤاد صرت إلى المعتصم بعد ثلاثة، فقلت: إن نصيحة أمير المؤمنين عليّ واجبة وأنا أكلمه بما أعلم أني أدخل به النار.

قال لي: وما هو؟

قلت: إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدين، فسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم من

^(١) الجن: ١٨.

^(٢) الجن: ١٨.

الحكم في ذلك، وقد حضر مجلسه أهل بيته وقادته ووزراؤه وكتابه، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته، ويدعون أنه أولى منه بمقامه ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء؟!

قال: فتغير لونه وانتبه لما تبهته له.

وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً.

قال: فأمر اليوم الرابع فلاناً من كتاب وزرائه بأن يدعوه إلى منزله، فدعاه فأبى أن يجيب، وقال: قد علمت أنني لا أحضر مجالسكم. فقال: إني إنما أدعوك إلى الطعام وأحب أن تطأ ثيابي وتدخل منزلي فأتبرك بذلك، فقد أحب فلان بن فلان من وزراء الخليفة لقاءك، فصار إليه، فلما طعم منها أحسن السم، فدعا بدابته فسأله رب المنزل أن يقيم. قال: خروجي من دارك خير لك.

فلم يزل يومه ذلك وليله في خلفه الهیضة (وهي انطلاق البطن والقياء) حتى قبض عليه^(١).

وفي رواية أن أم الفضل زوجة الإمام سمته.

فلما أحسن بذلك، قال لها: أهلك الله بداء لا دواء له.

وقد استشهد (صلوات الله عليه) سنة عشرين ومائتين، يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجة.

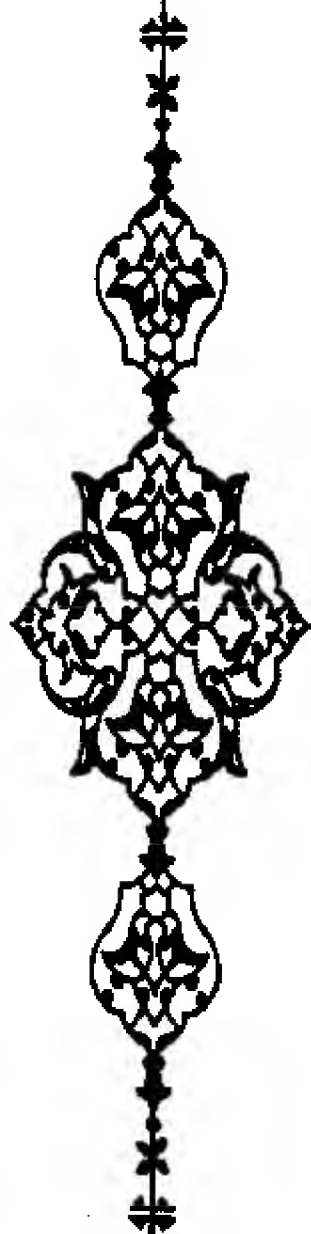
(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٥٠/ص ٥٧.

الفصل الثامن

ما قيل في الإمام الجواد

عليه السلام

من الشعر



ما قيل في الإلمام الجواد عليه السلام

من الشعر

الشعر.. لوحة عاطفية، ألوانها رشحات من المشاعر الرقيقة والتصوّرات الشفافة. والشاعر رسّام.. ريشته قلبه، وهو إنسان متألّق مرهف، ذو ملكة تمكّنه من التعبير عن دواخله وأحاسيسه بأسلوب بليغ معبّر واضح. وهو - في الوقت ذاته - مؤرّخ سائح، يستطيع نقل الناس إلى حيث يريد من وقائع التاريخ وآفاق الفكر، يضعهم في مقابل المشاهد، أو قد يدخلهم فيها حتّى يشعروا بمعايشة أوقات مضت وبقاع بعدت، فيتفاعلوا مع الحوادث على حالٍ من البصيرة والفهم.

وللشاعر الرساليّ الهادف دورٌ كبير في بثّ الأفكار والعقائد الحقّة، وزرع المودة والولاء للنبي وآله (صلوات الله عليهم) في قلوب الناس.. وذلك من خلال ما يرسمه لهم من المجريّات الماضية في صور تمثّل غضبَ حقوق الأنبياء والأولياء، والظلم الذي وقع عليهم حتّى دفعهم عن المقام الإلهيّ وأزالهم عن المراتب التي ربّهم الله فيها، بل وما وقع عليهم من العزل والحبس والقتل بالسيف وبالسمّ.. حتّى اشتهر عن الأئمّة عليهم السلام: «ما

مِنَّا إِلَّا مَسْمُومٌ أَوْ مَقْتُولٌ»^(١) .. «وَاللَّهِ مَا مِنَّا إِلَّا مَقْتُولٌ شَهِيدٌ»^(٢) .. «مَا مِنَّا إِلَّا مَقْتُولٌ»^(٣).

وَمِنْ قَبْلِهِمْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا وَصِيٍّ، إِلَّا شَهِيدٌ»^(٤).

والذي يسطره الشاعر، ربّما عجز عنه الناثر.. أداءً وتأثيراً في نفوس السامعين أو القارئین. فأدوات الشاعر: من الوزن والقافية والتصوير الفني.. تناغم الأرواح، وتثير العواطف وتحرك المشاعر، وتنبّه العقول. فربّما نفذت قصيدة بأبياتها إلى القلوب فأثارت الحماس وأبكت العيون وأسكبت العبرات، وخلفت في النفوس آثارها من المودة لأولياء الله والبغض لأعداء الله، فراحت الحناجر ترددها وتنشدّها أجيالاً بعد أجيال!

وكم من قصيدة انطبعت على صفحات القلوب، فكانت دليلاً إلى التوكلي لأوصياء الله والبراءة من أعداء الله، وكانت - في الوقت ذاته - حُجَّةً على المعاند والمشكك؛ إذ كانت مستلّةً من دلائل النبوة والإمامة، ومقتبسة من كلام الوحي والرسل وأئمة الحق عليهم السلام.

^(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ٢٧/ص ٢١٧.

^(٢) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج ١٢/٥، وإعلام الوري بأعلام الهدى: الشيخ الطبرسي، ص ٣٤٩.

^(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق، ج ٢/ص ٣٠٢، والحديث للإمام علي الرضا عليه السلام، رواه عنه أبو الصلت الهروي.

^(٤) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٥١٦/ص ٢٢٢ ح ٢١/باب وفاة النبي ﷺ.

* قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ما قال فينا قائل بيت شعر حتى يؤيد بروح القدس»^(١).

وقال عليه السلام أيضاً: «من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنة»^(٢).

* وقال الإمام عليّ الرضا عليه السلام: «ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا به إلّا بنى الله تعالى له مدينة في الجنة»^(٣)..

على أعتاب

الإمام محمد بن علي الجواد

عليه السلام

(١) - وفي (المقتضب): روى ابن عياش، عن عبد الله بن محمد المسعودي، قال: حدثني المغيرة بن محمد المهلب، قال: أنشدني عبد الله بن أيوب الخريبي^(٤) الشاعر، وكان انقطاعه إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، ولما توفي عليه السلام وقف يؤبّه ويمتدح أبا جعفر محمداً ابنه بقصيدة طويلة، يقول فيها «من الكامل»:

^(١) الإرشاد: الشيخ المفيد، ٨٩-٩٣.

^(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٢١/ص ٣٨٨/ح ١٠/باب حجة الوداع وما جرى فيها.

^(٣) تنقيح المقال: المامقاني، ج ١/ص ٢٦٤.

^(٤) عبد الله بن أيوب، أبو محمد الخريبي البصري: نسبة إلى الخريبة وهو موضع مشهور بالبصرة. أديب، فاضل. لزم الإمام الرضا عليه السلام ولعلّه كان شاعره. ذكره ابن شهر آشوب في (المعالم: ١٥٢)، ضمن الشعراء المتقين. وترجم له سيد (الأعيان) في موسوعته الرجالية (أعيان الشيعة: ج ٨/ص ٤٦).

يا بن الذبيح ويا بن أعراق الثرى
يا بن الوصي وصي أكرم مرسل
يا أيها الجبل المتين متى أغد
أنا عائذ بك في القيامة لائذ
لا يسبقني في شفاعتكم غدا
يا بن الثمانية الأئمة غربوا
إن المشارق والمغارب أنتم
طابت أرومته وطاب عروقا^(١)
أعني النبي الصادق المصدوقا
يوماً بعفوته أجده وثيقا^(٢)
أبغي لديك من النجاة طريقا
أحد فليست بحبكم مسبوqa
وأبا الثلاثة شرقوا تشريقا^(٣)
جاء الكتاب بذلك تصديقا^(٤)

(٢) - ودخل أبو هاشم الجعفري على الإمام الجواد عليه السلام فسأله عن
تفسير «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة» ففسره له.
فقال: قد حضرني في هذا المقام شعر.
فقال: أنشد.

فأنشده (من السريع):

يا حجّة الله أبا جعفر
أنت وآباؤك ممن مضى
وابن البشير المصطفى المنذر
روضة بين القبر والمنبر

(١) الذبيح: هو إسماعيل عليه السلام، وعبد الله والد النبي ﷺ. وأعراق الثرى: أصول الأرض وأركانها من
الأئمة والأنبياء، والمراد: ابن خير أصول الأرض. والأرومة: أصل الشجرة، واستعملت للحسب،
فقالوا: هو طيب الأرومة، كريم الأصل.

(٢) العفو: التراب.

(٣) غرب عن وطنه: ابتعد. والمراد من مضى منهم ومات.

(٤) مقتضب الأثر: ٥٤.

تجلو بتفسيرك عنا العمى
 صلي على المدفون في طيبة
 وأملك الزهراء مضمونة
 والسيد المدعو شبيراً ومن
 والتسعة الأطهار من لم يكن
 هم خلفاء الله في أرضه
 وهم سقاء الناس يوم الظما
 وأنتم الذواد أعداءكم
 وتدخلون النار من شتم
 وتدخلون الجنة المقتفي
 إني موالٍ من تولاكم

ونورك الأشرف والأنور
 جدك والمضمون بطن الغري
 أرض بقيع الفرقد الأزهر
 يدعى بسبط المصطفى شبر
 يعرفهم في الدين لم يعد
 وهم ولالة البعث والمحشر
 شيعتهم ربي من الكوثر
 في مورد منه وفي مصدر
 من جاحدٍ لحقكم منكر
 آثاركم في غابر الأعصر
 ومن يعاديكم فمنه بري^(١)

(٣) - وقال الشريف الرضي (من الوافر):

ولي قبران بالزوراء أشفي
 أقود إليهما نفسي وأهدي
 لقاؤهما يطهر من جناني

بقربهما نزاعي واكتأبي^(٢)
 سلاماً لا يحيد عن الجواب
 ويدراً عن ردائي كل عاب^(٣)

^(١) القبران: قبر الإمام موسى بن جعفر، وقبر الإمام محمد الجواد عليه السلام. والزوراء: بغداد.

^(٢) أعيان الشيعة: ج ٦/ص ٣٨١.

^(٣) ديوان الشريف الرضي: ج ١/ص ١١٧.

(٤) - وقال السيد صادق الفحام والعجز للشيخ محمد رضا النحوي،

نظماها عند مشاهدتهما للمرقد الشريف (من الوافر):

هما العَلَمَانِ بالزوراء لاحا	وقد ملأ بنورهما البطاحا
فإن رمت المعاج على فلاح	فعج بالعيش واغتنيم الفلاحا
على ربع يطيب لها مناخاً	فليس ترى على حال براحا
يسخ لها على خمس شراباً	إذا وردت ويُسـعفها مراحا
على وادي طوى إذ نار موسى	لمؤنسها الهدى اتضح اتضاحا
وإن دجت الغياهبُ وادلهمت	أعاد الليل ثاقبها صباحا
وإن يقر العفاة بها جواد	يميح ولا يرى أن يستماحا
فهز إلى القرى لك أريحياً	إذا سأل القرى اهتز ارتياحا
فيقري ذا الضلال هدى ورشداً	وذا الرشـد الهدى طلقاً مراحا
ويُقري ذا الغناء غنى مديداً	وذا الاقتار مئاً وامتناحا
سلالة سادة سادوا البرايا	فقل ودّع الغلو فلا جناحا
وقدّمهم على الرّسل المواضي	جميعاً من غدا منهم وراحا
نجومٌ للهدى جبلوا رشاداً	سراة للرجا خلقوا نجاحا
بحور للجدا طفحوا زلالاً	وسحب للنـدا جعلوا سماحا
همُ راشوا المكارم فاستقلت	مناط النسر مرمى أو مطاحا
وما جنحت إلى وكر مطاراً	وقد كانت ولم تملك جناحا
فدن واخلع به النعلين واخضع	وهنّ واخفض من الذل الجناحا
وخرّ إلى السجود به ذليلاً	وعفّر بالتراب ولا جناحا

وسل لمطالب الدارين نُجْحاً فليسوا ما سألتهم شِخَا
وإن خفي النجاح عليك فاسأل بجاههم العظيم ترى النجاحا

(٥) - وقال السيد محمد معصوم القطيفي بعد أن وصف سير راحلته

السريع في اتجاه بغداد قال (من الرمل):

قصدها الكاظم موسى والذي غمر الناس يداً بعض نداها
قف فدتك النفس واغنم أجرها حيث تحيها سلاماً من فناها
مبلغاً جلّ سلامي لهما طالباً للنفس ما فيه هداها
أشهديّ جانب الزوراء هل زورة تظفي على النفس لظاها
أم لعيني نظرة ممن رأى جدثي قدسكما تجلو جلاها
لم ير الله أناساً غيركم مثل ما نلتم فأنتم غرباها
جدّكم أعظم قدراً وأذى فحسوتم بعده كأساً حساها
وسقاكم ندي أخلاق بها عطر القرآن من عطر شذاها
يا ذواتاً أكملت علة إيجاد ذي العرش الوري والبدء طاها
ما رجا راج بكم إلا نجا كيف والراجي الميامين فتاها

(٦) - وقال الشيخ عباس النجفي (من المجث):

لنذ إن دعتك الرزايا والدمر عيشك نكد
بكاظم الغيظ موسى وبالجواد محمّد

(٧) - هناك نصٌ وقفنا عليه في مديح الإمام الجواد عليه السلام وآبائه الطيبين الطاهرين عليه السلام هو للشاعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي المثوفى سنة (٢٣٠هـ)، المعاصر للإمام الجواد عليه السلام. والقصيدة تتألف من ٥٩ بيتاً، وهي ليست في ديوانه المطبوع، عثر عليها الشيخ حسين علي آل سليمان البحراني فأثبتها كاملة في (رياضه)، ومطلعها (من الخفيف):

حصحص الحق فاسهري أو فنامي عن ملامي ستحتوين ملامي

ثم يصل بعد عدة أبيات إلى غرضه فيقول:

ربّي الله والأمين نبّي	صفوة الله والوصي إمامي
ثم سبطاً محمداً تاليه	وعليّ وباقر العلم حامي
والتقي الزكي جعفر	الطيب مأوى المعتو والمعتام
ثم موسى ثم الرضا علم الفص	ل الذي طال سائر الأعلام
والمصطفى محمد بن عليّ	والمعري من كل سوء وذام
أبرزت منه رافة الله بالناس	س لترك الظلام بدر التمام
فرع صدقٍ نمي إلى الرتبة العد	يا وفرع النبي لا شك نامي
فهو ماضٍ على البديهة بالفيد	صل من رأي هبرزي همام
عالم بالأمر غارت فلم تد	جهم وهذا يكون بالإنجلام
بالأمر التي تبيت تقاسيد	ها على حين سكرة النوام
هؤلاء الألى أقام بهم	حجته ذو الجلال والإكرام

عصبة لست منكراً أنني يف - نني قعودي بحبهم وقيامي^(١)

(٨) - أما شاعر الولاء لأهل البيت عليه السلام أبو محمد العوني^(٢)، فقد نظم

في مولد الإمام الجواد عليه السلام أبياتاً يقول فيها (من الرجز):

هذا الذي إذ ولدته أمه - عاجلها منه حسياً فابتدر
حتى تفرغن النسا من حولها - وقلن هذا هو أمر مبتكر
والولد الطيب قد جلله - عنهن مولاه بثوب فاستتر^(٣)

(٩) - ولأبي الفتح علي بن عيسى الإربلي قصيدة في مدح الإمام

محمد الجواد عليه السلام، وبيان فضله أثبتها في كتابه كشف الغمة يقول فيها (من الوافر):

خَمَادٍ خَمَادٍ لِلْمُثَنَّى حَمَادٍ - عَلَى آلاءِ مَوْلَانَا الْجَوَادِ
إِمَامٌ هَدَىٰ لَهُ شَرَفٌ وَمَجْدٌ - عَلَا بِهِمَا عَلَى السَّبْعِ الشَّدَادِ
إِمَامٌ هَدَىٰ لَهُ شَرَفٌ وَمَجْدٌ - أَقْرَبَهُ الْمُسَوَالِي وَالْمُعَادِي

^(١) رياض المدح والثناء: الشيخ حسين البحراني، ص ٧٢٣، طبعة المكتبة الحيدرية، قم، ١٤١٠هـ،

تحقيق: حسن عبد الأمير.

^(٢) طلحة بن عبيد الله بن محمد بن أبي عون، أبو محمد العوني الغساني: شاعر شهير، أكثر نظمته في

أهل البيت عليه السلام. توفي حوالي سنة (٣٥٠ هـ) بمصر. ترجم له السيد الأمين في (أعيانه:

ج ٧/ص ٤٠١)، والعلامة الأميني في (الغدير: ج ٤/ص ١٧٥)، الطبعة المحققة.

^(٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٤/ص ٣٨٨.

تصوب يده بالجدوى فتغني
 يبخّل جود كفيه إذا ما
 فواضله وأنعمه غزاراً
 فمن يرجو اللحاق به إذا ما
 من القوم الذين أقر طوعاً
 بهم عرف الورى سبل المعالي
 وهم من غير شك وخلاف
 أيامولاي دعوة ذي ولاء
 وقد قدمتكم زاداً لسيري
 فأنتم عدتي إن ناب دهر
 عن الأنواء في السنة الجماد
 جرى في الجود منهل الغواد
 عهدن أبر من سحّ العهد
 أتى بطريق فخر أو تلاد
 بفضلهم الأصادق والأعادي
 وهم دكوا الأنام سبل الرشاد
 إذا أنصفت سادات العباد
 إليكم ينمي وبكم ينادي
 إلى الأخرى ونعم الزاد زادي
 وأنتم إن عرى خطب عتادي^(١)

(١٠) - وللشيخ الحر العاملي محمد بن الحسن بن علي المنتهي نسبة
 إلى الشهيد الحر الرياحي عليه السلام، والمتوفى سنة (١١٠٤هـ)، أرجوزة طويلة في
 تاريخ الإمام الجواد عليه السلام، وبيان معجزاته وفضائله، منها قوله:

نصوصه كثيرة تواترت
 وما جرى له مع المأمون
 إن كان طفلاً وبدا ما قد بدا
 وامتحنوه وأجاب العلما
 ومعجزاته كذاك اشتهرت
 من موطنات العلم واليقين
 من فضله وعلمه لذي الهدى
 جواب عالم درس وعلم^(٢)

^(١) كشف الغمة: ج ٣/ص ١٦٤.

^(٢) نزهة الجليس ومنية الأنيس: ج ٢/ص ١١١.

(١١) - وثمة ميمية للسيد صالح النجفي القزويني المتوفى سنة (١٣٠٦هـ) في تاريخ الإمام الجواد عليه السلام أبان فيها فضائله ومعجزاته، ومطلعها (من الطويل):

سل الدار عن سكانها أين يَمَمُوا فهل أنجدوا يوم استقلّوا وأنهممُوا
ومنها قوله في رثائه عليه السلام:

فيا لقصير العمر طال لموته على الدين والدنيا البكا والتألمُ
بفقدك قد أثكلت شرعة أحمدٍ فشرعته الغراء بعدك أيّمْ
عفا بعدك الإسلام حزناً وأطفيئت مصابيح دين الله فالكون مظلمُ
فيا لك مفقوداً ذوّت بهجة الهدى له وهوت من هالة المجد أنجمُ
يميناً فما لله إلّاك حجة يعاقب فيه من يشاء ويرحمُ
وليس لآخذ الثأر إلا محجّبٌ به كل ركن للضلال يهدمُ^(١)

(١٢) - ونظم الشيخ جعفر الشرقي النجفي المتوفى سنة (١٣٠٩هـ) رائية في مدح الإمامين الكاظمين بابي الحوائج بمناسبة إتمام عمارة الصحن ومرقدهما الشريف عام (١٣٠١هـ)، يقول فيها (من الطويل):

جوادٌ يَمِيرُ السحب جودٌ يمينه على أن فيض البحر راحتَه اليسرى
إمام يمدّ الشمس نوراً فإن تغبّ كسا بسنا أنواره الأنجم الزهرا
فحق إذا أزهرن في صحن داره ودرن على ما حول مرقدَه دورا

^(١) الدمعة الساكبة: ج ٨/ص ٨٧

ومذ زين الأفلاك أحسن زينة
ومن يك موصولاً بأحمد في العلى
مدينة قدس قدس الله سرها
لقد حُشرت فيها الملائك والملا
أحاطت بموسى والجواد فقل لمن
أبوهم عليّ الطهر من بعد أحمد
خضعن له لا بل سجدن له شكرا
تهيب غير الذكر في نعته الذكرا
وشرفها حتى على عرشه قدرا
جميعاً ولما تدرك البعث والحشرا
بهم غير علم الله لم يُحط خبرا
نبيّ الهدى والأم فاطمة الزهرا^(١)

(١٣) - أما الشاعر المفلق عبد الباقي بن سليمان بن أحمد العمري
الفاروقي الموصلي المتوفى سنة (١٢٧٩هـ/١٨٦٢م)، فله في مدح الإمامين
الجوادين عليه السلام هذه الأبيات (من الخفيف):

حضرة الكاظمين منها المرايا
قد أظلت شمساً بغير كسوف
وطوت (كاظماً) ولقت (جواداً)
شرفت فيهما وما كل ظرف
وهي لَمّا على السماء أنافت
لا تلمني على وقوفي بباب
هو باب مجرب ذو خواص
ملجأ العاجزين كهف اليتامى
قد حكى قلب صبّ أهل الطفوف
وأقلت بدرأ بغير خسوف
فازدهت بالمطوي والملفوف
حاز تشريفه من المظروف
بهما قلت يا سما المجد نوفي
تتمنى الأملاك فيه وقوفي
كان منها إغاثة الملهوف
مروّة المرملين مأوى الضيوف

^(١) شعراء الغري: ج ٢/ص ٤٢.

فليلمني من شاء إنني موالٍ رافل من ولائهم بشغوف^(١)

(١٤) - وللعلامة الأديب الشيخ محمد رضا المظفر المتوفى سنة

(١٣٨٣هـ) منظومة تائية في رثاء الإمام الجواد عليه السلام وتاريخ حياته، منها

قوله (من الخفيف):

ت وحسبي من قدسه النفحاتُ	بالإمام الجواد منكم تمسك
دت لعلياء حكمه الحادثاتُ	حدثٌ قلد الإمامة فانقا
م إماماً تجلى به الكرباتُ	إبن سبع ويا بروحي قد قا
هذبته بدرها المرضعاتُ	لا تخل ويك وهو في المهد طفل
بسنا الحق هذه الكائناتُ	هو نور من قبل أن تتجلى
دأ فنيطت بحبه الطاعاتُ	طاب في شهر طاعة الله مولو
مأ فقامت لفضله المعجزاتُ	واصطفاه الإله للخلق قوا
بحر جوداً له الهدى مرساةُ	يا أبا جعفر وما أنت إلّا الـ
الله تجري ولا سمك الحادثاتُ	كيف تقضي سماً غريباً وباسم
فضل لكن شاءت لك النازلات ^(٢)	أنت أدري بما أتت فيه أم الـ

(١٥) - أما الشيخ جعفر النقدي المولود سنة (١٣٠٣هـ) والمتوفى سنة

(١) موسوعة العتبات المقدسة: ج ٩/ص ٨٣

(٢) شعراء الغري: ج ٨/ص ٤٧٤.

(١٣٥٨هـ)، فله قصيدة دالية في مديح الإمام الجواد عليه السلام ورثائه، انتخبنا منها الأبيات التالية، ومطلعها (من الوافر):

نفت عن مقتلتي طيب الرقاد
أحاديث الصبابة في سعاد
إلى أن يقول:

لکم غزلي ومدحي في إمامي
هو البرّ التقيّ حمى البرايا
إمام أوجب الباري ولاءه
إذا ما سُدَّتْ الأبواب فاقصد
ترى باباً به الحاجات تُقضى
وكم ظهرت له من معجزات
ودسّ لقتله سُماً زعافاً
أبي الهادي محمّد الجواد
وغيث المجتدي غوث المنادي
وطاعته على كلّ العباد
(جواد) بني الهدى باب المراد
ومنتجعاً خصيب المستراد
رآهن الحواضر والبوادي
زنيماً ليس يؤمن بالمعاد^(١)

(١٦) - وللشاعر اللبناني المعاصر عبد النبي البزي هذه القصيدة يمدح

فيها الإمام الجواد عليه السلام، حيث يقول فيها (من الرمل):

هل في شهر الهدى سبط الهدى
طاهر المولد من طلعتنه
أشرق الصبح على أنواره
ينشر البشري وفي أنفاسه
جل من أبدعه نوراً بهياً
غمر الكون بهاء نبويّاً
ينضح الكون عييراً فاطميّاً
نغم بالحمد ينساب رخياً

^(١) رياض المدح والثناء: ص ٧٥٣، الطبعة المحققة.

وَهَبَ اللهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ
 سَبَّحَ اللهُ لَدَى مَوْلَاهُ
 وَتَلَقَّاهُ الرُّضَا مِبْتَهِلاً
 قَرَّ عَيْنًا بِالْجَوَادِ الْمُجْتَبَى
 نَظْفَةَ النُّورِ الْمُصَفَّى وَالهْدَى
 وَوَصَّيًّا تَاسِعًا مُتَجَبِّياً
 حَفِظَ اللهُ بِهِ دِينَ الْهَدَى
 وَإِمَامًا وَجَّيْتُ طَاعَتَهُ
 وَتَعَالَى اللهُ آتَاهُ الْهَدَى
 أَشْرَقَتْ مِنْ مَهْدِهِ آيَاتُهُ
 وَكَرِيمُ الْوَحْيِ مِنْ مَبْسَمِهِ
 وَلَقَدْ أَنْطَقَهُ فِي مَهْدِهِ
 وَالْعَصَا أَنْطَقَهَا فِي كَفِّهِ
 عَنْ أُولَى الْعِزِّمْ تَجَلَّى مَثَلًا
 السَّمَاوَاتِ الْعُلَى أَغْضَتْ لَهُ
 بَهَرَتْ أَنْوَارُهُ شَمْسَ الضُّحَى
 تَخَيَّبَتْ الْأَرْضُ لَهُ طَائِعَةً
 وَالْثَرَى مِنْ طَهْرِ أَقْدَامِ الْهَدَى
 أَيْنَعَتْ أَثْمَارُهُ وَائْتَلَقَتْ
 وَتَدَلَّى وَتَجَلَّى يَنْعُهَا

لِلرُّضَا قَرَّةَ عَيْنٍ وَوَصِيًّا
 وَتَلَقَّى نُورَهُ الْكَوْنِ حَفِيًّا
 ضَارِعًا لِلْخَالِقِ الْبَارِي نَجِيًّا
 مَثَلَمَا قَرَّ بِبَحِيٍّ زَكْرِيَّا
 أَنْجَبَتْ لِلدِّينِ رَكْنًا عَلَوِيًّا
 عَالِمًا بِرًّا وَأَوَّابًا رُضِيًّا
 وَاصْطَفَاهُ اللهُ لِلنَّاسِ وَلِيًّا
 عَادِلًا حَرًّا وَمَعْصُومًا نَقِيًّا
 وَالنُّهَى وَالرُّشْدَ وَالْحُكْمَ صَبِيًّا
 يَتَجَلَّى الرُّوحُ فِيهَا قُدْسِيًّا
 بِالْهَدَى وَالْحَقَّ يَنْسَابُ سَنِيًّا
 وَبِرَاهُ اللهُ صَدِيقًا تَقِيًّا
 آيَةً أُخْرَى لِمَنْ كَانَ عَصِيًّا
 مُوسَوِيًّا عِيسَوِيًّا أَحْمَدِيًّا
 خُشَعًا وَالْمَلَأُ الْأَعْلَى حَيًّا
 وَالنَّجُومَ الزَّهْرَ وَالْبَدْرَ الْبَهِيًّا
 وَلَهُ تُطَوَّى إِذَا مَا شَاءَ طِيًّا
 طَاوَلَ الشَّعْرَى سُمُوءًا وَالثَّرِيًّا
 وَهُوَ غَضٌّ لَمْ يَزَلْ بَعْدُ طَرِيًّا
 رُطْبًا بَارَكَهَا اللهُ جَنِيًّا

تبعث الأرواح من غفوتها
 وإذا ما مسح قلب هوى
 كم لبسط المصطفى من آية
 وهفا المجد لها منبهراً
 ينهل الحق صراحاً قابساً
 وأولو الألباب من أظافها
 أكرم الله بها شيعته
 والذي أنكرها مستكبر
 جل من أبداع سبط المصطفى
 نافع الأفذاذ عن نهج الهدى
 أفحمت حجته أهل الحجى
 وأغاضت آل بيت حكّموا
 وبنو العباس كانوا طغمة
 لم تلد إلا شقياً مجرمأ
 كان بغياً واغتصاباً ملكهم
 غدروا باسم الرسول المصطفى
 سل مقامات الهدى عن أهلها
 سل بقيعاً ضمّ أعلام الهدى
 سل ضريح المجد في طوس وسل
 سل دماء الشيعة الفرّ الألى

وتعيد الجذب خصباً سندسياً
 في ظلام الجهل عاد القلب حياً
 بهر الداني سناها والقصياً
 وهفا التاريخ ملهوفاً ظمياً
 من سناها للسرى نوراً سرّياً
 شربوا كأس الهدى صرفاً شهياً
 وجلّت أنوارها ليلاً دجياً
 ناصبي قلبه كان عمياً
 وبه قد أظهر الحق جلياً
 وجلا البهتان والقول الفرياً
 ومن استغشى ثياب الفقه زياً
 في رقاب الناس سيفاً جاهلياً
 يستيحون الدّم الحرّ الزكيّ
 نطفة البغي وشيطاناً غويّاً
 وفسوقاً وامتداداً أمويّاً
 آل بيت المصطفى غدرأ عتيّاً
 سل تراباً ضمّ طهراً فاطميّاً
 والتقّى سل كربلاء والغريّاً
 في ثرى الزوراء نوراً كاظميّاً
 سطرّوا للحق تاريخاً وضياً

سل عن الطهر الجواد بن الرضا
 سل كتاب الله سل عن صنوه
 واسأل المحراب عنه والتقى
 فجعته بالجواد المجتبي
 زوجة الطهر ابنة البغي غوت
 غرر المعتصم الوغد بها
 غدرت سبط النبي المصطفى
 جرعت سيدها السم وما
 أثكلت بابن الهدى دين الهدى
 كائنات الله من مأساتها
 يا ربيعاً لم تطل أعوامه
 وزها الدين به وانتعشت
 وزها القرآن سبحانه الذي
 واصطفى خير الوري من آدم
 وإمام المتقين المرتضى
 واصطفى بعد علي للهدى
 عترة الهادي من استهدى بهم
 إنما الفوز لمن والاهم
 حبهم فرض وكفر بغضهم
 سيدي يا بن علي حبيكم

عن إمام كان فذاً عبقرياً
 سل صراطاً للهدى سمحاً سويّاً
 والنهي والصبر سل ديناً شجياً
 من أبوها كان جباراً شقيّاً
 وأتت من كيدها أمراً فريّاً
 عمها من كان بالغدر حرّاً
 الإمام الطاهر النور السنيّاً
 زال في ريعانه غضاً ندياً
 فجعت كونا به كان زهياً
 ولظى لوعتها خرت بكياً
 خيرة فاض على الدنيا سخياً
 سنة لج لها الرؤون غياً
 نزل القرآن حكماً عربيّاً
 أحمد الخير رسولاً ونبيّاً
 صفوة الإيمان والطهر عليّاً
 وصراط الحق نسلأ فاطميّاً
 للرسول المصطفى كان وقياً
 وعلى منهجهم كان تقيّاً
 كل من عاداهم مات شقيّاً
 بعد حب الله محياً أصغريّاً

سَيِّدِي أَسْبَغْهَا اللَّهُ عَلَيَّ	نِعْمَةُ التَّوْحِيدِ أَزْكَى نِعْمَةٍ
وَبْنِيهِ قَبْلَ أَنْ أُخْرَجَ حَيًّا	وَوَلَائِي لِلرَّسُولِ الْمُصْطَفَى
وَارْتَدَى مِنْ نُورِهِ تَاجًا سَنِيًّا	يَا شَهِيدًا خَشَعَ الْمَجْدُ لَهُ
هَرَمَ الدَّهْرُ وَمَا زَالَ فَتِيًّا	ذَكَرَكَ الطَّاهِرُ يَا بَنَ الْمُصْطَفَى
دُونَكَ الشَّعْرُ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا	سَيِّدِي يَبْقَى فَقِيرًا مُعْدَمًا
يَا إِمَامِي وَهِيَ لَا تُعْطِيكَ شَيْئًا	وَالْقَوَافِي أَنْتَ تُعْطِيهَا السَّنَا
مَنْ هَوَاكُمُ قَدْ جَرَى فِي شَفْتِيَا	وَقَصِيدِي بَعْضُ مَا فِي خَافِقِي

خاتمة

اللهم تقبلْ مِنَّا هذا القليل، واجعله ذخراً لآخرتنا، إلهي أسألك بحق محمد وآل محمد أن تجعل هذا السفر باباً لمرضاتك، وخدمة لأوليائك.

العبد الفقير إلى ربه

الشيخ حسن عبد الأمير الشمري الحائري

المصادر

﴿ أ ﴾

١- الآحاد والمثاني: ابن أبي عاصم الضحاك (المتوفى: ٢٨٧هـ)، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار الدراية (٦ مجلدات).

٢- الاحتجاج: أحمد بن علي الطبرسي (المتوفى: ٥٦٠هـ)، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر، (٢ مجلد)، دار النعمان، بيروت.

٣- أحكام القرآن: الجصاص (المتوفى: ٣٧٠هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت (٣ مجلدات).

٤- الأحكام في الحلال والحرام: يحيى بن الحسين بن قاسم (المتوفى: ٢٩٨هـ)، (٢ مجلد).

٥- الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، تعليق: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي، دمشق (٤ مجلدات).

٦- اختيار معرفة الرجال: الشيخ الطوسي (المتوفى: ٤٦٠هـ)، تحقيق: مير داماد، محمد باقر الحسيني، السيد مهدي الرجائي، (٢ مجلد)، ١٤٠٤هـ،

مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم.

٧- الاختصاص: الشيخ المفيد (المتوفى: ٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (١ مجلد)، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

٨- الأربعين: الشيخ الماحوزي (المتوفى: ١١٢١هـ)، تحقيق: السيد مهدي رجائي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، مطبعة أمير (١ مجلد).

٩- الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين عليهم السلام: الشيخ محمد طاهر القمي الشيرازي (المتوفى: ١٠٩٨هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مطبعة الأمير، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، (١ مجلد).

١٠- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد (المتوفى: ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، (٢ مجلد)، دار المفيد.

١١- إرواء الغليل: محمد ناصر الألباني (معاصر)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، (٨ مجلدات).

١٢- الاستبصار: الشيخ الطوسي (المتوفى: ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد حسن الخرسان، تصحيح: الشيخ محمد الآخوندي، مطبعة خورشيد، قم (٤ مجلدات).

١٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (المتوفى ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر: دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ الطبعة الأولى (١-٤ ج).

١٤- أسد الغابة: ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، انتشارات إسماعيليان، طهران (٥ مجلدات).

- ١٥- الاستغاثة: أبو القاسم الكوفي (المتوفى: ٣٥٢هـ)، (٢ مجلد).
- ١٦- الأشراف: الشيخ المفيد (المتوفى: ٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ مهدي نجف، دار المفيد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م (١ مجلد).
- ١٧- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت (٨ مجلدات).
- ١٨- أضواء على السنة المحمدية: الشيخ محمود أبو رية (معاصر)، دار الكتاب الإسلامي، (١ مجلد).
- ١٩- أضواء على الصحيحين: محمد صادق النجمي (معاصر)، ترجمة الشيخ يحيى كمالي البحراني، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، مطبعة باسدار إسلام، (١ مجلد)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم.
- ٢٠- إطلالات على التاريخ.
- ٢١- إعانة الطالبين: البكري الدمياطي (المتوفى: ١٣١٠هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان (٤ مجلدات).
- ٢٢- إعلام الوري بأعلام الهدى: الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى: ٥٤٨هـ)، (٢ مجلد)، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، مطبعة ستارة، قم.
- ٢٣- الأعلام: خير الدين الزركلي (المتوفى: ١٤١٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة (٨ مجلدات).
- ٢٤- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (المتوفى: ١٣٧١هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.

- ٢٥- الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد: الشيخ الطوسي (المتوفى: ٤٦٠هـ)، تحقيق: الشيخ حسن سعيد، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠٠هـ (١ مجلد).
- ٢٦- الإقناع: موسى الحجاوي (المتوفى: ٩٦٠هـ)، دار المعرفة، بيروت (٢ مجلد).
- ٢٧- أمالي الحافظ الأصبهاني: أبو نعيم الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: ساعد عمر غازي، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر (١ مجلد).
- ٢٨- الأمالي: الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣١٨هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم (١ مجلد)، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٩- الأمالي: الشيخ الطوسي (المتوفى: ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ (١ مجلد).
- ٣٠- الإمام الجواد عليه السلام من المهد إلى اللحد: السيد كاظم القزويني.
- ٣١- الإمام علي عليه السلام: أحمد الرحمانى الهمداني (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، المنير للطباعة والنشر، طهران (١ مجلد).
- ٣٢- أنساب الأشراف: البلاذري (المتوفى: في القرن ٣ هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، ١٣٩٤ هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- ٣٣- الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية: الشيخ عباس القمي (المتوفى: ١٣٥٩هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، (١ مجلد)، قم.
- ٣٤- الأنوار العلوية: الشيخ جعفر النقدي (المتوفى: ١٣٧٠هـ)، الطبعة الثانية، ١٣٨١ هـ، المطبعة الحيدرية، النجف، (١ مجلد).

- ٣٥- إيضاح الفوائد: ابن العلامة (المتوفى: ٧٧٠هـ)، تحقيق: الكرمانى، والاشتهاردى، والبروجردى، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ (٤ مجلدات).
- ٣٦- الإيضاح: الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري (المتوفى: ٢٦٠هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث (١ مجلد).

﴿ ب ﴾

- ٣٧- بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (المتوفى: ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، (١١٠ مجلدًا)، بيروت، لبنان.
- ٣٨- البداية والنهاية: الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، دار إحياء التراث العربي، (١٤ مجلدًا)، بيروت.
- ٣٩- بروتوكولات حكماء صهيون.
- ٤٠- بشارة المصطفى: محمد بن أبي القاسم الطبري (المتوفى: ٥٢٥هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم (١ مجلد).
- ٤١- بصائر الدرجات الكبرى: محمد بن الحسن الصفار (المتوفى: ٢٩٠هـ)، تحقيق: ميرزا محسن كوجه باغي، مؤسسة الأعلمي، طهران، ١٤٠٤ هـ، (١ مجلد).
- ٤٢- بيت الأحران في ذكرى أحوالات سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام الشيخ عباس القمي (المتوفى: ١٣٥٩هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ، مطبعة أمير، (١ مجلد)، دار الحكمة، قم المقدسة.

﴿ ت ﴾

٤٣- تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، مكتبة الحياة، بيروت، (١٠ مجلدات).

٤٤- تأويل مختلف الحديث: الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى: ٣٧٦هـ)، تحقيق: الشيخ إسماعيل الأسعدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (١ مجلد).

٤٥- تأويلات الآيات في فضائل العترة الطاهرة: السيد شرف الدين الأسترآبادي (المتوفى: ٩٦٥هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، مطبعة أمير، قم، ١٤٠٧هـ (٢ مجلد).

٤٦- تاريخ ابن خلدون: العلامة ابن خلدون (المتوفى: ٨٠٨هـ)، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي (٨ مجلدات)، بيروت.

٤٧- تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء، (٨ مجلدات)، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٤٨- تاريخ بغداد أو مدينة السلام: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، (١٤ مجلداً)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٩- تاريخ حصر الاجتهاد: الشيخ آقا بزرك الطهراني (المتوفى: ١٣٨٩هـ)، (١ مجلد)، تحقيق: محمد علي الأنصاري، ١٤٠١هـ، مطبعة الخيام، قم.

٥٠- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، ١٤١٥هـ، دار الفكر، (٧٠ مجلداً)، بيروت.

- ٥١- التاريخ الكبير: أبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)، (٩ مجلدات)، المكتبة الإسلامية، ديار بكر، تركيا.
- ٥٢- تنمة الحقائق الناضرة: الشيخ حسين آل عصفور (المتوفى: ١٢١٦هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم (٢ مجلد).
- ٥٣- تحرير الأحكام: العلامة الحلبي (المتوفى: ٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام قم (٣ مجلدات).
- ٥٤- تحف العقول عن آل الرسول ﷺ: ابن شعبة الحراني (المتوفى: في القرن ٤)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، ١٣٦٣هـ/١٤٠٤ هـ، (١ مجلد)، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم.
- ٥٥- تحفة الأحوذ في شرح الترمذي: المبارك كفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٠ مجلدات).
- ٥٦- التحفة السنية: الفيض الكاشاني (المتوفى: ١٠٩١هـ)، الشارح: عبد الله الجزائري (مخطوط).
- ٥٧- تذكرة الموضوعات: الفتني (المتوفى: ٩٨٦هـ)، (١ مجلد).
- ٥٨- تفسير أبي حمزة الثمالي: أبو حمزة الثمالي (المتوفى: ١٤٨هـ)، تجميع: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ، مطبعة الهادي (١ مجلد).
- ٥٩- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤م)، ١٤١٢هـ (٤ مجلدات) دار المعرفة، بيروت.
- ٦٠- تفسير الثعالبي: الثعالبي المالكي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد

الفتاح أبو سنة، والشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت (٥ مجلدات).

٦١- تفسير الصافي: المولى محسن الفيض الكاشاني (المتوفى: ١٠٩١ هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ، (٥ مجلدات)، مكتبة الصدر، طهران.

٦٢- تفسير العياشي: محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي (المتوفى: ٣٢٠ هـ)، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، (٢ مجلد)، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

٦٣- تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي (المتوفى: ٣٥٢ هـ)، تحقيق: محمد الكاظم، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، المطبعة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

٦٤- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، ١٤٠٥ هـ، دار إحياء التراث العربي (٢٠ مجلداً)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

٦٥- تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي (المتوفى: ٣٢٩ هـ)، المصحح: السيد طيب الجزائري، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ، مؤسسة دار الكتاب، قم (٢ مجلد).

٦٦- تفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسي (المتوفى: ٥٦٠ هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (١٠ مجلدات).

٦٧- تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي

- (المتوفى: ١١١٢هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هـ، (٥ مجلدات)، مؤسسة إسماعيليان، قم.
- ٦٨- تكملة العروة الوثقى: السيد اليزدي (المتوفى: ١٣٣٧هـ) طبعة ١٣٧٨هـ، مطبعة الحيدري، طهران (٤ مجلدات).
- ٦٩- تنقيح المقال: المامقاني.
- ٧٠- تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (المتوفى: ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد حسن الخرسان، تصحيح: الشيخ محمد الآخوندي، مطبعة خورشيد، (١٠ مجلدات)، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥هـ ش.
- ٧١- تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ، (١٢ مجلداً)، دار الفكر، بيروت.
- ٧٢- تهذيب الكمال: المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦ هـ، مؤسسة الرسالة.

﴿ ج ﴾

- ٧٣- جامع المقاصد: المحقق الكركي (المتوفى: ٩٤٠هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ، مطبعة مهر، قم، مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم (١٣ مجلداً).
- ٧٤- الجامع للشرائع: يحيى بن سعيد الحلبي (المتوفى: ٦٨٩هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق بإشراف الشيخ السبحاني، المطبعة العلمية، قم، ١٤٠٥ هـ، (١ مجلد).
- ٧٥- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ، (٢ مجلد)، دار الفكر، بيروت.

٧٦- جزء الحميري: علي بن محمد الحميري (المتوفى: ٣٢٣هـ)، تحقيق: أبو طاهر زبير بن مجدد عليزي، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، (١ مجلد)، دار الطحاوي، الرياض.

٧٧- جواهر الكلام: الشيخ الجواهري (المتوفى: ١٢٦٦هـ)، تحقيق: الشيخ رضا الأستاذي، المكتبة الإسلامية، الطبعة السادسة، ١٤٠٤ هـ، (٤٣ مجلداً).

٧٨- جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي بن أبي طالب عليه السلام: محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي (المتوفى: ٨٧١هـ)، تحقيق: العلامة الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، مطبعة دانش، (٢ مجلد)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم.

٧٩- الجوهرة في نسب الإمام علي وآله عليه السلام: محمد بن أبي بكر الأنصاري التاهستاني المعروف بالبري (معاصر)، تحقيق: الدكتور محمد التونجي، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (١ مجلد)، مكتبة النوري، دمشق.

﴿ ح ﴾

٨٠- حاشية المكاسب: السيد اليزدي (المتوفى: ١٣٣٧هـ)، طباعة إسماعيليان، ١٣٧٨هـ (٢ مجلد).

٨١- الحدائق الناضرة: المحقق البحراني (المتوفى: ١١٨٦هـ)، تحقيق: محمد تقي الإيراني، (٢٥ مجلداً)، جماعة المدرسين، قم.

٨٢- حديث إلى الأمهات: الدكتور سبوك.

٨٣- حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي (معاصر)، الطبعة

الأولى، ١٣٩٤ هـ، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، (٢ مجلد).

٨٤- حياة الإمام الرضا عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي (معاصر)، (٢ مجلد)، منشورات سعيد بن جبير.

٨٥- حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار عليهم السلام: السيد هاشم البحراني (المتوفى: ١١٠٧ هـ)، الشيخ علام رضا مولانا البحراني، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ، (٢ مجلد)، مؤسسة المعارف الإسلامية.

٨٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ هـ)، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٥ هـ/ ط الرابعة ١-١٠ ج).

﴿ خ ﴾

٨٧- الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي (المتوفى: ٥٧٣ هـ)، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة (٣ مجلدات).

٨٨- خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب الشافعي (المتوفى: ٣٠٣ هـ)، تحقيق: محمد هادي الأميني، (١ مجلد)، مكتبة نينوى الحديثة.

٨٩- خصائص الوحي المبين: ابن البطريق (المتوفى: ٦٠٠ هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، دار القرآن الكريم، قم المقدسة.

٩٠- الخصال: الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣٨١ هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين بقم المقدسة (١ مجلد).

٩١- الخلاف: الشيخ الطوسي (المتوفى: ٤٦٠ هـ)، تحقيق: السيد علي

- الخراساني، السيد جواد الشهرستاني، الشيخ محمد مهدي نجف، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، (٦ مجلدات)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.
- ٩٢- خلاصة عبقات الأنوار: السيد حامد النقوي (المتوفى: ١٣٠٦ هـ)، تلخيص: الميلاني، (٩ مجلدات)، قم، ١٤٠٦ هـ، مؤسسة البعثة.
- ٩٣- خوارق اللاشعور: علي الوردي.

﴿ د ﴾

- ٩٤- دراسات في الحديث والمحدثين: هاشم معروف الحسني (معاصر)، الطبعة الثانية، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م، (١ مجلد)، دار المعارف للطبوعات، بيروت.
- ٩٥- درر السمط في خبر السبط: ابن الآبار (المتوفى: ٦٥٨ هـ)، تحقيق: عز الدين عمر موسى، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م، دار الغرب الإسلامي، (١ مجلد).
- ٩٦- الدر المختار: الحصفكي (المتوفى: ١٠٨٨ هـ)، ١٤١٥ هـ، دار الفكر، بيروت (٨ مجلدات).
- ٩٧- دستور معالم الحكم: أبي عبد الله محمد بن سلامة (المتوفى: ٤٥٤ هـ)، (١ مجلد)، مكتبة المفيد، قم.
- ٩٨- دعائم الإسلام: القاضي النعمان المغربي (المتوفى: ٣٦٣ هـ)، تحقيق: آصف بن علي أصغر الفيضي (٢ مجلد)، دار المعارف، ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣ م.
- ٩٩- الدعوات: قطب الدين الراوندي (المتوفى: ٥٧٣ هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، مطبعة أمير، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ، (١ مجلد).
- ١٠٠- دلائل الإمامة: محمد بن حرير الطبري (الشيوعي) (المتوفى: أوائل

القرن ٤هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، (١ مجلد).

١٠١- الدمعة الساكبة.

١٠٢- دنيا المراهقات: محمد رضا شرفي (بالفارسية)، و مترجم إلى العربية.

١٠٣- ديوان الشريف الرضي.

﴿ ذ ﴾

١٠٤- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: أحمد بن عبد الله الطبري

(المتوفى: ٦٩٤هـ)، طبعة ١٣٥٦ هـ، مكتبة القدسي لحسام الدين القدسي.

١٠٥- الذكرى: الشهيد الأول (المتوفى: ٧٨٦هـ)، (١ مجلد)، طبعة حجرية،

١٢٧٢ هـ.

١٠٦- ذخيرة المعاد: المحقق السبزواري (المتوفى: ١٠٩٠هـ)، مؤسسة آل

البيت عليه السلام، الطبعة الحجرية (٣ مجلدات).

﴿ ر ﴾

١٠٧- رجال النجاشي: الشيخ أبي العباس أحمد بن علي النجاشي الأسدي

الكوفي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: الحجة السيد موسى البشير الزنجاني،

الطبعة الخامسة، ١٤١٦ هـ، (١ مجلد)، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة

المدرسين، قم.

١٠٨- رحلتي من الظلمات إلى النور.

١٠٩- رسائل فقهية: الشيخ الأنصاري (المتوفى: ١٢٨١هـ)، تحقيق: لجنة

التحقيق، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، مطبعة الباقري، قم المقدسة.

١١٠- رسائل المرتضى: الشريف المرتضى (المتوفى: ٤٣٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسن (٤ مجلدات)، دار القرآن الكريم، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، مطبعة الخيام، قم.

١١١- الرسائل العشر: الشيخ الطوسي (المتوفى: ٤٦٠هـ)، تحقيق: واعظ زاده الخراساني، (١ مجلد)، جامعة المدرسين، قم، ١٤٠٤ هـ.

١١٢- روضة الواعظين: محمد بن القتال النيسابوري (المتوفى: ٥٠٨هـ)، تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الخراساني (١ مجلد)، منشورات الرضي، قم، إيران.

١١٣- رياض المدح والرثاء: الشيخ حسين البحراني، طبعة المكتبة الحيدرية، قم، تحقيق: حسن عبد الأمير.

﴿ ز ﴾

١١٤- زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ، دار الفكر، بيروت (٨ مجلدات).

١١٥- زهر الربيع.

﴿ س ﴾

١١٦- سبل السلام: ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الطبعة الرابعة، ١٣٧٩ هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (٤

مجلدات).

١١٧- سبل الهدى والرشاد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، (١٢ مجلداً)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٨- السرائر: ابن إدريس الحلبي (المتوفى: ٥٩٨هـ)، (٣ مجلدات)، تحقيق: لجنة التحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

١١٩- السقيفة أم الفتن: الدكتور الخليلي (معاصر)، الطبعة الأولى، مطبعة الإرشاد للطباعة والنشر (١ مجلد).

١٢٠- كتاب السنة: عمرو بن عاصم الضحاك (المتوفى: ٢٨٧هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، (١ مجلد).

١٢١- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت (٢ مجلد).

١٢٢- سنن الترمذي: الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان (١-٥ ج).

١٢٣- سنن الدارمي: بهرام الدارمي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، (٢ مجلد)، مطبعة الاعتدال، دمشق.

١٢٤- سنن النبي ﷺ: السيد محمد حسين الطباطبائي (معاصر)، تحقيق:

الشيخ محمد هادي الفقهي، ١٤١٦ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، (١ مجلد).

١٢٥- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، دار الفكر، بيروت، (١٠ مجلدات).

١٢٦- سؤالات حمزة للدارقطني: علي بن عمر (المتوفى: ٣٨٥ هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م (١ مجلد).

١٢٧- سير أعلام النبلاء: الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسين الأسد، الطبعة التاسعة، ١٤١٣ هـ، (٢٣ مجلداً)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٢٨- سيرة الأئمة الإثني عشر عليه السلام: السيد هاشم معروف الحسني (معاصر).
١٢٩- سيكولوجية الطفولة والمراهقة.

﴿ ش ﴾

١٣٠- شرح أصول الكافي: مولى محمد صالح المازندراني (المتوفى: ١٠٨١ هـ)، (١٢ مجلداً).

١٣١- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليه السلام: النعمان بن محمد التميمي المغربي (المتوفى: ٣٦٣ هـ)، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلاي، (٣ مجلدات)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٣٢- شرح الأزهار: الإمام أحمد المرتضى (المتوفى: ٨٤٠ هـ)، غمضان،

صنعاء، ١٤٠٠هـ (٤ مجلدات).

١٣٣- شعراء الغري: علي الخاقاني.

١٣٤- شرح اللمعة: الشهيد الثاني (المتوفى: ٩٦٦هـ)، تحقيق: السيد محمد كلانتر، انتشارات الداوري، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ (١٠ مجلدات).

١٣٥- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي (المتوفى: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، (٢٠ مجلداً)، دار إحياء الكتب العربية.

١٣٦- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام: عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني (المتوفى: القرن ٥هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، (٢ مجلد)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

﴿ ص ﴾

١٣٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرتؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، (١٦ مجلداً).

١٣٨- صحيح ابن خزيمة: ابن خزيمة السلمى النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ (٤ مجلدات).

١٣٩- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، (٨ مجلدات).

- ١٤٠- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، (٨ مجلدات)، دار الفكر، بيروت.
- ١٤١- صحيح مسلم بشرح النووي: النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٤٢- الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: علي بن يونس العاملي (المتوفى: ٨٧٧هـ)، تحقيق: محمد باقر البهبودي، المطبعة الحيدرية، (٣ مجلدات)، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية.
- ١٤٣- صور مشرقة من وحي الإسلام.
- ١٤٤- الصوارم المهرقة: الشهيد نور الله التستري (الشهيد: ١٠١٩هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين المحدث، ١٣٦٧ هـ، مطبعة نهضت (١ مجلد).
- ١٤٥- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيثمي (المتوفى: ٩٧٣هـ)، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت (١٩٩٧م/ ط الأولى)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، وكامل محمد الخراط.

﴿ ض ﴾

- ١٤٦- ضعفاء العقيلي: العقيلي (المتوفى: ٣٢٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت (٤ مجلدات).

﴿ ط ﴾

١٤٧- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت (٨ مجلدات).

١٤٨- الطرائف: السيد ابن طاووس الحسني (المتوفى: ٦٦٤هـ)، الطبعة الأولى، ١٣٧١ هـ، مطبعة الخيام، قم، (١ مجلد).
١٤٩- الطفل حتى الثلاث سنوات: بيرتون وايت.

﴿ ع ﴾

١٥٠- عدة الداعي: ابن فهد الحلبي (المتوفى: ٨٤١هـ)، تحقيق: أحمد الموحدي القمي، مكتبة الوجداني، قم (١ مجلد).

١٥١- علل الشرائع: الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣٨١هـ)، المطبعة الحيدرية في النجف، (٢ مجلد)، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

١٥٢- العناوين الفقهية: الحسيني المراغي (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (٢ مجلد).

١٥٣- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ابن عنبه (المتوفى: ٨٢٨هـ)، تحقيق: محمد حسن آل الطالقاني، المطبعة الحيدرية في النجف، الطبعة الثالثة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م (١ مجلد).

١٥٤- العمدة: ابن البطريق الأسدي الحلبي (المتوفى: ٦٠٠هـ)، جامعة المدرسين، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ، (١ مجلد).

١٥٥- عوالي اللآلي: ابن أبي جمهور الأحسائي (المتوفى: ٨٨٠هـ)، تحقيق: السيد المرعشي، والشيخ مجتبی العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، (٤ مجلدات).

١٥٦- عيون أخبار الرضا عليه السلام الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ، (٢ مجلد).

١٥٧- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي (المتوفى: القرن ٦)، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ ش (١ مجلد). قم.

﴿ غ ﴾

١٥٨- الغدير: الشيخ عبد الحسين الأميني (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٧٩ هـ، (١٢ مجلداً)، دار الكتاب العربي، بيروت.

﴿ ف ﴾

١٥٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الطبعة الثانية، (١٣ مجلداً)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

١٦٠- فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي عليه السلام: أحمد بن الصديق المغربي (المتوفى: ١٣٨٠هـ)، تحقيق: محمد هادي الأميني (١ مجلد)، مكتبة أمير المؤمنين، أصفهان.

١٦١- فضائل الصحابة: الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى: ٣٠٣هـ)، (١ مجلد)،

دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٢- فقه السنة: الشيخ السيد سابق (معاصر)، دار الكتاب العربي، بيروت (٣ مجلدات).

١٦٣- فقه الصادق: السيد محمد صادق الروحاني (معاصر)، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ، (٢٦ مجلداً)، مؤسسة دار الكتاب، قم.

١٦٤- الفوائد المتقاة: محمد بن علي الصوري (المتوفى: ٤٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ، (١ مجلد)، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٦٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير: محمد عبد الرؤوف المناوي (المتوفى: ١٣٣١هـ)، تحقيق: أحمد عبد السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، (٦ مجلدات)، دار الكتب العلمية، بيروت.

﴿ ق ﴾

١٦٦- القاموس المحيط: الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، (٤ مجلدات).

١٦٧- قرب الإسناد: الحميري البغدادي (المتوفى: ٣٠٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، مطبعة مهر، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ (١ مجلد).

﴿ ك ﴾

١٦٨- الكافي: الشيخ الكليني (المتوفى: ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مطبعة الحيدري، (٨ مجلدات)، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ.

١٦٩- الكامل: ابن عدي (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ، (٧ مجلدات)، دار الفكر، بيروت.

١٧٠- كشف الخفاء ومزيل الإلباس: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (المتوفى: ١١٦٢هـ)، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ، (٢ مجلد)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧١- كشف الغطاء: الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفى: ١٢٢٨هـ)، الطبعة الحجرية، مهدوي، أصفهان (٢ مجلد).

١٧٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة عليه السلام: علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (المتوفى: ٦٩٣هـ)، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، (٣ مجلدات).

١٧٣- كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام العلامة الحلي (المتوفى: ٧٢٦هـ)، تحقيق: حسين الدركاهي، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ (١ مجلد).

١٧٤- كلمة الإمام الجواد عليه السلام: السيد حسن الشيرازي.

١٧٥- كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ١٤١٥ هـ، (١ مجلد)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

١٧٦- الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي (المتوفى: ١٣٥٩هـ)، (٣ مجلدات).

١٧٧- كنز العمال: المتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكري حياني، الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٦ مجلداً).

١٧٨- كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكي (المتوفى: ٤٤٩ هـ)، الطبعة الثانية،

١٤١٠ هـ، مكتبة المصطفوي، قم (١ مجلد).

﴿ ل ﴾

١٧٩- لسان العرب: ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ، دار إحياء التراث العربي (١٥ مجلداً).

١٨٠- اللمعة البيضاء: التبريزي الأنصاري (المتوفى: ١٣١٠هـ)، تحقيق: السيد هاشم الميلاني، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، مؤسسة الهادي، قم (١ مجلد).

﴿ م ﴾

١٨١- المبسوط: السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، تحقيق: جمع من الأفاضل، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ (٣٠ مجلداً).

١٨٢- مجلة العربي: العدد (٥١٢/جمادى الأولى/١٤٢٢هـ).

١٨٣- مجلسان من إملاء النسائي: النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.

١٨٤- مجمع البحرين: الشيخ الطريحي (المتوفى: ١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، (٤ مجلدات).

١٨٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م، (١٠ مجلدات)، بيروت، لبنان.

١٨٦- المجموع شرح المهدب: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي

(المتوفى: ٦٧٦هـ)، بهامشه «فتح العزيز شرح الوجيز» لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي، و«تلخيص الحبير» لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر (١-٢٠ ج).

١٨٧- المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي (المتوفى: ٢٧٤هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية (٢ مجلد).

١٨٨- محمد وحديث الثقلين: نجم الدين العسكري (المتوفى: ١٣٩٠هـ)، مطبعة الآداب، النجف، الطبعة الرابعة، (٣ مجلدات).

١٨٩- مختلف الشيعة: العلامة الحلي (المتوفى: ٧٢٦هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، (٩ مجلدات)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة.

١٩٠- مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني (المتوفى: ١١٠٧هـ)، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، مطبعة بهمن، (٨ مجلدات)، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية.

١٩١- المزار: الشيخ المفيد (المتوفى: ٤١٣هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، مطبعة مهر، الطبعة الأولى (١ مجلد).

١٩٢- مسالك الأفهام: الشهيد الثاني (المتوفى: ٩٦٦هـ)، تحقيق: مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ (١٥ مجلدًا).

١٩٣- المسائل الفقهية: السيد شرف الدين (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، تحقيق: مطبعة سبهر، طهران، ١٤٠٧هـ (١ مجلد).

١٩٤- مستدرك الحاكم: محمد بن محمد النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق:

- الدكتور يوسف المرعشلي، (٤ مجلدات)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
- ١٩٥- مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي (المتوفى: ١٤٠٥ هـ)، تحقيق: الشيخ حسن بن علي النمازي، ١٤١٩ هـ، (١٠ مجلدات)، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ١٩٦- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: المحقق النوري الطبرسي (المتوفى: ١٣٢٠ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، (١٨ مجلداً)، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، قم.
- ١٩٧- المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام: محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي (المتوفى: أوائل القرن الرابع)، تحقيق: الشيخ أحمد المحمودي، مطبعة سلمان الفارسي، قم، الطبعة الأولى، (١ مجلد)، مؤسسة الثقافة الإسلامية، قم.
- ١٩٨- مستند الشيعة: المحقق النراقي (المتوفى: ١٢٤٥ هـ)، (١٩ مجلداً)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، مشهد، ١٤١٥ هـ، مطبعة ستارة، قم.
- ١٩٩- مستمسك العروة: السيد محسن الحكيم (المتوفى: ١٣٩٠ هـ)، مكتبة السيد المرعشي، قم، ١٤٠٤ هـ (١٤ مجلداً).
- ٢٠٠- مسند ابن الجعد: علي بن الجعد بن عبيد الجوهري (المتوفى: ٢٣٠ هـ)، تحقيق: أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي، عامر أحمد حيدر، (١ مجلد)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٠١- مسند الإمام الرضا عليه السلام: عزيز الله العطاردي (معاصر)، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، ١٤٠٦ هـ، مؤسسة طبع ونشر آستان القدس

الرضوي، (٢ مجلد).

٢٠٢- مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت (٦ مجلدات).

٢٠٣- مسند أبو يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المشي التميمي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، (١٣ مجلداً).

٢٠٤- مسند زيد بن علي: زيد بن علي (المتوفى: ١١٢هـ)، (١ مجلد)، تحقيق: أحد علماء الزيديين، دار الحياة، بيروت.

٢٠٥- المسند: الإمام الشافعي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، مطبعة بولاق الأميرية، دار الكتب العلمية، بيروت، (١ مجلد).

٢٠٦- مقتل الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي (المتوفى: ١٥٧هـ)، تحقيق: ميرزا حسن الغفاري، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٨ هـ، المكتبة العامة للسيد المرعشي، قم (١ مجلد).

٢٠٧- مشكاة الأنوار: علي الطبرسي (المتوفى: القرن ٧هـ)، قدم له: صالح الجعفري، المطبعة الحيدرية في النجف، الطبعة الثانية (١ مجلد)، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٢٠٨- المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، دار الفكر، بيروت (٨ مجلدات).

٢٠٩- معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري (معاصر)، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، (٣ مجلدات)، مؤسسة النعمان، بيروت.

٢١٠- معاني الأخبار: الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر

- الغفاري، إشارات الرضي، ١٣٦١هـ ش، (١ مجلد)، قم.
- ٢١١- المعبر في شرح المختصر: المحقق الحلبي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، (٢ مجلد)، تحقيق: لجنة التحقيق بإشراف الشيخ ناصر مكارم، مؤسسة سيد الشهداء، ١٣٦٤هـ ش، قم.
- ٢١٢- معجم رجال الحديث: السيد أبو القاسم الخوئي (المتوفى: ١٤١٣هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، الطبعة الخامسة، ١٤١٣ هـ، (٢٤ مجلدًا).
- ٢١٣- معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف إيان سركيس (المتوفى: ١٣٥١هـ)، ط ١٤١٠ هـ، مطبعة بهمن، قم، منشورات مكتبة المرعشي (٢ مجلد).
- ٢١٤- المعجم الصغير: الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (٢ مجلد).
- ٢١٥- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، - المعجم الصغير: سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، (٢ مجلد)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢١٦- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، (٢٥ مجلدًا)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- ٢١٧- المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أبو جعفر الأسكافي محمد بن عبد الله المعتزلي (المتوفى: ٢٢٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، (١ مجلد).
- ٢١٨- مغني المحتاج: محمد بن الشرييني (المتوفى: ٩٧٧هـ)، دار إحياء

- التراث العربي، بيروت، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م (٤ مجلدات).
- ٢١٩- مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر عليه السلام: الشيخ أحمد ابن محمد بن عبيد الله بن عياش الجوهري (المتوفى: ٤٠١هـ)، المطبعة العلمية، قم (١ مجلد).
- ٢٢٠- مكاتيب الرسول: الأحمدي الميانجي (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، (٣ مجلدات)، دار الحديث، طهران.
- ٢٢١- مكارم الأخلاق: الشيخ الطبرسي (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الطبعة السادسة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، (١ مجلد)، منشورات الشريف الرضي، قم.
- ٢٢٢- مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: محمد بن سليمان الكوفي القاضي (كان حياً: ٣٠٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، (٢ مجلد)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.
- ٢٢٣- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب (المتوفى: ٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦، مطبعة محمد كاظم الحيدري، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، (٣ مجلدات).
- ٢٢٤- مناقب أهل البيت عليه السلام: المولى حيدر الشيرواني (المتوفى: ١٢٠٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، ١٤١٤هـ، (١ مجلد)، مطبعة المنشورات الإسلامية.
- ٢٢٥- المناقب: الموفق الخوارزمي (المتوفى: ٥٦٨هـ)، تحقيق: مالك المحمودي، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.
- ٢٢٦- المناظرات في الإمامة: الشيخ عبد الله الحسن (معاصر)، الطبعة

- الأولى، ١٤١٥ هـ، مطبعة مهر، قم (١ مجلد).
- ٢٢٧- من حياة الخليفة عمر بن الخطاب: عبد الرحمن أحمد البكري (معاصر)، مطبعة الإرشاد، بيروت (١ مجلد).
- ٢٢٨- المنتخب من مسند عبد بن حميد: أبي محمد عبد بن حميد (المتوفى: ٢٤٩ هـ)، تحقيق: السيد صبحي البدرى السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي (١ مجلد)، ط ١، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م، مكتبة النهضة العربية، بيروت.
- ٢٢٩- منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل: الشيخ عباس القمي، الطبعة الأولى، نشر: الدار الإسلامية، بيروت، لبنان (١-٢ ج).
- ٢٣٠- منهاج السنة النبوية: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس (٦٦١-٧٢٨ هـ)، نشر: مؤسسة قرطبة (١٤٠٦ هـ/ط الأولى/١-١٠ ج)، المحقق: د. محمد رشاد سالم.
- ٢٣١- مواقف الشيعة: الأحمدي الميانجي (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ (٣ مجلدات)، قم المقدسة.
- ٢٣٢- موسوعة الإمام الجواد عليه السلام: السيد الحسيني القزويني (معاصر)، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، مطبعة أمير، قم (٢ مجلد).
- ٢٣٣- موسوعة العتبات المقدسة.
- ٢٣٤- الموسوعة الفقهية الميسرة: الشيخ محمد علي الأنصاري (معاصر)، ١٤١٥ هـ، مطبعة باقري، مجمع الفكر الإسلامي، قم (٣ مجلدات).
- ٢٣٥- ميزان الحكمة: محمدي الرشهری (معاصر)، تحقيق: دار الحديث، الطبعة الأولى، (٤ مجلدات).
- ٢٣٦- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي (المتوفى:

١٤٠٢هـ)، (٢٠ مجلداً)، مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين، قم المشرفة.

﴿ ن ﴾

٢٣٧- نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي: حسن بن فرحان المالكي، طبعة ١٤١٨هـ مؤسسة الإمامة.

٢٣٨- نشأة الشيعة والتشيع: السيد محمد باقر الصدر (الشهيد: ١٤٠٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الجبار شرارة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، (١ مجلد)، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم.

٢٣٩- النص والاجتهاد: السيد عبد الحسين شرف الدين (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، تحقيق: أبو مجتبى، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، (١ مجلد).

٢٤٠- نصب الراية: الزيعلي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، تحقيق: أيمن صالح شعباني، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، دار الحديث، القاهرة (٦ مجلدات).

٢٤١- النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم: تقي الدين أحمد بن علي المقرئ (المتوفى: ٨٤٥هـ)، تحقيق: السيد علي عاشور (١ مجلد).

٢٤٢- نزهة المجلس ومنية الأنيس.

٢٤٣- نزهة الناظر وتنبه الخاطر: الحلواني (المتوفى: القرن ٥هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مطبعة مهر، قم (١ مجلد).

٢٤٤- نضد القواعد الفقهية: المقداد السيوري الحلبي (المتوفى: ٨٢٦هـ)، تحقيق: الكوهكمري، (١ مجلد)، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم.

٢٤٥- نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين:

جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الحنفي (المتوفى: ٧٥٠هـ)، من مخطوطات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة، الطبعة الأولى، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، (١ مجلد).

٢٤٦- نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين: السيد نعمة الله الموسوي الجزائري (المتوفى: ١١١٢هـ)، تحقيق: السيد الرجائي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، (٢ مجلد)، قم المقدسة.

٢٤٧- النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، مؤسسة إسماعيليان، قم، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤هـ ش، (٥ مجلدات).

٢٤٨- نهج الإيمان: زين الدين علي بن يوسف بن جبر (المتوفى: القرن ٧هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، مطبعة ستارة، قم، (١ مجلد).

٢٤٩- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق: الإمام الشيخ محمد عبده، (٤ مجلدات)، دار المعرفة، بيروت.

٢٥٠- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: الشيخ محمد باقر المحمودي (معاصر)، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ، (٨ مجلدات).

٢٥١- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٥هـ)، (٩ مجلدات)، دار الجيل، بيروت.

﴿ ه ﴾

- ٢٥٢- هاشم وأمية في الجاهلية.
- ٢٥٣- الهداية: الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، (١ مجلد)، مطبعة اعتماد، قم.
- ٢٥٤- الهداية الكبرى: الحسين بن حمدان الخصيبي (المتوفى: ٣٣٤هـ)، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، مؤسسة البلاغ، بيروت (١ مجلد).

﴿ و ﴾

- ٢٥٥- وسائل الشيعة (الإسلامية) الحر العاملي (المتوفى: ١١٠٤هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي (٢٠ مجلداً)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٥٦- وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام): محمد بن الحسن الحر العاملي (المتوفى: ١١٠٤هـ)، (٣٠ مجلداً)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

﴿ ي ﴾

- ٢٥٧- ينابيع المودة لذوي القربى: الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (المتوفى: ١٢٩٤هـ)، تحقيق: السيد علي جمال أشرف الحسيني، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ، مطبعة أسوة، (٣ مجلدات).

الفهرس

٧	الإهداء
٩	المقدمة

الفصل الأول

١٥	الإمامة والقيادة
١٧	القيادة الربانية والقيادة الجماهيرية
١٩	الطواغيت ليسوا قادة
٢١	للقائد شروط يجب أن تكون كاملة
٢٤	المجتمع في غياب القائد
٢٦	سلوك القائد وأثره في تربية المجتمع
٣٤	دور الإمامة في تشخيص الأمراض الاجتماعية وعلاجها
٣٧	الإمامة ودورها في صناعة الرجال
٤٥	أثر القيادة في بناء النفس

الفصل الثاني

٥٣	سمات الإمام الجواد <small>عليه السلام</small> وسيرته
٥٣	الولادة

- الإمام الجواد عليه السلام في رعاية أمه سبيكة ٦٣
- المرأة قد تكون عظيمة ٦٦
- زواج الأئمة عليهم السلام من غير العربيات ٧٧
- قسمات وملامح الإمام الجواد عليه السلام ٩٤
- الإمام الجواد عليه السلام في ظل أبيه الإمام الرضا عليه السلام ١٠٧
- العقل يتكامل في ظل الشخصيات الكبيرة ١٢٥
- أولاد الإمام الجواد عليه السلام ١٢٨
- السيدة حكيمة ابنة الإمام الجواد عليه السلام ١٢٩
- أصحاب الإمام الجواد عليه السلام ١٣٠
- ١- إسماعيل بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ١٣٠
- ٢- أيوب بن نوح بن دراج النخعي (وكنيته أبو الحسن) ١٣٠
- ٣- أحمد بن محمد بن خالد البرقي ١٣١
- ٤- أحمد بن محمد بن أبي نصر البرنطي ١٣٢
- ٥- حبيب بن أوس الطائي ١٣٢
- ٦- الحسن بن علي بن زياد الوشاء ١٣٣
- ٧- دعلج بن علي الخزاعي ١٣٤
- ٨- ابن السكيت يعقوب بن إسحاق الأهوازي ١٣٤

الفصل الثالث

- الموقف السياسي والإعلامي المضاد من القيادة الربانية ١٣٩
- اليهود خطر مستمر على القيادات الربانية ١٣٩

- شبح الإعلام الصهيوني في زماننا ١٤٧
- القائد الأسوة ١٥٧

الفصل الرابع

- الإمامة في سن التاسعة ١٦٧
- العبرة من الإمامة في سن مبكر ١٦٩
- لا تستقلوا المعجزة، إنها تتكرر في زماننا أيضاً ١٩٣
- حديث الثقلين الدليل الأمثل على صدق الإمامة ٢٠٣
- تعيين الأوصياء الإثنا عشر عليه السلام دليل آخر على وجوب الإمامة ٢١٨
- لماذا خلف الإمام الرضا عليه السلام ولده الجواد عليه السلام في المدينة المنورة .. ٢٢٣
- أسماء الأئمة عليهم السلام ٢٣٢

الفصل الخامس

- أجوبة الاستفتاءات وردّ الشبهات ٢٣٧
- ردّ الإمام الجواد عليه السلام على الشبهات ٢٤٤

الفصل السادس

- شذرات من حكم الإمام الجواد عليه السلام ٢٥٥

الفصل السابع

- عصر المعتصم واستشهاد الإمام الجواد عليه السلام ٢٧٧

٢٨٣	استشهاد الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>
-----------	--

الفصل الثامن

٢٨٩	ما قيل في الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>
٣٠٧	خاتمة
٣٠٩	المصادر
٣٤١	الفهرس